كتابات استشراقية عن الإسلام والمسلمين



الإسلام

فى خمس موسوعات إنجليزية

(نصوص ودراسات)

د. إبراهيم عوض

الإسلام

في خمس موسوعات إنجليزية

(نصوص ودراسات)

الإسلام

فى خمس موسوعات إنجليزية

(نصوص ودراسات)

د. إبراهيم عوض

القاهرة

المنار للطباعة والنشر

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

توضيح

فى هذا الكتاب يجد القارئ نصوصا إنجليزية خمسة عن الإسلام متبوعا كل منها بما فيه من كلمات قد تكون بحاجة إلى شرح، تتلوها دراسة تتناول كل ما يستدعى التعقيب عليه مما ورد فيه من أفكار. وهذه المقالات عبارة عن المواد التى خصصتها الموسوعة البريطانية وموسوعة إنكارتا وموسوعة الويكيبيديا والموسوعة اليهودية والموسوعة الكاثوليكية لدين الله فى نسخها المتاحة حاليا على المشباك. وقد حرصت على ألا أتصرف فى هذه النصوص بشىء، والتزمت بذلك، اللهم إلا فقرتين تقريبا وجدتهما لا تتعلقان بجوهر الموضوع فحذفتهما.

وكان دافعى إلى وضع هذا الكتاب الرغبة الشديدة فى إطلاع القارئ المسلم على ما يقوله الآخرون عن دينه حتى يكون على بينة من الطريقة التى ينظر بها غير المسلمين إلى هذا الدين، إذ نحن لا نعيش على البسيطة وحدنا، بل هناك ألوان من أهل الديانات المختلفة، ولكل من هؤلاء عقيدته ووجهة نظره التى تختلف عما نؤمن نحن به، ولا بد أن نعرف ما يكتبونه عنا وعن ديننا لأن لهذا الذى يعتقدونه ويقولونه تأثيرا على رسم سياسة بلادهم وتشكيل مواقف شعوبهم نحونا.

والواقع أننى، منذ وعيت لأهمية القراءة والثقافة، وأنا أحب أن أتعرف إلى ما يكتبه المستشرقون عنا وعن الحضارة التى ننتمى إليها والدين الذى ندين به. وقد بلغت هذه الرغبة عندى الحد الذى حرصت معه منذ وقت طويل على تصوير نسخة لى من " Enyclopaedia of Islam: دائرة المعارف الإسلامية"، تلك الموسوعة التى أصدرها المستشرقون وضمّنوها عصارة آرائهم عن الإسلام وحضارته، إلى أن نجحتُ فى ثمانينات القرن المنصرم فى تصوير مجلد " Shorter Enyclopaedia of Islam: دائرة المعارف الإسلامية المختصرة"، الذى أصدره هؤلاء القوم فى ستينات القرن المذكور ثم أتبعتُه باقتناء نسخة من ترجمة د. راشد البراوى له بعدما فشلتُ فى بداية الأمر فى بريطانيا ومصر فى الحصول على تلك الدائرة كاملة فى طبعتها الإنجليزية أو الفرنسية أصلاً أو صورة.

وبالمناسبة فقد وضعتُ دراسة نقدية لمواد ذلك المجلد ونشرتها عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م فى كتاب يحمل عنوان "دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل". إلا أننى لم أكتف رغم ذلك بتلك الطبعة المختصرة، بل ظللت أسعى إلى أن حصلت بأخرة على نسخة من الطبعة الكاملة فى إصدارها الجديد، وهو ما يزودنى بقدر كبير من النشوة حين أرجع إليها وأنظر فيها ما يقوله المستشرقون عن الموضوع الذى أكون بصدد

دراسته. وإنى ليسعدنى أن أشرك قرائى معى فى الشعور بتلك النشوة العارمة.

ولا ننس أننا الآن فى عصر الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان، فوجب أن يعرف كل منا ما يقوله الآخر عنه وما يعتقده فيه وفيما يؤمن به حتى نستطيع أن نتعايش فوق هذا الكوكب بأفضل ما يمكننا من التفاهم المتاح وبأقل قدر من العداوة والبغضاء. ولا يعقل أن يبقى كل منا حبيس رأيه وفكره لا يطلع على ما لدى الآخرين فى هذا الذى يراه ويعتقده. والحياة، كما خلقها الله، قائمة على الأخذ والرد حتى لو استمر الإنسان بعد ذلك على ما كان عليه من آراء ومواقف. ولا أكتم القارئ أننى قد قُيّض لى، فى غير قليل من الأحيان، الاطلاع على جوانبَ عبقريةٍ فى ديننا لم أكن لأنتبه إليها لولا ما قرأته عنها مدحا أو قدحا لدى غير المسلمين، وهو ما أشرت إلى بعضه فى كتب لى سابقة.

وفى ذات الوقت فإن الإسلام مستهدف هذه الأيام بهجوم شاملٍ عاتٍ يبتغى محوه ومحقه، فكان لا بد من دراسة ما يُكْتَب عنه وشرح ما يغمض فهمه فيه على الآخرين والرد على افتراءات المفترين منهم، وهو ما فعلته هنا متابعا ما كنت صنعته فى دراسات أخرى صدرت لى من قبل. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون كل ما جاء فى تلك المقالات

الخمسة قائما على الإساءة أو عدم الفهم، إذ هناك الكثير مما لا نستطيع المجادلة فيه لأن الكاتب أداه على وجهه الصحيح، وإن لم أقف كثيرا أمام هذا الجانب، بل كان وقوفى الملىّ إزاء ما وقع فى تلك المقالات من أخطاء قد يكون بعضها ناتجا من سوء الفهم، إلا أن بعضها الآخر هو، بكل تأكيد، مقصود قصدا .

ومن الأخطاء التى لا أظن وراءها سوء طوية ما وقع فى بعض المقالات المذكورة من خطإ فى تعداد مصارف الزكاة أو تحديد مواقيت الصلاة مثلا . وعلى الجانب المقابل هناك أخطاء فادحة مستشنعة مثل اتهام النبى عليه السلام بأنه كان مصابا بالصَّرْع أو أنه استقى ما فى القرآن من كلام عن التوراة والإنجيل من أهل الكتاب، ومثل رَمْى الإسلام بأنه دين استبدادى وأنه انتشر بالسيف . وعلى كل حال فقد كنت حريصا دائما على أن أعرض الرؤية الصحيحة من واقع النصوص التى لا يرقى إليها الشك وحقائق التاريخ التى لا تقبل المراء .

وقد يرى البعض أن من المستحسن عدم إطلاع القارئ المسلم على ذلك اللون من الكتابات بحجة الخوف على عقيدته، وفات هؤلاء أنه ليس فى العلم ما يضر أو يخيف، بل الضرر كل الضرر فى الجهل، والخوف كل الخوف منه . وفى القرآن الكريم تسجيلٌ وافٍ لكل ما قاله الكفار واليهود

والمنافقون فى حق الله وفى حق نبيه ودينه دون أن يكون هناك أى تحرج فى هذا المضمار . أفنكون نحن أغير على الإسلام من رب الإسلام؟

وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله رب العالمين، فهو سبحانه وتعالى أهل كل حمد . كيف لا، وكل شىء إنما هو من فضله وكرمه، ولولا هذا الفضل والكرم ما كان شىء فى هذا الوجود، ولا كنا نحن أيضا . فله عز وجل الشكر كله، والثناء كله. وله نعنو ونسجد لا بوجوهنا فحسب، بل بعقولنا وقلوبنا وضمائرنا وكياننا كله.

Islām

(Encyclopædia Britannica)

Introduction

A major world religion belonging to the Semitic family; it was promulgated by the Prophet Muhammad in Arabia in the 7th century AD. The Arabic term islām, literally "surrender," illuminates the fundamental religious idea of Islām—that the believer (called a Muslim, from the active particle of islām) accepts "surrender to the will of Allāh (Arabic: God)." Allāh is viewed as the sole God—creator, sustainer, and restorer of the world. The will of Allāh, to which man must submit, is made known through the sacred scriptures, the Qur'ān (Koran), which Allāh revealed to his messenger, Muhammad. In Islām Muhammad is considered the last of a series of prophets (including Adam, Noah, Abraham, Moses, Jesus, and others), and his message simultaneously consummates and completes the "revelations" attributed to earlier prophets.

Retaining its emphasis on an uncompromising monotheism and a strict adherence to certain essential religious practices, the religion taught by Muhammad to a small group of followers spread rapidly through the Middle East to Africa, Europe, the Indian subcontinent, the Malay Peninsula, and China. Although many sectarian movements have arisen within Islām, all Muslims are bound by a common faith and a sense of belonging to a single community.

The foundations of Islām

The legacy of Muhammad

From the very beginning of Islām, Muhammad had inculcated a sense of brotherhood and a bond of

faith among his followers, both of which helped to develop among them a feeling of close relationship that was accentuated by their experiences of persecution as a nascent community in Mecca. The strong attachment to the tenets of the Qur'ānic revelation and the conspicuous socioeconomic content of Islāmic religious practices cemented this bond of faith. In AD 622, when the Prophet migrated to Medina, his preaching was soon accepted, and the community-state of Islām emerged. During this early period, Islām acquired its characteristic ethos as a religion uniting in itself both the spiritual and temporal aspects of life and seeking to regulate not only the individual's relationship to God (through his conscience) but human relationships in a social setting as well. Thus, there is not only an Islāmic religious institution but also an Islāmic law, state, and other institutions governing society. Not until the 20th century were the religious (private) and the secular (public) distinguished by some Muslim thinkers and separated formally in certain places such as Turkey.

This dual religious and social character of Islām, expressing itself in one way as a religious community commissioned by God to bring its own value system to the world through the jihād ("exertion," commonly translated as "holy war" or "holy struggle"), explains the astonishing success of the early generations of Muslims. Within a century after the Prophet's death in AD 632, they had brought a large part of the globe—from Spain across Central Asia to India—under a new Arab Muslim empire.

The period of Islāmic conquests and empire building marks the first phase of the expansion of Islām as a religion. Islām's essential egalitarianism within the community of the faithful and its official

discrimination against the followers of other religions won rapid converts. Jews and Christians were assigned a special status as communities possessing scriptures and were called the "people of the Book" (ahl al-kitāb) and, therefore, were allowed religious autonomy. They were, however, required to pay a per capita tax called jizyah, as opposed to pagans, who were required to either accept Islām or die. The same status of the "people of the Book" was later extended to Zoroastrians and Hindus, but many "people of the Book" joined Islām in order to escape the disability of the jizyah. A much more massive expansion of Islām after the 12th century was inaugurated by the Ṣūfīs (Muslim mystics), who were mainly responsible for the spread of Islām in India, Central Asia, Turkey, and sub-Saharan Africa (see below).

Besides the jihād and Ṣūfī missionary activity, another factor in the spread of Islām was the far-ranging influence of Muslim traders, who not only introduced Islām quite early to the Indian east coast and South India but also proved to be the main catalytic agents (besides the Ṣūfīs) in converting people to Islām in Indonesia, Malaya, and China. Islām was introduced to Indonesia in the 14th century, hardly having time to consolidate itself there politically before coming under Dutch colonial domination.

The vast variety of races and cultures embraced by Islām (estimated total 1.1 to 1.2 billion persons worldwide) has produced important internal differences. All segments of Muslim society, however, are bound by a common faith and a sense of belonging to a single community. With the loss of political power during the period of Western colonialism in the 19th and 20th centuries, the concept of the Islāmic community (ummah), instead

of weakening, became stronger. The faith of Islām helped various Muslim peoples in their struggle to gain political freedom in the mid-20th century, and the unity of Islām contributed to later political solidarity.

Sources of Islāmic doctrinal and social views

Islāmic doctrine, law, and thinking in general are based upon four sources, or fundamental principles (uṢūl): (1) the Qur'ān, (2) the sunnah ("traditions"), (3) ijmāʿ ("consensus"), and (4) ijtihād ("individual thought").

The Qur'ān (literally, "Reading" or "Recitation") is regarded as the verbatim word, or speech, of God delivered to Muhammad by the angel Gabriel. Divided into 114 sūrahs (chapters) of unequal length, it is the fundamental source of Islāmic teaching. The sūrahs revealed at Mecca during the earliest part of Muhammad's career are concerned mostly with ethical and spiritual teachings and the Day of Judgment. The sūrahs revealed at Medina at a later period in the career of the Prophet are concerned for the most part with social legislation and the politico-moral principles for constituting and ordering the community. Sunnah ("a well-trodden path") was used by pre-Islāmic Arabs to denote their tribal or common law; in Islām it came to mean the example of the Prophet—i.e., his words and deeds as recorded in compilations known as Hadīth.

Hadīth (literally, "Report"; a collection of sayings attributed to the Prophet) provide the written documentation of the Prophet's words and deeds. Six of these collections, compiled in the 3rd century AH (9th century AD), came to be regarded as especially authoritative by the largest group in Islām, the

Sunnites. Another large group, the Shī'ah, has its own Hadīth contained in four canonical collections.

The doctrine of ijmā', or consensus, was introduced in the 2nd century AH (8th century AD) in order to standardize legal theory and practice and to overcome individual and regional differences of opinion. Though conceived as a "consensus of scholars," ijmā' was in actual practice a more fundamental operative factor. From the 3rd century AH ijmā' has amounted to a principle of stability in thinking; points on which consensus was reached in practice were considered closed and further substantial questioning of them prohibited. Accepted interpretations of the Qur'ān and the actual content of the sunnah (i.e., Hadīth and theology) all rest finally on the ijmā' in the sense of the acceptance of the authority of their community.

Ijtihād, meaning "to endeavour" or "to exert effort," was required to find the legal or doctrinal solution to a new problem. In the early period of Islām, because ijtihād took the form of individual opinion (ra'y), there was a wealth of conflicting and chaotic opinions. In the 2nd century AH ijtihād was replaced by qiyās (reasoning by strict analogy), a formal procedure of deduction based on the texts of the Qur'ān and the Hadīth. The transformation of ijmā' into a conservative mechanism and the acceptance of a definitive body of Hadīth virtually closed the "gate of ijtihād" in Sunni Islam while ijtihād continued in Shi'ism. Nevertheless, certain outstanding Muslim thinkers (e.g., al-Ghazālī in the 11th–12th century) continued to claim the right of new ijtihād for themselves, and reformers in the 18th to 20th centuries, because of modern influences, have caused this principle once more to receive wider acceptance.

The Qur'ān and Hadīth are discussed below. The significance of ijmā' and ijtihād are discussed below in the contexts of Islāmic theology, philosophy, and law.

Doctrines of the Qur'ān

God

The doctrine about God in the Qur'ān is rigorously monotheistic: God is one and unique; he has no partner and no equal. Trinitarianism, the Christian belief that God is three persons in one substance, is vigorously repudiated. Muslims believe that there are no intermediaries between God and the creation that he brought into being by his sheer command: "Be." Although his presence is believed to be everywhere, he is not incarnated in anything. He is the sole creator and sustainer of the universe, wherein every creature bears witness to his unity and lordship. But he is also just and merciful: his justice ensures order in his creation, in which nothing is believed to be out of place, and his mercy is unbounded and encompasses everything. His creating and ordering the universe is viewed as the act of prime mercy for which all things sing his glories. The God of the Qur'ān, described as majestic and sovereign, is also a personal God; he is viewed as being nearer to man than man's jugular vein, and, whenever a person in need or distress calls him, he responds. Above all, he is the God of guidance and shows everything, particularly man, the right way, "the straight path."

This picture of God—wherein the attributes of power, justice, and mercy interpenetrate—is related to the Judeo-Christian tradition and also differs radically from the concepts of pagan Arabia, to which it provided an effective answer. The pagan Arabs believed in a blind and inexorable fate over

which man had no control. For this powerful but insensible fate the Qur'ān substituted a powerful but provident and merciful God. The Qur'ān carried through its uncompromising monotheism by rejecting all forms of idolatry and eliminating all gods and divinities that the Arabs worshipped in their sanctuaries (harams), the most prominent of which was the Ka'bah sanctuary in Mecca itself.

The universe

In order to prove the unity of God, the Qur'ān lays frequent stress on the design and order in the universe. There are no gaps or dislocations in nature. Order is explained by the fact that every created thing is endowed with a definite and defined nature whereby it falls into a pattern. This nature, though it allows every created thing to function in a whole, sets limits; and this idea of the limitedness of everything is one of the most fixed points in both the cosmology and theology of the Qur'ān. The universe is viewed, therefore, as autonomous, in the sense that everything has its own inherent laws of behaviour, but not as autocratic, because the patterns of behaviour have been endowed by God and are strictly limited. "Everything has been created by us according to a measure." Though every creature is thus limited and "measured out" and hence depends upon God, God alone, who reigns unchallenged in the heavens and the earth, is unlimited, independent, and self-sufficient.

Man

According to the Qur'ān, God created two apparently parallel species of creatures, man and jinn, the one from clay and the other from fire. About the jinn, however, the Qur'ān says little, although it is implied that the jinn are endowed with reason and responsibility but are more prone to evil

than man. It is with man that the Qur'ān, which describes itself as a guide for the human race, is centrally concerned. The Judeo-Christian story of the Fall of Adam (the first man) is accepted, but the Qur'ān states that God forgave Adam his act of disobedience, which is not viewed in the Qur'ān as original sin in the Christian sense of the term.

In the story of man's creation, the angel Iblīs, or Satan, who protested to God against the creation of man, who "would sow mischief on earth," lost in the competition of knowledge against Adam. The Qur'ān, therefore, declares man to be the noblest of all creation, the created being who bore the trust (of responsibility) that the rest of creation refused to accept. The Qur'ān thus reiterates that all nature has been made subservient to man seen as God's vice-regent on earth: nothing in all creation has been made without a purpose, and man himself has not been created "in sport," his purpose being service and obedience to God's will.

Despite this in sport station, however, the Qur'ān describes human nature as frail and faltering. Whereas everything in the universe has a limited nature and every creature recognizes its limitation and insufficiency, man is viewed as having been given freedom and is therefore prone to rebelliousness and pride, with the tendency to arrogate to himself the attributes of self-sufficiency. Pride, thus, is viewed as the cardinal sin of man, because, by not recognizing in himself his essential creaturely limitations, he becomes guilty of ascribing to himself partnership with God (shirk: associating a creature with the Creator) and of violating the unity of God. True faith (īmān), thus, consists of belief in the immaculate Divine Unity and Islām in one's submission to the Divine Will.

Satan, sin, and repentance

In order to communicate the truth of Divine Unity, God has sent messengers or prophets to men, whose weakness of nature makes them ever prone to

forget or even willfully to reject Divine Unity under the promptings of Satan. According to the Qur'ānic teaching, the being who became Satan (Shaytān or Iblīs) had previously occupied a high station but fell from divine grace by his act of disobedience in refusing to honour Adam when he, along with other angels, was ordered to do so. Since then his work has been to beguile man into error and sin. Satan is, therefore, the contemporary of man, and Satan's own act of disobedience is construed by the Qur'ān as the sin of pride. Satan's machinations will cease only on the Last Day.

Judging from the accounts of the Qur'ān, the record of man's accepting the prophets' messages has been far from perfect. The whole universe is replete with signs of God. The human soul itself is viewed as a witness of the unity and grace of God. The messengers of God have, throughout history, been calling man back to God. Yet not all men have accepted the truth; many of them have rejected it and become disbelievers (kāfir, plural kuffār: literally "concealing"—i.e., the blessings of God), and, when man becomes so obdurate, his heart is sealed by God. Nevertheless, it is always possible for a sinner to repent (tawbah) and redeem himself by a genuine conversion to the truth. There is no point of no return, and God is forever merciful and always willing and ready to pardon. Genuine repentance has the effect of removing all sins and restoring a person to the state of sinlessness with which he started his life.

Prophecy

Prophets are men specially elected by God to be his messengers. Prophethood is indivisible, and the Qur'ān requires recognition of all prophets as such without discrimination. Yet they are not all equal, some of them being particularly outstanding in

qualities of steadfastness and patience under trial. Abraham, Noah, Moses, and Jesus were such great prophets. As vindication of the truth of their mission, God often vests them with miracles: Abraham was saved from fire, Noah from the Deluge, and Moses from the pharaoh. Not only was Jesus born from the Virgin Mary, but God also saved him from crucifixion at the hands of the Jews. The conviction that God's messengers are ultimately vindicated and saved is an integral part of the Qur'ānic doctrine.

All prophets are human and never part of divinity: they are the most perfect of humans who are recipients of revelation from God. When God wishes to speak to a human, he sends an angel messenger to him or makes him hear a voice or inspires him. Muhammad is accepted as the last prophet in this series and its greatest member, for in him all the messages of earlier prophets were consummated. The angel Gabriel brought the Qur'ān down to the Prophet's "heart." Gabriel is represented by the Qur'ān as a spirit whom the Prophet could sometimes see and hear. According to early traditions, the Prophet's revelations occurred in a state of trance when his normal consciousness was transformed. This state was accompanied by heavy sweating. The Qur'ān itself makes it clear that the revelations brought with them a sense of extraordinary weight: "If we were to send this Qur'ān down on a mountain, you would see it split asunder out of fear of God."

This phenomenon at the same time was accompanied by an unshakable conviction that the message was from God, and the Qur'ān describes itself as the transcript of a heavenly "Mother Book" written on a "Preserved Tablet." The conviction was of such an intensity that the Qur'ān categorically

denies that it is from any earthly source, for in that case it would be liable to "manifold doubts and oscillations."

Eschatology

In Islāmic doctrine, on the Last Day, when the world will come to an end, the dead will be resurrected and a judgment will be pronounced on every person in accordance with his deeds. Although the Qur'ān in the main speaks of a personal judgment, there are several verses that speak of the resurrection of distinct communities that will be judged according to "their own book." In conformity with this, the Qur'ān also speaks in several passages of the "death of communities," each one of which has a definite term of life. The actual evaluation, however, will be for every individual, whatever the terms of reference of his performance. In order to prove that the resurrection will occur, the Qur'ān uses a moral and a physical argument. Because not all requital is meted out in this life, a final judgment is necessary to bring it to completion. Physically, God, who is all-powerful, has the ability to destroy and bring back to life all creatures, who are limited and are, therefore, subject to God's limitless power.

Some Islāmic schools deny the possibility of human intercession but most accept it, and in any case God himself, in his mercy, may forgive certain sinners. Those condemned will burn in hellfire, and those who are saved will enjoy the abiding joys of paradise. Hell and heaven are both spiritual and corporeal. Besides suffering in physical fire, the damned will also experience fire "in their hearts"; similarly, the blessed, besides corporeal enjoyment, will experience the greatest happiness of divine pleasure.

Social service

Because the purpose of the existence of man, as of every other creature, is submission to the Divine Will, God's role in relation to man is that of the commander. Whereas the rest of nature obeys God

automatically, man alone possesses the choice to obey or disobey. With the deep-seated belief in Satan's existence, man's fundamental role becomes one of moral struggle, which constitutes the essence of human endeavour. Recognition of the unity of God does not simply rest in the intellect but entails consequences in terms of the moral struggle, which consists primarily in freeing oneself of narrowness of mind and smallness of heart. One must go out of oneself and expend one's possessions for the sake of others.

The doctrine of social service, in terms of alleviating suffering and helping the needy, constitutes an integral part of Islāmic teaching. Praying to God and other religious acts are deemed to be incomplete in the absence of active service to the needy. In regard to this matter, the Qur'ānic criticisms of human nature become very sharp: "Man is by nature timid; when evil befalls him, he panics, but when good things come to him he prevents them from reaching others." It is Satan who whispers into man's ears that by spending for others he will become poor. God, on the contrary, promises prosperity in exchange for such expenditure, which constitutes a credit with God and grows much more than the money people invest in usury. Hoarding of wealth without recognizing the rights of the poor is threatened with the direst punishment in the hereafter and is declared to be one of the main causes of the decay of societies in this world. The practice of usury is forbidden.

With this socioeconomic doctrine cementing the bond of faith, there emerges the idea of a closely knit community of the faithful who are declared to be "brothers unto each other." Muslims are described as "the middle community bearing witness on mankind," "the best community produced for

mankind," whose function it is "to enjoin good and forbid evil" (Qur'ān). Cooperation and "good advice" within the community are emphasized, and a person who deliberately tries to harm the interests of the community is to be given exemplary punishment. Opponents from within the community are to be fought and reduced with armed force, if issues cannot be settled by persuasion and arbitration.

Because the mission of the community is to "enjoin good and forbid evil" so that "there is no mischief and corruption" on earth, the doctrine of jihād is the logical outcome. For the early community it was a basic religious concept. The lesser jihād, or holy striving, means an active struggle using armed force whenever necessary. The object of jihād is not the conversion of individuals to Islām but rather the gaining of political control over the collective affairs of societies to run them in accordance with the principles of Islām. Individual conversions occur as a by-product of this process when the power structure passes into the hands of the Muslim community. In fact, according to strict Muslim doctrine, conversions "by force" are forbidden, because after the revelation of the Qur'ān "good and evil have become distinct," so that one may follow whichever one may prefer (Qur'ān), and it is also strictly prohibited to wage wars for the sake of acquiring worldly glory, power, and rule. With the establishment of the Muslim empire, however, the doctrine of the lesser jihād was modified by the leaders of the community. Their main concern had become the consolidation of the empire and its administration, and thus they interpreted the teaching in a defensive rather than in an expansive sense. The Khārijite sect, which held that "decision belongs to God alone," insisted on continuous and

relentless jihād, but its followers were virtually destroyed during the internecine wars in the 8th century.

Besides a measure of economic justice and the creation of a strong idea of community, the Prophet Muhammad effected a general reform of Arab society, in particular protecting its weaker segments—the poor, the orphans, women, and slaves. Slavery was not legally abolished, but emancipation of slaves was religiously encouraged as an act of merit. Slaves were given legal rights, including the right of acquiring their freedom in return for payment, in installments, of a sum agreed upon by the slave and his master out of his earnings. A slave woman who bore a child by her master became automatically free after her master's death. The infanticide of girls that was practiced among certain tribes in pre-Islāmic Arabia—out of fear of poverty or a sense of shame—was forbidden.

Distinction and privileges based on tribal rank or race were repudiated in the Qur'ān and in the celebrated "Farewell Pilgrimage Address" of the Prophet shortly before his death. All men are therein declared to be "equal children of Adam," and the only distinction recognized in the sight of God is to be based on piety and good acts. The age-old Arab institution of intertribal revenge (called tha'r)—whereby it was not necessarily the killer who was executed but a person equal in rank to the slain person—was abolished. The pre-Islāmic ethical ideal of manliness was modified and replaced by a more humane ideal of moral virtue and piety.

Fundamental practices and institutions of Islām

The five pillars

During the earliest decades after the death of the Prophet, certain basic features of the religio-

social organization of Islām were singled out to serve as anchoring points of the community's life and formulated as the "Pillars of Islām." To these five, the Khawārij sect added a sixth pillar, the jihād, which, however, was not accepted by the general community.

The shahādah, or profession of faith

The first pillar is the profession of faith: "There is no deity but God, and Muhammad is the messenger of God," upon which depends membership in the community. The profession of faith must be recited at least once in one's lifetime, aloud, correctly, and purposively, with an understanding of its meaning and with an assent from the heart. From this fundamental belief are derived beliefs in (1) angels (particularly Gabriel, the Angel of Revelation), (2) the revealed Books (the Qur'ān and the sacred books of Judaism and Christianity), (3) a series of prophets (among whom figures of the Judeo-Christian tradition are particularly eminent, although it is believed that God has sent messengers to every nation), and (4) the Last Day (Day of Judgment).

Prayer

The second pillar consists of five daily canonical prayers. These prayers may be offered individually if one is unable to go to the mosque. The first prayer is performed before sunrise, the second just after noon, the third in the late afternoon, the fourth immediately after sunset, and the fifth before retiring to bed.

Before a prayer, ablutions, including the washing of hands, face, and feet, are performed. The muezzin (one who gives the call for prayer) chants aloud from a raised place (such as a tower) in the mosque. When prayer starts, the imām, or leader (of

the prayer), stands in the front facing in the direction of Mecca, and the congregation stands behind him in rows, following him in various postures. Each prayer consists of two to four genuflection units (rak'ah); each unit consists of a standing posture (during which verses from the Qur'ān are recited—in certain prayers aloud, in others silently), as well as a genuflection and two prostrations. At every change in posture, "God is great" is recited. Tradition has fixed the materials to be recited in each posture.

Special congregational prayers are offered on Friday instead of the prayer just after noon. The Friday service consists of a sermon (khutbah), which partly consists of preaching in the local language and partly of recitation of certain formulas in Arabic. In the sermon, the preacher usually recites one or several verses of the Qur'ān and builds his address on it, which can have a moral, social, or political content. Friday sermons usually have considerable impact on public opinion regarding both moral and sociopolitical questions.

Although not ordained as an obligatory duty, nocturnal prayers (called tahajjud) are encouraged, particularly during the latter half of the night. During the month of Ramadān (see below Fasting), lengthy prayers, called tarāwīh, are offered congregationally before retiring.

In strict doctrine, the five daily prayers cannot be waived even for the sick, who may pray in bed and, if necessary, lying down. When on a journey, the two afternoon prayers may be followed one by the other; the sunset and late evening prayers may be combined as well. In practice, however, much laxity has occurred, particularly among the modernized classes, although Friday prayers are still very well attended.

The zakāt

The third pillar is the obligatory tax called zakāt ("purification," indicating that such a payment makes the rest of one's wealth religiously and legally pure). This is the only permanent tax levied by the Qur'ān and is payable annually on food grains, cattle, and cash after one year's possession. The amount varies for different categories. Thus, on grains and fruits it is 10 percent if land is watered by rain, 5 percent if land is watered artificially. On cash and precious metals it is 21/2 percent. Zakāt is collectable by the state and is to be used primarily for the poor, but the Qur'ān mentions other purposes: ransoming Muslim war captives, redeeming chronic debts, paying tax collectors' fees, jihād (and by extension, according to Qur'ān commentators, education and health), and creating facilities for travellers.

After the breakup of Muslim religio-political power, payment of zakāt became a matter of voluntary charity dependent on individual conscience. In the modern Muslim world it has been left up to the individual, except in some countries (such as Saudi Arabia) where the Sharī'ah (Islāmic law) is strictly maintained.

Fasting

Fasting during the month of Ramadān (ninth month of the Muslim lunar calendar), laid down in the Qur'ān (2:183–185), is the fourth pillar of the faith. Fasting begins at daybreak and ends at sunset, and during the day eating, drinking, and smoking are forbidden. The Qur'ān (2:185) states that it was in the month of Ramadān that the Qur'ān was revealed. Another verse of the Qur'ān (97:1) states that it was revealed "on the Night of Power," which Muslims generally observe on the night of 26–27 Ramadān.

For a person who is sick or on a journey, fasting may be postponed until "another equal number of days." The elderly and the incurably sick are exempted through the daily feeding of one poor person if they have the means.

The hajj

The fifth pillar is the annual pilgrimage (hajj) to Mecca prescribed for every Muslim once in a lifetime—"provided one can afford it" and provided a person has enough provisions to leave for his family in his absence. A special service is held in the Sacred Mosque on the 7th of the month of Dhū al-Hijjah (last in the Muslim year). Pilgrimage activities begin by the 8th and conclude on the 12th or 13th. All worshippers enter the state of ihrām; they wear two seamless garments and avoid sexual intercourse, the cutting of hair and nails, and certain other activities. Pilgrims from outside Mecca assume ihrām at specified points en route to the city. The principal activities consist of walking seven times around the Ka'bah, a shrine within the mosque; the kissing and touching of the Black Stone (Hajar al-Aswad); and the ascent of and running between Mount Ṣafā and Mount Marwah (which are now, however, mere elevations) seven times. At the second stage of the ritual, the pilgrim proceeds from Mecca to Minā, a few miles away; from there he goes to 'Arafāt, where it is essential to hear a sermon and to spend one afternoon. The last rites consist of spending the night at Muzdalifah (between 'Arafāt and Minā) and offering sacrifice on the last day of ihrām, which is the 'īd ("festival") of sacrifice.

Many countries have imposed restrictions on the number of outgoing pilgrims because of foreign-exchange difficulties. Because of the improvement of communications, however, the total number of visitors has greatly increased in recent years. By the

early 1990s the number of visitors was estimated to be about two million, approximately half of them from non-Arab countries. All Muslim countries send official delegations on the occasion, which is being increasingly used for religio-political congresses. At other times in the year, it is considered meritorious to perform the lesser pilgrimage ('umrah), which is not, however, a substitute for the hajj pilgrimage.

Sacred places and days

The most sacred place for Muslims is the Ka'bah sanctuary at Mecca, the object of the annual pilgrimage. It is much more than a mosque; it is believed to be the place where the heavenly bliss and power touches the earth directly. According to Muslim tradition, the Ka'bah was built by Abraham. The Prophet's mosque in Medina is the next in sanctity. Jerusalem follows in third place in sanctity as the first qiblah (i.e., direction in which the Muslims offered prayers at first, before the qiblah was changed to the Ka'bah) and as the place from where Muhammad, according to tradition, made his ascent (mi'rāj) to heaven. For the Shī'ah, Karbalā' in Iraq (the place of martyrdom of 'Alī's son, Husayn) and Meshed in Iran (where Imām 'Alī ar-Ridā is buried) constitute places of special veneration where the Shī'ah make pilgrimages.

Shrines of Ṣūfī saints

For the Muslim masses in general, shrines of Ṣūfī saints are particular objects of reverence and even veneration. In Baghdad the tomb of the greatest saint of all, 'Abd al-Qādir al-Jīlānī, is visited every year by large numbers of pilgrims from all over the Muslim world.

By the late 20th century, the Ṣūfī shrines, which were managed privately in earlier periods, were almost entirely owned by governments and were

managed by departments of awqāf (plural of waqf, a religious endowment). The official appointed to care for a shrine is usually called a mutawallī. In Turkey, where such endowments formerly constituted a very considerable portion of the national wealth, all endowments were confiscated by the regime of Atatürk (president 1928–38).

The mosque

The general religious life of Muslims is centred around the mosque. In the days of the Prophet and early caliphs, the mosque was the centre of all community life, and it remains so in many parts of the Islāmic world to this day. Small mosques are usually supervised by the imām (one who administers the prayer service) himself, although sometimes also a muezzin is appointed. In larger mosques, where Friday prayers are offered, a khatīb (one who gives the khutbah, or sermon) is appointed for Friday service. Many large mosques also function as religious schools and colleges. In the early 21st century, mosque officials were appointed by the government in most countries. In some countries—e.g., Pakistan—most mosques are private and are run by the local community, although increasingly some of the larger ones have been taken over by the government departments of awqāf.

Holy days

The Muslim calendar (based on the lunar year) dates from the emigration (hijrah) of the Prophet from Mecca to Medina in AD 622. The two festive days in the year are the 'īds, 'Īd al-Fitr celebrating the end of the month of Ramadān and 'Īd al-Adhā (the feast of sacrifice) marking the end of the pilgrimage. Because of the crowds, 'īd prayers are offered either in very large mosques or on specially consecrated grounds. Other sacred times include the

“Night of Power” (believed to be the night in which God makes decisions about the destiny of individuals and the world as a whole) and the night of the ascension of the Prophet to heaven. The Shī'ah celebrate the 10th of Muharram (the first month of the Muslim year) to mark the day of the martyrdom of Husayn. The Muslim masses also celebrate the death anniversaries of various saints in a ceremony called 'urs (literally, “nuptial ceremony”). The saints, far from dying, are believed to reach the zenith of their spiritual life on this occasion.

Religion and the arts

The visual arts

The Arabs before Islām had hardly any art except poetry, which had been developed to full maturity and in which they took great pride. As with other forms of culture, the Muslim Arabs borrowed their art from Persia and Byzantium. Whatever elements the Arabs borrowed, however, they Islāmized in a manner that fused them into a homogeneous spiritual-aesthetic complex. The most important principle governing art was aniconism; i.e., the religious prohibition of figurization and representation of living creatures. Underlying this prohibition is the assumption that God is the sole author of life and that a person who produces a likeness of a living being seeks to rival God. The tradition ascribed to the Prophet that a person who makes a picture of a living thing will be asked on the Day of Judgment to infuse life into it, whether historically genuine or not, doubtless represents the original attitude of Islām. In the Qur'ān (3:49, 5:113), reflecting an account in a New Testament apocryphal work, it is counted among the miracles of Jesus that he made likenesses of birds from clay

"by God's order," and, when he breathed into them, they became real birds, again, "by God's order."

Hence, in Islāmic aniconism two considerations are fused together: (1) rejection of such images that might become idols (these may be images of anything) and (2) rejection of figures of living things. Plato and Plotinus, Greek philosophers, had also dismissed representative art as an "imitation of nature"; i.e., as something removed from reality. The Islāmic attitude is more or less the same, with the added element of attributing to the artist a violation of the sanctity of the principle of life. The same explanation holds for the Qur'ānic criticism of a certain kind of poetry, namely, free indulgence in extravagant image mongering: "They [poets] recklessly wander in every valley" (26:225).

This basic principle has, however, undergone modifications. First, pictures were tolerated if they were confined to private apartments and harems of palaces. This was the case with some members of the Umayyad and 'Abbāsid dynasties, Turks, and Persians—in particular with the Shī'ah, who have produced an abundance of pictorial representations of the holy family and of the Prophet himself. Second, in the field of pictorial representation, animal and human figures are combined with other ornamental designs such as fillets and arabesques—stressing their ornamental nature rather than representative function. Third, for the same reason, in plastic art they appear in low relief. In other regions of the Muslim world—in North Africa, Egypt, and India (except for Mughal palaces)—representational art was strictly forbidden. Even in paintings, the figures have little representational value and are mostly decorative and sometimes symbolic. This explains why plastic art is one of the most limited areas of Islāmic art. The only full-

fledged plastic figures are those of animals and a few human figures that the Seljuqs brought from eastern Turkistan.

Much more important than plastic art were paintings, particularly frescoes and later Persian and Perso-Indian miniatures. Frescoes are found in the Umayyad and 'Abbāsid palaces and in Spain, Iran, and in the harem quarters of the Mughal palaces in India. Miniature paintings, introduced in Persia, assumed much greater importance in the later period in Mughal India and Turkey. Miniature painting was closely associated with the art of book illumination, and this technique of decorating the pages of the books was patronized by princes and other patrons from the upper classes.

Music

Instrumental music was forbidden by the orthodox in the formative stages of Islām. As for vocal music, its place was largely taken by a sophisticated and artistic form of the recitation of the Qur'ān known as tajwīd. Nevertheless, the Muslim princely courts generously patronized and cultivated music. Arab music was influenced by Persian and Greek music. Al-Fārābī, a 10th-century philosopher, is credited with having constructed a musical instrument called the arghanūn (organ). In India, Amīr Khosrow, a 14th-century poet and mystic, produced a synthesis of Indian and Persian music and influenced the development of later Indian music.

Among the religious circles, the Ṣūfīs introduced both vocal and instrumental music as part of their spiritual practices. The samā', as this music was called, was opposed by the orthodox at the beginning, but the Ṣūfīs persisted in this practice, which slowly won general recognition. The great

Ṣūfī poet Jalāl ad-Dīn ar-Rūmī (died 1273)—revered equally by the orthodox and the Ṣūfīs—heard the divine voice in his stringed musical instrument when he said "Its head, its veins (strings) and its skin are all dry and dead; whence comes to me the voice of the Friend?"

Literature

In literature, drama and pure fiction were not allowed—drama because it was a representational art and fiction because it was akin to lying. Similar constraints operated against the elaboration of mythology (see below Islāmic myth and legend). Story literature was tolerated, and the great story works of Indian origin—The Thousand and One Nights and Kalīlah wa Dimnah—were translated from the Persian, introducing secular prose into Arabic. Didactic and pious stories were used and even invented by popular preachers. Much of this folklore found its way back into enlarged editions of The Thousand and One Nights and, through it, has even influenced later history writing. Because of the ban on fictional literature, there grew a strong tendency in later literary compositions—in both poetry and prose—toward hyperbole (mubālaghah), a literary device to satisfy the need of getting away from what is starkly real without committing literal falsehood, thus often resulting in the caricature and the grotesque. Poetry lent itself particularly well to this device, which was freely used in panegyrics, satires, and lyrics. As a form of effective expression, poetry is eminently characteristic of the East. The Arab genius is almost natively poetical with its strong and vivid imagination not easily amenable to the rigorous order that reason imposes upon the mind. This borderline attitude between the real and the unreal was particularly favourable to the development, in all medieval Islāmic literatures of

the Middle East, of the lyric and panegyric forms of poetry wherein every line is a self-contained unit. Much more importantly, it afforded a specially suitable vehicle for a type of mystic poetry in which it is sometimes impossible to determine whether the poet is talking of earthly love or spiritual love. For the same reason, poetry proved an effective haven for thinly veiled deviations from and even attacks on the literalist religion of the orthodox.

Architecture

Architecture is by far the most important expression of Islāmic art, particularly the architecture of mosques. It illustrates both the diversity of cultures that participated in the Islāmic civilization and the unifying force of Islāmic monotheism represented by the spacious expanse of the mosque—a veritable externalization of the all-enveloping divine unity, heightened by the sense of infinity of the arabesque design. The arabesque, though ornately decorative, spiritually represents the infinite vastness of God.

Among the earliest monuments are the mosque of 'Amr built in Egypt in 641–642 and the famous Dome of the Rock of Jerusalem (finished in 691), which, however, is not a mosque but a monument, a concentric-circular structure consisting of a wooden dome set on a high drum and resting on four tiers and 12 columns. The Umayyad ruler al-Walīd (died 715) built the great mosque at Damascus and al-AqṢā Mosque at Jerusalem with two tiers of arcades in order to heighten the ceiling. The early Syro-Egyptian mosque is a heavily columned structure with a prayer niche (mihrāb) oriented toward the Ka'bah sanctuary at Mecca.

In Spanish and North African architecture these features are combined with Roman-Byzantine

characteristics, the masterpieces of Spanish architecture being the famous Alhambra Palace at Granada and the Great Mosque of Córdoba. In the famous Persian mosques, the characteristic Persian elements are the tapered brick pillars, the arches (each supported by several pillars), the huge arcades, and the four sides called eyvāns. With the advent of the Seljuqs in the 11th century, faience decoration (glazed earthenware) of an exquisite beauty was introduced, and it gained further prominence under the Timurids (14th–16th centuries).

In the number and greatness of mosques, Turkey has the pride of first place in the Muslim world. Turkey began with a Persian influence and then later Syrian in the 13th and 14th centuries, but Turkey developed its own cupola domes and monumental entrances. The Turkish architects accomplished symmetry by means of one large dome, four semidomes, and four small domes among them. In the Indo-Pakistan subcontinent, Muslim architecture first employed Hindu architectural features (e.g., horizontal rather than arcuate, or bowlike, arches and Hindu ornamentation), but later the Persian style predominated.

Major: أَساسِيّ، هَامّ، رَئِيسِيّ

To illuminate: أَنَارَ، أَضَاءَ، وَضَّحَ

To consummate: حَقَّقَ، أَكْمَلَ

To subcontinent: شبه قَارَّة

To accentuate: شَدَّدَ، أَبرَزَ

Conspicuous: وَاضِح، لافت للانتباه

Setting: إطَار، مُحِيط، خَلْفِيَّة

Globe: الكرة الأرضية

Phase: مَرْحَلَة، طَوْر

Convert: متحول إلى دين آخر

Catalytic: تَحْفِيزِيّ

To embrace: اعْتَنَقَ

Segment: قِسْم، جُزْء، قِطْعَة

Colonialism: اسْتِعْمار

Concept: تَصَوُّر، مَفْهُوم

Fundamental: أَسَاسِيّ، أَوَّلِيّ، جذْرِيّ

Verbatim: حَرْفِيّ

To reveal: أَفْشَى، كَشَفَ، أَوْحَى، أَظْهَرَ

Legislation: تَشْرِيع، قَانُون

Well-trodden: مطروق

Deed: عَمَل، فِعْل، صَنِيع

Doctrine: تَعَالِيم، مَذْهَب، عَقِيدَة، معتقدات دينية

Operative: نافذ المفعول، فَعَّال، مُؤَثِّر

Substantial: جوهَرِيّ، حَقِيقِيّ

To endeavour: يجتهد، يبذل جهده

Chaotic: تسوده الفوضى

Deduction: اسْتِنْتَاج

Virtually: عمليا، واقعيا، فعليا

Reformer: مُصْلِح

Significance: أَهَمِّيَّة، شَأْن، قَدْر، مَغْزًى

Trinitarianism: عقيدة التّثليث

Vigorously: بقوة، بنَشَاط

To repudiate: تَبَرَّأَ من، تَرَاجَعَ عن، جَحَدَ

Incarnated: مُتَجَسِّد

To encompasse: يشمل، يحيط بـ. . .

Majestic: جَلِيل

Sovereign: مَلِك

Jugular vein: حبل الوريد

Distress: شِدَّة، ضِيق، ضرّاء، بُؤْس

To interpenetrate: . . . تَداخَلَ، تَغَلْغَلَ في

Pagan: جاهلي، وَثَنِيّ

Inexorable: لا يرحم

Uncompromising: عَنِيد، مُتَصَلِّب

Monotheism: تَوْحِيد

Dislocation: انْخِلاع

Theology: عِلْمُ اللاهُوت

Autocratic: مُسْتَبِدّ

Measured out: مُتَنَاسِب، مَوْزُون

To reign: سَادَ، حَكَمَ

Self-sufficient: مكتفٍ ذاتيا، متمتع باكتفاء ذاتى

Species: أنواع

Endowed with: . . . مُنْعَمٌ عليه بـ

Prone to: . . . مَيَّال إلى

To sow mischief on earth: يفسد فى الأرض

To reiterate: كَرَّرَ، رَدَّدَ

In sport: لعبًا ولهوًا

Faltering: مُتَداعٍ، مُتَرَدِّد

To arrogate: يدَّعي بدون حق

Attribute: صِفَة

Cardinal sin: خطيئة جوهرية

Immaculate: خالٍ من العيوب، نَقِيّ

Prompting: حَثّ، دَفْع

To construe: أَوَّلَ، فَسَّرَ

Machination: كَيد، مَكِيدَة

Obdurate: عَنِيد، قاسي الفؤاد، فَظّ

Sinner: آثِم

To redeem: خَلَّصَ، افْتَدَى

Sinlessness: عِصْمَة من الذنوب

Steadfastness: صُمُود

Vindication: تَسْوِيغ، دِفَاع عن. . .، إِثْبات

Integral part of: جزء لا يتجزأ من. . .

Phenomenon: ظَاهِرَة، واقعة نادرة

Transcript: نُسْخَة

Categorically: قَطْعِيًّا، على نحو حاسم

Eschatology: أخرويات، علم الآخرة، الإيمان بالآخرة

To resurrect: بَعَثَ، نَشَرَ

In conformity with: وَفْقًا لـ . . . ، طِبقًا لـ . . .

Requital: عِوَض، جَزَاء

Mete out: يوزع حصصًا

Intercession: شَفَاعَة

Abiding: ثابِت، دَائِم

Corporeal: جَسَدِيّ، عَيْنِيّ، مادِّيّ

Divine: اِلٰهِيّ، سَمَاوِيّ

Ddeep-seated: راسخ، عميق الجذور

To entail: اسْتَتْبَعَ، اسْتَلْزَمَ

In terms of: فيما يخص

Alleviating: مُخَفِّف، مُلَطِّف، مُسَكِّن

Timid: حَيِيّ، خَفِر

To invest: اسْتَثْمَرَ

Usury: رِبًا

To hoard: ادَّخَرَ

The hereafter: الآخرة، الحياة الأخروية

Decay: انحِلال، اضْمِحْلال، تَفَسُّخ

Closely knit: شديد التماسك

Arbitration: تَحْكِيم

Mission: مهمة، رسالة

To enjoin good and forbid evil: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

Outcome: حَصِيلَة، نَتِيجَة، عَاقِبَة

Collective: جَمَاعِيّ، جَمْعِيّ

Internecine: ضَرُوس، مهلك

Installment: قسط، دفْعَة

To modify: عَدَّلَ، غَيَّرَ

Deity: رَبّ، إله

Voluntary: اخْتِيَارِيّ، تَطَوُّعِيّ

Consecrated: مُقَدَّس

The ascension of the Prophet to heaven: معراج الرسول إلى السماء

Zenith: أَوْج، ذُرْوَة

To take pride in: يفتخر بـ . . .

Aesthetic: جَمالِيّ، فَنِّيّ

Figurization: تصوير

Apocryphal: مشكوك في صحته

Sanctity: قَدَاسَة، قُدْسِيَّة

Indulgence: أنهماك

Pictorial: تصويريّ

Fillet: شبكة

Plastic art: فن تشكيلي

Miniature: مُنَمْنَم

Sophisticated: متطور، مُعَقَّد

Synthesis: مركَّب

Akin to: قَرِيب من. . . ، مشابه لـ . . .

Self-contained: متمتع باكتفاء ذاتي، مُسْتَقِلّ

Externalization: تجسيم، تَجْسِيد

Advent: مَجِيء

Faience: قِيشَانِيّ

By means of: بوساطة. . . ، عن طريق. . .

الدراسة

جاء فى "الموسوعة البريطانية" أن الإسلام دين من أديان الأسرة السامیّة. والمقصود أن الإسلام ظهر فى العرب، بمعنى أن النبى الذى نزل عليه ذلك الدين هو نبى عربى، والعرب أمة سامية. هذا ما ينبغى أن نفهمه من العبارة المذكورة، وليس بمعنى أن الإسلام خاصٌّ بأمة واحدة دون غيرها من الأمم، إذ هو دين عالمى لا قومى. وقد جاء فى نصوص القرآن المكية المبكرة أن الله قد أرسل رسوله محمدا إلى الناس كافة، وأرسله رحمة للعالمين جميعا: "وما أرسلناك إلا كافّةً للناس بشيرا ونذيرا" (سبأ/ ٢٨)، "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء/ ١٠٧)، وهو ما أكده النبى عليه الصلاة والسلام حين قال أثناء تعداده للمزايا التى فضله الله بها على سائر الأنبياء: "وبُعِثْتُ إلى الناس كافة"، على حين بُعِثَ كل نبى إلى قومه خاصة. ومن هنا نراه صلى الله عليه وسلم يؤكد أنه "لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح"، كما كان بعض أصحابه من غير العرب كبلال الحبشى وصُهَيْب الرومى وسلمان الفارسى وعبد الله بن سلام الإسرائيلى . . . وهكذا. وفى القرآن الكريم: "يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات/ ١٣).

أما فى الجانب المقابل فمعروفةٌ مثلا قصةُ السيد المسيح عليه السلام حين أتته امرأة من غير بنى إسرائيل تطلب الاستشفاء بمعجزاته، فقال لها إن ما يحتاجه الأولاد يحرم على الكلاب. ذلك أنه عليه الصلاة والسلام إنما بُعث إلى بنى إسرائيل خاصة كما جاء فى القرآن المجيد وكما جاء فى كلامه هو نفسه صلى الله عليه وسلم طبقا لما كتبه مَتَّى فى الإصحاح الخامس عشر من إنجيله: "٢١ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. ٢٢وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدًّا». ٢٣فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لأَنَّهَا تَصِيحُ وَرَاءَنَا!» ٢٤فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ». ٢٥فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعِنِّي!» ٢٦فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». ٢٧فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا!». ٢٨حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ". وقد ذكرتُ عيسى عليه السلام فى هذا السياق باعتباره آخر نبى قبل النبى محمد، وإلا فقد كان كل نبىٍّ سابقٍ على نبينا يُبْعَث إلى قومه خاصة دون غيرهم من البشر، وليس عيسى وحده.

ومن الطبيعى أن أى دين لا بد أن يبدأ فى بقعة معينة من الأرض، ثم إن العبرة بعد ذلك بالهدف النهائى، وهذا ما حدث ولا يزال يحدث للإسلام. وتلك طبيعة الأشياء، إذ يبدأ الشىء صغيرا ثم يكبر، وقد يظل يكبر ويكبر حتى يصير شيئا هائلا. لقد بدأ الإسلام فى جزيرة العرب، بل أُمِر النبى فى بدئه بإنذار عشيرته الأقربين حسبما نقرأ فى الآية الرابعة عشرة بعد المائتين من سورة "الشعراء"، لكنه لم يبق فى مكانه يراوحه، بل شرع منذ لحظاته الأولى يتسع ويتمدد حتى وصل إلى كل مكان فى العالم كما أُرِيدَ له منذ لحظاته الأولى وكما تنبأ له النبى عليه السلام منذ وقتٍ جِدّ مبكر، إذ أكد أن هذا الدين سوف يبلغ من الأرض ما بلغ الليل والنهار.

وقد قالت "الموسوعة البريطانية" هذا صراحة عندما ذكرت أن الدين الذى بلّغه محمد فى البداية لطائفة صغيرة من أتباعه سرعان ما انتشر عبر الشرق الأوسط إلى أفريقيا وأوربا والهند والملايو والصين، وأنه رغم نشوء كثير من الحركات المذهبية داخل الإسلام فإن المسلمين يشعرون بأنهم جميعا ينتمون إلى أمة واحدة تدين بذات الدين:

"The religion taught by Muhammad to a small group of followers spread rapidly through the Middle East to Africa, Europe, the Indian subcontinent, the Malay Peninsula, and China. Although many sectarian movements have arisen within Islām, all Muslims are bound by a common

faith and a sense of belonging to a single community"

وفى الموسوعة أيضا أن الإسلام يقوم على التوحيد المطلق والطاعة التامة له سبحانه، وأنه لا يعرف التثليث النصرانى. والواقع أن هذا هو دين الأنبياء جميعا من لدن آدم حتى محمد آخرهم وخاتمهم. ذلك أن التوحيد الخالص هو حجر الأساس فى أى دين سماوى، فلا شريك له سبحانه ولا أب أو أم أو زوجة أو ابن أو ابنة، وهو وحده الخالق الرازق المحيى المميت. وهذا ما دعا إليه الأنبياء جميعا، كما دَعَوْا إلى طاعته عَزَّ وجَلَّ بالتزام أوامره واجتناب نواهيه وحُبّه الحبَّ كله. يقول سبحانه وتعالى: "وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)" (يونس، على لسان نوح)، "وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)" (البقرة)، "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)" (آل عمران)، "قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ

طِين (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)" (الذاريات)، "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)" (الأعراف، على لسان سحرة فرعون)، "وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)" (يونس)، "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠)" (يونس)، "فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)" (على لسان يوسف عليه السلام فى سورة "يوسف")، "وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)" (المائدة).

لكن ليس معنى ذلك أنه لا توجد أية فوراق بين دين محمد وأديان الأنبياء السابقين عليه. كلا ليس هذا هو المراد، إذ رغم أن الخطوط العامة واحدة فى كل الديانات السماوية فإن ثمّ تفصيلات فى كل دين يتميز بها عن سواه من الأديان، مثلما يتميز كل فرد منا نحن البشر عن غيره من الأشخاص رغم اشتراكنا جميعا فى الملامح الواحدة التى تعمنا كلنا وتفرّق فى ذات الوقت بيننا وبين من سوانا من الكائنات الحيوانية. لكن لا بد من إضافة كلمة سريعة هنا، وهى أن من النصارى طائفة تسمى بـ"الموحّدين:

Unitarians"، فإن كلام الكاتب قد يوحى بأن النصرانية كلها مثلّثة (Trinitarian) . وهذا نص عبارته: " Trinitarianism, the Christian belief that God is three persons in one substance, is vigorously repudiated" .

و لأن الخطوط العامة من توحيد وإجلال لله وإسلام مطلق له هى خطوط واحدة فى كل الديانات السماوية فإن هذه الديانات جميعا تدخل تحت مسمى "الإسلام"، ذلك المصطلح الذى يدل فى نفس الوقت على دين محمد خاصة، وهذا هو الغالب عليه، إذ متى قلنا أو سمعنا تلك الكلمة قفز إلى الذهن فى الحال أن المقصود هو الدين الذى نؤمن نحن أتباع محمد به. أى أن لهذا المصطلح معنيين: معنى عاما يصدق على كل الأديان الإلهية، ومعنى خاصا ينحصر فى آخر دين من هذه الأديان. وقد يكون السبب فى هذا أن دين محمد عليه الصلاة والسلام هو الدين الوحيد الذى بقى على نقائه الأول لم يطرأ على كتابه أى تبديل أو تحريف، فكأنه الدين الوحيد الذى يصدق عليه أنه دين سماوى.

كذلك أشار كاتب المادة إلى إيمان المسلمين بأن نبيهم هو آخر الأنبياء، امتثالا لما جاء فى القرآن من قوله تعالى: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين"، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا العاقب الذى ليس بعده أحد"، "إن مَثَلي ومَثَل الأنبياء من

قبلي كمَثَل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللَّبِنة؟ قال: فأنا اللَّبِنة، وأنا خاتم النبيين"، "إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي. وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"، وكذلك لمحاربته دون أدنى هوادةٍ من ادعى النبوة فى عصره.

وبرغم هذا كله فقد وُجِد فى زماننا هذا من ينتسب زورا إلى الإسلام ويزعم مع ذلك أن قوله عزت قدرته عن محمد إنه "خاتم النبيين" لا يعنى أنه آخر الأنبياء فلا نبى بعده، بل أنه "زينتهم" مثلما أن الخاتم زينة الإصبع، أو أن أيا منهم لا يمكن أن يكون نبيا حقيقيا إلا إذا كان يحمل خاتمه عليه السلام، بمعنى أنه لا بد أن يكون من المؤمنين به. والقائلون بهذا هم أتباع غلام أحمد الهندى، نبى قاديان الكذاب. وقد ظهر هذا الرجل فى القرن التاسع عشر، وكان يزعم أنه على دين محمد رغم هذا كله، ومن ثم يحاول أتباعه أن يحشروا أنفسهم بين فرق المسلمين، على حين أنهم، بادعائهم بقاء النبوة مفتوحة لم يغلق بابها وأن غلام أحمد نبى من الأنبياء، قد فارقوا الإسلام الذى نعرفه وندين به. ومن أنبياء عصرنا المزيفين أيضا بهاء الله والباب، وهما من إيران، وظهرا فى القرن التاسع عشر، ورشاد خليفة المصرى الذى تنبأ فى الولايات المتحدة الأمريكية أواخر القرن الماضى. ومن متنبِّئى مصر فى العقود الأخيرة نبى إسكندرانى كان أبوه

يشتغل حانوتيا، وكان دينه دين إباحية، فكانت تحية الرجال والنساء تبادل القبلات، وكان هو يشاركهم فى هذا الطقس الشاذ. ولما ضيقت عليه السلطات رجع عما كان يزعمه وارتدَّ شخصًا عاديًا، وهو دليل إضافى على كذبه. وأحيانا ما يتّضح للسلطات أن بعض أولئك المدّعين مجانين فتضعهم فى مستشفى الأمراض العقلية.

وقد بدأ ظهور هذا اللون من النبيين فى تاريخ الإسلام منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان هناك مُسَيْلمة وسَجَاح والأسود العَنْسِيّ، ومعروف أن بعضهم رجع إلى الإسلام، على حين قُتِل بعضهم الآخر. كما ظهر فى العصور التالية بعض هؤلاء الأدعياء، ومنهم خفيفو عقل أصحاب نوادر لم يكن القوم يأخذونهم على محمل الجِدّ. وفى "العِقْد الفريد" لابن عبد ربه مثلا: "قال ثمامة بن أشرس: شهدت المأمون أُتِيَ برجل ادَّعَى النبوة وأنه إبراهيم الخليل، فقال المأمون: ما سمعت أجرأ على الله من هذا. قلت: أكلمه؟ قال: شأنك به. فقلت له: يا هذا، إن إبراهيم كانت له براهين. قال: وما براهينه؟ قلت: أُضْرِمَتْ له نار وأُلْقِيَ فيها فصارت بردا وسلاما، فنحن نضرم لك نارا ونطرحك فيها. فإن كانت عليك بردا كما كانت على إبراهيم آمنَّا بك وصدقناك. قال: هات ما هو ألين عليَّ من هذا. قلت: براهين موسى. قال: وما كانت براهين موسى؟ قلت: عصاه التي ألقاها فصارت حية تسعى تلقف ما يأفكون،

وضرب بها البحر فانفلق، وبياض يده من غير سوء . قال: هذا أصعب. هات ما هو ألين من هذا . قلت: براهين عيسى. قال: وما براهين عيسى؟ قلت: كان يحيي الموتى، ويمشي على الماء، ويبرئ الأكمه والأبرص. فقال: في براهين عيسى جئتَ بالطامّة الكبرى. قلت: لا بد من برهان. فقال ما معي شيء من هذا . قد قلت لجبريل: إنكم توجهونني إلى شياطين، فأعطوني حجة أذهب بها إليهم وأحتج عليهم، فغضب وقال: بدأتَ أنت بالشر قبل كل شيء . اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم. وقال: هذا من الأنبياء لا يصلح إلا للحُمُر . فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا هاج به مُرَار، وأعلام ذلك فيه. قال: صدقتَ. دَعْهُ" . وفى "التذكرة الحمدونية" للحمدونى: "تنبأ رجل في أيام المتوكل، فأحضره وقال له: ما صناعتك؟ قال: رَوّاس (أى بائع لحم الرأس) . قال: صناعة قذرة! فقام المتنبئ ينفض ثيابه. فقال: إلى أين؟ قال: أذهب أقول لهم: القوم متقذّرون، يريدون نبيا عطارا" .

ومن القضايا المهمة التى عالجها كاتب المادة أيضا ما هو معلوم عن الإسلام من أنه دين يجمع بين الروحى والدنيوى معا ، أى أنه دين ودولة، إذ لا يقتصر على خلاص الفرد فحسب، بل يضع أيضا التشريعات التى تنظم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما ينفرد به عن سواه من الأديان، وإن كان من الناس من يزعمون أنه لا يتميز عنها بشىء، وهو

ما يُعَدّ جهلا فاحشا منهم أو قياسا خاطئا على الأديان الأخرى أو إفسادا عن عمد وسبق إصرار بغية خلط الأوراق ونشر الاضطراب فى المفاهيم. إن الإسلام يشرّع للتجارة والبيع والشراء والاحتكار والرق والربا والزنا والسرقة والخمر والزكاة والزواج والطلاق والخُلْع والحكم والشورى والقتال والمعاهدات والخروج على السلطان. . . إلخ، إلى جانب العبادات والروحيات، وله فى كل ناحية من هذه النواحى بصمته المتميزة التى لا تخطئها العين. فمن غير المعقول إذن أن يتجاهل بعض الناس هذا كله زاعمين أنه ينبغى حصره داخل جدران المساجد أو وراء أسوار الضمير الشخصى فقط.

لكن زعم الكاتب بأن المسلمين مأمورون بتطبيق نظامهم هذا عن طريق الجهاد، أى القتال، شىء لا أساس له. ذلك أن المسلمين مأمورون بألا يقاتلوا إلا الذين يقاتلونهم: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)" (البقرة). كذلك فهم يقرأون فى كتابهم المجيد قوله تعالى على سبيل المثال: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)" (الممتحنة). وفى الحديث الشريف: "لا تتمنَّوْا

لقاء العدو، وسَلُوا الله العافية" . وقد أُثِر عنه صلى الله عليه وسلم أيضا تسميته الجهاد اليومى بعيدا عن ميدان القتال بـ"الجهاد الأكبر"، يقصد جهاد العمل والإنتاج والإبداع والإتقان والسعى على المعاش والجرى وراء تحصيل العلم ومغالبة البشر نقاط ضعفهم ومكامن أهوائهم، إذ قال ذات يوم مَرْجِعَه من إحدى الغزوات: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، وإن كان علماء الحديث لا يطمئنون إلى هذا الأثر رغم مسايرته لروح الإسلام وتغيّيه أهدافه العليا فى بناء الحضارة وإعمار الأرض وفسح السبيل واسعة فى وجه المواهب الإنسانية التى نبّه الله سبحانه وتعالى ملائكته إليها وبَيَّنَ لهم فضلها وأهميتها البالغة فى جعل الإنسان خليفة فى الأرض حسبما نقرأ فى الآيات ٣٠- ٣٤ من سورة "البقرة" .

ولست أتصور كاتب المادة إلا يعرف هذا الذى أقول، لكن ذلك هو ما يحب الغربيون سماعه وترويجه لأنه من مقتضيات الحرب الثقافية التى يقصدون بها تحطيم الروح المعنوية لدى المسلمين وتشكيكهم فى دينهم وفى أنفسهم وإقناعهم بأن الإسلام هو دين العدوان وأن انتشاره رهن بالإكراه وشن الحروب. وهم بهذا يهدفون إلى قلب الأوضاع، فبدلا من أن يقروا بأنهم هم المعتدون وأنهم هم الذين احتلوا ديار المسلمين لعقود وعقود، بل لقرون فى بعض الأحيان، ويحتلون حاليًا بعض تلك الديار ظلما وعدوانا، نراهم يتهمون المسلمين بما يرتكبونه هم من جرائم ومنكرات. وإذا كان

بعض شباب الإسلام ورجاله يتصَدَّوْن اليوم للعدوان الغربى على بلاد المسلمين فهذا حقهم بل واجبهم الذى يدانون أشد الإدانة لو لم ينهضوا به. ولقد كان ينبغى أن تهبّ الأمة كلها على بَكْرة أبيها تتصدى لهذا العدوان الإجرامى، إلا أنها قد فرّطتْ فى ذلك تفريطا شنيعا تاركة بعض الفئات من أولئك الشبان والرجال المباركين تحمل على كاهلها وحدها هذا العبء الفادح الثقيل. ومع هذا فإن الغربيين لا يطيقون أن يَرَوْا هذه الشعلة الضئيلة مضيئة، ويريدون أن يسود الظلام المطبِق المطلَق الدامس اليائس فلا يكون هناك أى تصدٍّ لمخططاتهم الوحشية ضد الإسلام والمسلمين، وبذلك ينتهى تماما الجهاد الفلسطينى ضد إسرائيل، والجهاد العراقى والأفغانى ضد أمريكا، والجهاد الشيشانى ضد روسيا . . . وهلم جرا. إنهم ينكرون علينا حقنا فى الحياة والكرامة والعيش الآمن والأخذ بنصيبنا من طيبات الحياة، ولا يستطيعون أن يَرَوْا إلا أنفسهم. إنها الأنانية فى أبشع صورها رغم ارتباط الغرب فى أذهان الناس بالتحضر والرقى، مع أن تاريخ هذا الغرب فى علاقاته بالآخرين هو تاريخ الدم والإحراق والتدمير، والإفناء أيضا متى تاحت لهم الفرصة. ومن هنا نرى الكاتب يقول إن كلمة "الجهاد" تترجم بـ"holy war"، أى الحرب المقدسة، مع أن الحرب المقدسة هى الحرب التى كانت الكنيسة تشنها على أعدائها لإكراههم على اعتناق النصرانية حسبما هو معروف.

ولعل من المفيد إيراد ما كتبه د. محمد عمارة فى هذا الصدد فى مقال له بعنوان "الفارق بين الجهاد والحرب المقدسة" نشرته جريدة "المصريون" الضوئية بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨م. قال: "في الفكر الغربي خلط بين مفهوم الجهاد الإسلامي وبين ما عرفته ومارسته الكنائس الغربية تحت عنوان "الحرب المقدسة"، التي هي حرب دينية لتغيير العقيدة بالإكراه. ولقد لعب هذا الخلط ولا يزال دورا سلبيا في اتهام الإسلام بالعنف والإرهاب. وللعالمة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة، وهي خبيرة في الحضارتين الإسلامية والغربية، كلام نفيس في تصحيح هذا الخطأ وهذا الخلط تقول فيه: "إن الجهاد الإسلامي ليس هو ما نطلق عليه ببساطة مصطلح "الحرب المقدسة". فالجهاد هو كل سعي مبذول وكل اجتهاد مقبول وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبدا ضد القوى الأمارة بالسوء في أنفسنا والبيئة المحيطة بنا عالميا. فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص والذي ينهل منه المسلم ويستمد الطاقة التي تؤهله لتحمل مسئوليته خاضعا لإرادة الله عن وعي ويقين. إن الجهاد هو بمثابة التأهب واليقظة الدائمة للأمة الإسلامية للدفاع بردع كل القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام. واليوم لا يزال الغرب متمسكا بالحكايات الخرافية التي كانت الجدات يروينها حيث زعم

مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد صلّى الله عليه وآله نشرت الإسلام بالنار وبحد السيف البتّار من الهند إلى المحيط الأطلنطي. ويلح الغرب على ذلك بكل السبل: بالكلمة المنطوقة والمكتوبة، وفي الجرائد والمجلات والكتب والمنشورات، وفي الرأي العام، بل في أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

"لا إكراه في الدين" تلك هي كلمة الإسلام الملزمة، فلم يكن الهدف أو المغزى من الفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه. فكان للنصراني أن يظل نصرانيا، ولليهودي أن يظل يهوديا كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك. ولم يكن أحد لِيُنْزِل أذى أو ضررا بأحبارهم وقساوستهم ومراجعهم، ولبِيَعهم وصوامعهم وكنائسهم. لقد كان أتباع الملل الأخرى بطبيعة الحال من النصارى واليهود هم الذين سَعَوْا سعيًا لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين. ولقد أُلهِموا في ذلك شغفا وافتتانا، فاتخذوا أسماء عربية وثيابا عربية وعادات وتقاليد عربية واللسان العربي، وتزوجوا على الطريقة العربية ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة في أسلوب الحياة العربية والتمدن العربي والسمو والمروءة والجمال، باختصار: السحر الأصيل الذي تتميز به الحضارة العربية والكرم والتسامح وسماحة النفس، كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم. إن سحر

أسلوب المعيشة العربي ذاك قد اجتذب الصليبيين إلى فلكه إبان وقت قصير كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي فولشير الشارتي: "وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين!". ثم راح هذا الفارس يصور إعجابه بالسحر الغريب للشرق العربي بما يعبق به من عطر وألوان تبعث النشوة في الوجدان. ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرا: "أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب بعدما أفاء الله علينا وبدل الغرب إلى الشرق؟!".

ثم تختتم المستشرقة الألمانية شهادتها هذه على اختلاف الجهاد الإسلامي عن الحرب الدينية المقدسة وتقول بعد حديثها عن الجاذبية الحضارية العربية التي فتحت القلوب والعقول أمام الإسلام فتقول: "بهذا انتشر الإسلام، وليس بالسيف أو الإكراه". وفي مقابل هذه الصورة الإسلامية أشارت "سيجريد هونكة" إلى الحرب الدينية التي مارسها الصليبيون ضد المسلمين عندما احتلوا القدس ١٠٩٩م عندما كان البطريرك الصليبي "يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دما، حاصدا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح فأخذ في غسل يديه تخلصا من الدماء، مرددا كلمات المزمور: "يفرح الأبرار حين يَرَوْن عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم". ثم أخذ البطريرك في أداء القُدّاس قائلا: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب". تلك شهادة غربية على الفارق الجوهري والبَوْن

الشاسع بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة التي عرفها وما رسها الغربيون".

على أن كاتب "الموسوعة البريطانية" رغم هذا قد أشار إلى دور الصوفية والتجار المسلمين فى نشر دين النبى العربى فى الهند والصين والشرق الأقصى فيما بعد. إلا أن كلامه عن نشر الإسلام عن طريق الإكراه هو من الخطورة بحيث لا يستطيع ما قاله عن دور المتصوفة والتجار فى هذا المجال أن يُعَفِّيَ عليه. ولسوف يعود الكاتب فيقول: " In fact, according to strict Muslim doctrine, conversions "by force" are forbidden, because after the revelation of the Qur'ān "good and evil have become distinct," so that one may follow whichever one may prefer (Qur'ān), and it is also strictly prohibited to wage wars for the sake of acquiring worldly glory, power, and rule"، ولكنْ للأسف بعد أن يكون كلامه الأول عن نشر الإسلام بالإكراه قد رسخ فى النفس أو كاد.

كذلك فالزعم بأن المساواة فى الإسلام إنما تقتصر على جماعات الأمة الإسلامية وأفرادها فحسب هو زعم خاطئ، إذ الإسلام يعلنها صريحة مدوية بأن الله قد خلق البشر جميعا من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا لا ليتناكروا ويتكبر بعضهم على بعض، وأنه لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح. أما ما يشير إليه المقال من أن أهل الكتاب كانوا يكلَّفون دفع الجزية كلون من ألوان ذلك

التمييز المزعوم بين المسلمين وغيرهم من مواطنى الدولة الإسلامية فهو خطأ أبلق، إذ الجزية ليست إلا مقابلا لإعفاء غير المسلمين من القتال. وبهذا يكون المسلمون قد سبقوا إلى مبدإ إعفاء المواطن من الحرب على أساس ما نسميه الآن: "تحرُّج الضمير"، إذ لمـّا كان أهل البلاد المفتوحة غير مسلمين كانت الحرب تمثّل لهم عبئًا نفسيًّا وأخلاقيًّا أراد الإسلام أن يزيحه عن كاهلهم بطريقة واقعية سمحة. وفضلا عن هذا فإن المسلمين، فى الحالات التى لم يستطيعوا فيها أن يحموا أهل الذمة، كانوا يردون إليهم ما أخذوه منهم من جزية. كذلك من المعروف أن أهل الكتاب لا يكلَّفون كالمسلمين دفع الزَّكَوَات والصَّدَقات. إلا أن الكاتب يتجاهل هذا كله تجاهلا.

والحقيقة أن الإسلام لا يفرق بين المسلم وغيره على عكس ما يَدَّعِى الكاتب. وكلنا على علم ببنود الصحيفة التى كتبها النبى غداة وصوله إلى المدينة لتنظيم العلاقة بين المسلمين واليهود والتى أرست المساواة المطلقة بين الطرفين دون أية إشارة إلى جزية أو غيرها. أما قوله تعالى: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)" (التوبة) فهو رهن بعدوان أهل الكتاب علينا، إذ نزلت الآية فى الروم، الذين كانوا يجيشون الجيوش على حدود دولة الإسلام ينوون

العدوان عليها واجتياحها بغية القضاء على الدين الناشئ دون أن يكون قد فَرَط منه أية إساءة إلى أولئك الغزاة المستعمرين الذين كانوا يحتلون بلاد المنطقة منذ وقت بعيد . ومثل ذلك العدوان لا ينبغى أن يمر مرور الكرام، بل لا بد أن يدفع الروم المعتدون ثمنه غاليا . ومع هذا فإن الإسلام لا يغالى بذلك الثمن، بل يقصره على مبلغ تافه يدفعه الرجال وحدهم من الأمة الباغية سنويا دون النساء والأطفال والشيوخ ورجال الدين، أى يدفعه المحاربون فقط بعدما شربوا من كأس الهزيمة التى كانوا يريدون تجريعها للمسلمين.

وعلى كل فالنصارى مثلا مأمورون بحكم دينهم أن يطيعوا أى سلطان يعيشون فى ظله وأن يعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، كما قال المسيح عليه السلام (متى/ ٢٢/ ١٧– ٢١، و١٢/ ٢٤– ٢٥، ومرقس/ ١٢/ ١٤– ١٧) . كما أصدر بولس أمره لهم بالخضوع لأية حكومة تتسلط عليهم لأن هذا التسلط هو بقَدَر من الله كما قال لهم، ومن ثم لا ينبغى التمرد عليها، بل لا بد من دفع الجزية والجبايات دون أى تذمر: "[١]لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ، [٢]حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. [٣]فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ

الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، ⁴لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. ⁵لِذلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ. ⁶فَإِنَّكُمْ لأَجْلِ هذَا تُوفُونَ الْجِزْيَةَ أَيْضًا، إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللهِ مُوَاظِبُونَ عَلَى ذلِكَ بِعَيْنِهِ. ⁷فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية/ ١٣/ ١- ٧).

ومما قاله الكاتب ويحتاج إلى المراجعة والتعقيب عليه أيضا بما يجلّى وجه الحقيقة فيه قوله إن "السُّنَّة" فى الجاهلية كانت تعنى القانون العام أو القَبَلِىّ. إلا أن الشواهد الشعرية التى استطعت أن أضع يدى عليها ترينا أنها كانت تعنى ضروب الخلق الكريم أو طرائق السلوك النبيل التى كان ينتهجها العربى وراثة عن آبائه وأجداده. ومن ذلك الأبيات التالية، وهى للأفوه الأودى والمتلمّس الضبعى والنابغة الذبيانى وزهير بن أبى سلمى على التوالى:

نَحْــنُ أَوْدٌ وَلأَوْدٍ سُنَّــةٌ شَرَفٌ لَيسَ لَنا عَنهُ قِصَارُ
سُنَّــةٌ أَوْرَثَنــاها مَذحِجٌ قَبلَ أَن يُنسَبَ لِلناسِ نِزارُ

. . . .

وَلِكُلِّ ساعٍ سُنَّةٌ مِمَّن مَضى　　تَنْمِي بِهِ فِي سَعيِهِ أَو تُبدِعُ

***

لأُورِثَ بَعْـدي سُنَّةً يُقتَدى بِها　　وَأَجلوَ عَن ذي شُبهَةٍ أَن تَوَهَّما

***

ياعامِ لَم أَعرِفكَ تُنكِرُ سُنَّةً　　بَعدَ الذينَ تَتابَعوا بِالمَرصَدِ

***

أَرُونا سُنَّةً لا عَيبَ فيها　　يُسَوَّى بَينَنا فيها السَّوَاءُ

كذلك قد يُفْهَم من قول كاتب المادة إن للشيعة كتبا للحديث خاصة بهم أن تلك الكتب تختلف تماما عن كتب أهل السنة، على حين أن ثم أحاديث كثيرة مشتركة بين الطائفتين، فضلا عن أن الكثير من هذا المشترك يتطابق لفظاً أو يكاد كما هو معلوم لكل من اطلع على تلك الكتب لدى الطائفتين.

وعند حديث الكاتب عن مفهوم الألوهية فى الإسلام نراه يقول إن المسلمين يعتقدون أن الله موجود فى كل مكان، وهو ما يمكن أن يُفْهَم على أنه سبحانه وتعالى متحيز داخل الأمكنة المختلفة. لكنْ ينبغى التنبه إلى أن هذا ليس إلا انعكاسا لإمكانات اللغة البشرية المحدودة، وإلا فالله لا يمكن أن يوجد "فى" المكان ولا "فى" الزمان، لأنه سبحانه وتعالى خالق الزمان

والمكان وأكبر منهما، ومن ثم لا يمكنهما أن يحتوياه. وكل ما هنالك هو أن العبارة المذكورة تحاول أن تنفى عنه جل وعلا انحصاره داخل مكان معين كما يعتقد بعض الناس أو كما يُفْهَم من اعتقادهم، مما يخالف قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم" مثلا، وإن كانت معيته لنا لا ينبغى أن تجور على مفهوم الألوهية المطلق من كل قيد مكانى أو زمانى. إنها طبيعة اللغة لا أكثر ولا أقل، تعالى الله عما لا يليق به سبحانه.

وعلى نفس المنوال نجد كاتب المادة، لدن حديثه عن الجن، يذكر أن هذا الجنس من المخلوقات المجبولة من النار أميل إلى الشر من الإنسان. وهذا يخالف ما يقوله القرآن، إذ نقرأ فيه قوله تعالى: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) . . . وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) . . . وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)" (الجن). فمن هذا النص يتبين لنا أن كلا من الفريقين المنتميين إلى الجن مهيأ لقبول دعو الحق أو الصدود عنها دون أية تفرقة بينهما. ولعل الكاتب يقصد الشياطين، وهم تلك الطوائف من الجن التى يغلب عليها الشر، أو قل: إنها هى الشر المحض، ومنهم إبليس. وإذا

كان الشيء بالشيء يذكر فليس الشياطين هم أشرار الجن فحسب، بل يطلق هذا اللفظ على أشرار الإنس أيضا . إلا أنه، لَدُنْ إطلاقه على أشرار الجن، إنما يطلق عليهم بالأصالة، بخلاف استعماله لأشرار الإنس، فهو استعمالٌ مجازيٌّ.

وعلى نفس المنوال فى الفهم الخاطئ نرى الكاتب يصنّف إبليس ضمن الملائكة، وهذا غير صحيح، إذ يذكر القرآن فى سورة "الكهف" أن إبليس "كان من الجن ففَسَقَ عن أمر ربه"، فهو إذن من الجن لا من الملائكة. ويؤكد هذا بلا أدنى ريب أو جدال نصُّ القرآن فى سورة "البقرة" و"الإسراء" وغيرهما على أن إبليس مخلوق من نار، وقولُه فى مواضع متعددة منه إن الجن هم أيضا قد خُلِقوا من ذات العنصر النارى، بما يعنى أن إبليس إنما ينتمى إليهم لا إلى الملائكة. ليس ذلك فقط، بل إن الكاتب قد جعل المنافسة المعرفية (the competition of knowledge) بين آدم وإبليس، على حين أنها إنما كانت بين آدم والملائكة كما هو منصوص عليه فى سورة "البقرة"، وهى المنافسة التى خسرها الملائكة، وليس إبليس كما يقول الكاتب. والمقصود بالمنافسة المعرفية ما ذكره القرآن فى قوله عز شأنه: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ

كلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)" (البقرة) .

والواقع أن الكاتب يُسْقِط على النص القرآنى مفهوم "الشيطان" عند أهل الكتاب، فهو هناك ملاك ساقط (a fallen angel- un ange déchu)، بمعنى أنه كان ملاكا ثم سقط من علياء الملائكية إلى حضيض الشيطانية جرّاء عصيانه أمر ربه. فتحت عنوان "شيطان" فى "دائرة المعارف الكتابية" مثلا نقرأ أن "الشيطان. . . قائد هيئة ضخمة متضامنة من الكائنات الروحية هم "ملائكتـــه" (مت ٢٥: ٤١ ، رؤ ١٢: ٧) ، وأنه "كرئيس سلطان الهواء" (أف ٢: ٢) يوجه بمهارة جيشا منظما من الأرواح الشريرة في السماويات يأتمرون بأمره (أف ٦: ١٢) . فالملائكة الساقطون الموالون للشيطان (رؤ ١٢: ٤ و٧ و٩) يحتفظون برتبهم وألقابهم ومراكزهم التي سمح لهم بها الله"، وأن كلمات. . . يسوع في (يو ٨: ٤٤) تبين أن الشيطان كائن ساقط. والقول بأنه "لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حـــق" (يو ٨: ٤٤) لا تدل على سقوطه في الماضي فحسب، بل على

طبيعته الجاحدة الناتجة عن سقوطه. وقد وقع الشيطان تحت دينونة الله لكبريائه (١ تي ٣: ٦)". وبالمثل نقرأ في النسخة الإنجليزية من "الويكيبيدا: Wikipedia" السطور التالية في مادة "Fallen Angel":

"In most Christian traditions, a fallen angel is an angel that has been exiled or banished from Heaven. Often such banishment is a punishment for disobeying or rebelling against God. The best-known fallen angel is Lucifer. Lucifer is a name frequently given to Satan in Christian belief".

وهو ما لا يبعد عما تقوله مادة "Ange Déchu" فى النسخة الفرنسية من تلك الموسوعة، إذ نطالع فيها ما يلى:

"Le Diable est fréquemment qualifié d'ange déchu, sans qu'aucun texte de l'ancien ou du nouveau testament ne vienne confirmer directement cette déchéance. Il en va de même pour tous les démons et les divers avatars du Diable, tel Méphistophélès dans la légende de Faust. Du fait de plusieurs interprétations liées à la traduction d'un passage d'Isaïe, Lucifer est devenu dans la tradition chrétienne le symbole de l'ange déchu: « Comment es tu tombé des cieux, Astre du matin, fils de l'aurore? Comment as tu été jeté par terre, toi qui vassalisais toutes les nations?".

ولا ينبغى أن يتحجج أحد بأن القرآن، عند الكلام عن سجود الملائكة لآدم امتثالا للأمر الإلهى، دائما ما يستثنى إبليس، بما يدل على أنه داخل فيهم، وإلا ما استُثْنِىَ منهم. والواقع أن الرد على ذلك سهل

ميسور، فكثيرا ما يكون المستثنى غير داخل فى جنس المستثنى منه كما هو الحال فى المثال النحوى المشهور: "قام الطلاب إلا حمارا"، بمعنى أن الطلاب قد قاموا، إلا أن الحمار لم يشاركهم القيام، بل ظل رابضا فى موضعه لا ينهض. وبطبيعة الحال فإن الحمار ليس من جنس الطلاب، فهو حيوان، وهم بشر. وعلى هذا فقوله تعالى فى قصة الخلق عن الملائكة: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" (البقرة/ ٣٤) ليس معناه أن إبليس كان واحدا من الملائكة، الذين أُمِرُوا بالسجود لأبى البشر، بل معناه أنه لم يرد المشاركة فى السجود مع من أُمِرُوا بذلك، ثم زاد فأعلن التمرد قائلا إنه أفضل من آدم، ومن ثم لا يصح أن يسجد له. ويمكن صياغة العبارة على النحو التالى الذى يسهل فهمه على القارئ العصرى غير المتمرس بأساليب العربية فى عصورها القديمة: "فسجد الملائكة كلهم، غير أن إبليس لم يُرِدْ أن يسجد معهم". ويتضح هذا المعنى تماما إذا قرأنا قوله سبحانه فى موضع آخر من القرآن الكريم: "فسجد الملائكة كلهم أجمعون* إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" (الحِجْر/ ٣٠- ٣١).

وفى القرآن عدد غير قليل من شواهد الاستثناء المنقطع مثل: "قالوا (أى ملائكة العذاب): إنا أُرْسِلْنا إلى قومٍ مجرمين* إلا آل لوط، إنا لمنجّوهم أجمعين" (الحجر/ ٥٨- ٥٩)، "طه* ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى* إلا تذكرة لمن يخشى" (طه/ ١– ٣)، "فإنهم (أى الأصنام) عدوٌّ لى إلا رب العالمين" (الشعراء/ ٧٨)، "لا يسمعون (أى أهل الجنة) فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلاً: سلاما سلاما" (الواقعة/ ٢٥– ٢٦) . . . وهكذا . ثم إن الملائكة فى الإسلام لا يمكن أن يخالفوا عن أمر الله فى شىء مهما دق، فهم "لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤْمَرون" كما ورد فى الآية السادسة من سورة "التحريم" . كما أنهم "لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون"، و"من خشيته مشفقون" (الأنبياء/ ٢٦– ٢٧) . وبالمناسبة فإن ما قاله الكاتب عن طبيعة الشيطان فى الإسلام قد وجدته بالمصادفة فى معجم "Concise Oxford English Dictionary"، حيث نقرأ فيه أن الشيطان فى المرويات النصرانية واليهودية والإسلامية هو ملاكٌ تمرَّدَ على الله فطُوِّح به من الجنة إلى الأرض: "(in Christian, Jewish, and Muslim tradition) an angel who rebelled against God and was cast out of heaven".

ومما ينبغى أيضا التنبيه إلى افتقاره للدقة من كلام الكاتب ما قاله خلال حديثه من أن الإسلام يتطلب من المؤمن به العلوّ فوق أنانيته والخروج من شرنقة نفسه بحيث يفكر فى الآخرين أيضا، وهو ما نوافق الكاتب عليه، لكنه سرعان ما يضيف قائلا إن المسلم مطالب بأن ينفق ما يملك على الآخرين. وهذه الإضافة تحتاج إلى تعقيب حتى لا يظن القارئ أن

الإسلام لا يرضى من أتباعه بأقل من الخروج الكامل عما يملكون والتنازل عنه للآخرين. ذلك أن كل ما يطلبه دين محمد عليه الصلاة والسلام هو إخراج جزء معين من المال عند بلوغ ذلك المال نصابا معينا، وإن لم يكن ثم ما يمنع من أن يزيد الكرماء نسبة ما يعطونه لأولئك الآخرين. أما التنازل الكامل كما توحى عبارة الكاتب فغير مطلوب، علاوة على أن كلام الموسوعة لو كان صحيحا لكان معناه أن يتنازل الآخرون بدورهم عن ذلك المال إلى غيرهم، الذين سوف يجب عليهم أيضا أن يتنازلوا عنه إلى من سواهم . . . وهكذا دواليك، وهو ما لا يقول به أحد لأنه لا معنى له ولا جدوى منه، بل عبث فى عبث. وأتصور أن الكاتب لا يقصد هذا، وكلّ ما يؤخَذ عليه هو افتقار كلامه إلى الدقة كما قلت. وهذه عبارته فى أصلها الإنجليزى: " One must go out of oneself and expend one's possessions for the sake of others". ومع هذا فيحمد له إبرازه أهمية الزكاة ومساعدة المحتاجين فى الإسلام، وبخاصة حين يقول إن تأدية الصلاة والقيام بغيرها من شعائر الدين تظل ناقصة ما لم يخرج المسلم صدقات ماله. والملاحظ بوجه عام أن كثيرا من المسلمين هذه الأيام يركزون تركيزا مخلا على العبادات التى لا تكلف مالا، أو على الأقل: تلك التى لا يستفيد منها الآخرون، وبخاصة أن الدولة الإسلامية قد رفعت يدها منذ زمن بعيد عن جمع الزكاة وتوزيعها فى

مصارفها المعروفة وتُترك الأمر لضمير كل فرد يفعله أو لا يفعله حسبما يتراءى له، مع أن إخراج الصدقات هو أحد المحكّات الدقيقة التى تبرهن على صدق تدين الشخص وإخلاصه، ونجاته أو خسرانه.

كذلك ففى سياق كلام الكاتب عن وجوب إيمان المسلمين بالكتب المنزَّلة نراه يذكر كتب اليهود والنصارى. وكان ينبغى أن يكون أكثر تحديدا، إذ المطلوب من المسلم هو الإيمان بالتوراة والإنجيل لا كتب اليهود والنصارى. ذلك أن التوراة والإنجيل فى الإسلام هما كتابان سماويان، أما كتب اليهود والنصارى الحالية فهى، فى حكم الإسلام، من وضع البشر، بغض النظر عما يؤمن به أصحابها من أن الذين كتبوها إنما كتبوها بإلهام من السماء. وعلى نفس النهج لا بد من الإشارة إلى عدم دقة الكاتب حين ذكر أن موعد صلاة العشاء هو قبل الذهاب إلى السرير. تُرَى ماذا لو ظل الشخص مستيقظا طوال الليل حتى يبزغ الصباح فلم يذهب إلى السرير؟ أوَتسقط عنه حينئذ؟ تُرَى ماذا لو أراد أن ينام بعد الغروب مثلا؟ أوَيتقدم موعدها إلى ذلك الوقت؟

وفى الحج نلحظ تأكيد المؤلف لتقبيل الحجر الأسود أو لمسه بوصفه شعيرة من شعائر الحج الأساسية رغم أنه ليس كذلك، إذ هو سنة يأتيها من يشاء ويتركها من يشاء، وبخاصة أن قيام كل حاجٍّ بذلك فى ظل ازدحام الأعداد الرهيبة التى تقبل على تأدية تلك الفريضة هذه الأيام هو

ضرب من المستحيل. وبالمثل ليس شرطا أن تكون هناك خطبة فى عرفة على عكس ما يذكر الكاتب. ثم إن الشيعة لا يسمون زيارة كربلاء فى العراق، ومشهد فى إيران، حيث قُتِل الحسين رضى الله عنه فى الأولى ودُفِن علىٌّ الرضا فى الثانية: "حِجًّا"، بل زيارة. ذلك أن "الحج" مصطلح معروف يُطْلَق على الشعيرة المعروفة، فلا ينبغى الخلط بينه وبين أية طقوس أخرى، وبخاصة أن أصحاب تلك الطقوس لا يسمونها كذلك، وهو ما ينطبق كذلك على زيارة أضرحة من يُسَمَّوْن بـ"الأولياء" عند المتصوفة ومن يتابعونهم.

فإذا انتقلنا إلى مجال الموسيقى والغناء راعنا قول الكاتب إن الموقف السائد فى بداية الإسلام هو التحريم. وهذا يناقض ما جاءت به بعض الأحاديث النبوية من أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بعض من حوله بأن يكون هناك غناء وضرب على الدُّفّ فى زفاف فتاة أنصارية، وكان الدف هو الآلة المعروفة، أو على الأقل: الشائعة، أوانذاك. فعن عائشة رضى الله عنها وأرضاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألها: "ما فعلت فلانة؟ ليتيمة كانت عندها. فقلت: أهديناها إلى زوجها. قال: فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول: أتيناكم أتيناكم، فحيُّونا نحيّيكم. لولا الذهب الأحمر ما حلَّتْ بواديكم. لولا الحنطة السمراء ما سَمِنَتْ عَذَارِيكم". صحيح أن من

المفسرين من يشرح قوله تعالى فى الآية السادسة من سورة "لقمان": "وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ" على أساس أن "لهو الحديث" هو الغناء. بَيْدَ أن شرح الآية على هذا النحو، وعلى هذا النحو فقط وبإطلاق، لا يستقيم، إذ الكلام فيها عن واحد من المشركين كان يعمل على إلهاء الناس وصرفهم عن رسول الله كلما أتى صلى الله عليه وسلم إلى مجلس من مجالس قريش يدعوهم إلى الدين الجديد، إذ كان يسارع فيلهيهم بأساليبه الشريرة عما يتلوه عليهم الرسول من قرآن كريم.

وفى تفسير "الكشاف" لهذه الآية أن "اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني. و"لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ" نحو السَّمَر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي مِنْ كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقار، وما أشبه ذلك. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتّجِر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن. وقيل: كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قَيْنَته فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه". وحتى

لو كان المراد هو الغناء فلا بد لتحريمه أن يكون ذلك الغناء من أجل صرف الناس عن سبيل الهدى إلى سبيل الضلالة استهزاءً بالحق وأهله كما تقول الآية صراحةً. ولنلاحظ ما فى كلام النضر عن قتال المسلمين بين يدى الرسول من غرابة شديدة، إذ كان النضر فى مكة، أى قبل الهجرة وقبل أن يُشْرَع القتال، ومن ثم لا يعقل أن يشير إلى قتال قبل أن يكون قتال. وفى الآية الثامنة والعشرين من سورة "فصلت": "وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" ما يدل على أن تفسير الآية على النحو الذى نميل إليه هو التفسير الأقرب إلى المراد، فليس الغناء هو المراد بعينه، بل الإلهاء عن سماع الحق والتمعن فيه خوفا من الميل إليه واعتناقه.

وفى البخارى ومسلم عن عائشة، واللفظ لمسلم: "دخل عليَّ أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعَاث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا". ولا يعقل أن تكون حياة المسلم كلها جهامة وجِدًّا ووقارا دائما لا ترفيه فيه.

ثم إن فى الغناء الخير والشر، وما يحض على الحق وما يَصْرِف إلى الباطل، فكيف يأخذ الغناء كله حكما واحدا؟ لو كان الأمر كذلك ما حلّ شيء فى الوجود، إذ ما من شيء فى الدنيا إلا ويمكن استعماله، متى

شئنا، فى الإثم والبهتان؟ كل ما هو مطلوب ألا يكون فى الغناء ميوعة وإغراء بالشهوات أو ترويج لأفكار ضارة، وألا يصرف صاحبه عن القيام بواجباته الدينية والاجتماعية والعلمية والسياسية وما إليها. وهناك قول مأثور ينبغى استصحابه هنا، وهو "رَوِّحُوا عن القلوب ساعةً بعد ساعة، فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ".

وحين يصل الكلام إلى فن الأدب نفاجأ بالكاتب يدَّعى أن الفن القصصى مرفوض فى الإسلام لقيامه على الكذب. والواقع أن هذا الكلام لا يدخل العقل، فالكذب هو تعمد حكاية ما جرى على غير وجهه الذى وقع به بغية تضليل السامع لغرض من الأغراض السيئة، أما الفن القصصى فليس فيه تعمد كذب، بل يُقْصَد به التسلية وضرب المثل واستخلاص العبرة واستعراض المهارة اللغوية والفنية، مما يشغف به البشر فى الحضارات والثقافات المختلفة فى كل العصور. وليس من المعقول أن يكون علماؤنا القدامى كلهم بهذه العقلية السطحية الساذجة، وفيهم فطاحل المفكرين والفلاسفة والنقاد والمفسرين والفقهاء من كل لون وشكل ومذهب. بل لقد تناول بعض كبارهم الكلام فى هذا الفن، كالجاحظ وأبى هلال العسكرى وابن الأثير وغيرهم، ولم يقل أى منهم شيئًا مثل هذا بتاتا. صحيح أن فى بعض كتب التراث زرايةً على القُصّاص المسجديين الذين يتصدَّوْن لوعظ الجماهير بأسلوب التهويل الكاذب والمبالغات الفاسدة والروايات التى ليس

لها أصل، لكن مبعث هذا الهجوم هو أن أولئك القُصّاص يفسدون بهذه الطريقة على العامة أمر دينهم. فهذا الموقف حيال القُصّاص لا يعود إذن إلى كراهية أو احتقار لفن القصص فى حد ذاته، بل إلى أن كثيرا من طائفة القصاصين كانوا عوامّ الفكر يعتمدون فى وعظهم على الخرافات والمبالغات والتهويلات التى لا يقبلها العقل ولا تصدّقها تجارب الحياة ناسين خرافاتهم ومبالغاتهم إلى الدين ذاته، موهمين الناس أنها من أحاديث النبى عليه السلام. كما كان بعضهم يتخذ من هذا العمل سبيلا إلى الرواج لدى العامة. وعلى العكس من ذلك نجد الجاحظ مثلا يعلى من شأن القُصّاص المخلصين كما نقرأ فى كتابه: "البيان والتبين".

ولكى تتضح الصورة ويعرف القارئ أن ذلك الموقف من القُصّاص لم يكن تعبيرا عن رفض القَصَص بوصفه فنا أدبيا بل رفضا للخرافات والمبالغات وإفساد الدين واستغلاله فى الرواج عند العامة وأكل الدنيا به ما كتبه عدد من علماء الدين فى تلك العصور: فقد قال ابن قتيبة مثلا فى "تأويل مختلف الحديث" إن "الحديث يدخله الشَّوْب والفساد من وجوه ثلاثة: منها الزنادقة واجتيالهم للإسلام وتهجينه بدَسّ الأحاديث المستشنَعَة والمستحيلة... والوجه الثانى: القُصّاص على قديم الزمان، فإنهم يُميلون وجوه العَوَامّ إليهم ويستدرّون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوام القعود عند القاصّ ما كان حديثه عجيبا

خارجا عن فِطَر العقول أو كان رقيقًا يحزن القلوب ويستغزر العيون. فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها مِيلٌ في مِيلٍ، ويبوّئ الله تعالى وليَّه قصرا من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فِرَاش، على كل فِرَاش سبعون ألف كذا. فلا يزال في سبعين ألف كذا وسبعين ألفا كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها. ويقول لأصغر من في الجنة منزلة عند الله: من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا وكذا ضِعْفًا. وكلما كان من هذا أكثر كان العجب أكثر، والقعود عنده أطول، والأيدي بالعطاء إليه أسرع. والله تبارك وتعالى يخبرنا في كتابه بما في جنته بما فيه مَقْنَعٌ عن أخبار القصاص وسائر الخلق حين وصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض... فكيف يكون عرضها السماوات والأرض، ويعطي الله تعالى أخسَّ من فيها منزلة فيها مثل الدنيا أضعافا؟... ثم يذكر آدم عليه السلام ويصفه فيقول: كان رأسه يبلغ السحاب أو السماء ويحاكّها، فاعتراه لذلك الصلع. ولما هبط إلى الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن. ويذكر داود عليه السلام فيقول: سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب بدموع عينيه، ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات. ويذكر عصا موسى عليه السلام فيقول: كان نابها كنخلةٍ سَحُوقٍ، وعينها كالبرق الخاطف، وعرفها كذا. والله تعالى

يقول: كأنها جانٌّ. والجانُّ خفيف الحيات. . . وحدثني الرياشي قال: نا عبد الله بن مسلمة عن أنس بن عياض عن زيد بن أسلم، قال: وُجِد في حِجَاج رجل من العماليق ضبع وجِرَاؤها . . . وأما الوجه الثالث الذي يقع فيه فساد الحديث فأخبار متقادمة كان الناس في الجاهلية يروونها تشبه أحاديث الخرافة كقولهم إن الضَّبّ كان يهوديًّا عاقًّا فمسخه الله تعالى ضبًّا، ولذلك قال الناس: أَعَقُّ من ضبّ. ولم تقل العرب: "أعقّ من ضَبّ" لهذه العلة، وإنما قالوا ذلك لأنه يأكل حُسُولَه إذا جاع. . . وكقولهم في الهدهد إن أمه ماتت فدفنها في رأسه، فلذلك أنتنت ريحه. . . وكقولهم في الديك والغراب إنهما كانا متنادمين فلما نَفِدَ شرابهما رهن الغراب الديك عند الخمار ومضى فلم يرجع إليه، وبقي الديك عند الخمار حارسا . . . وكقولهم في السِّنَّوْر إنها عطسة الأسد، وفي الخنزير إنه عطسة الفيل، وفي الإربيانة إنها خيّاطة كانت تسرق الخيوط فمُسِخَتْ. . .". وهذا مجرد مثال يمكنك أن تقيس عليه. ويؤكد أيضا ما قلناه من أن هذا ليس دليلا على كراهية القَصَص فى ذاته، بل القَصَص المراد به خداع العوام وترويج الخرافات بينهم للضحك عليهم واستدرار ما فى جيوبهم، أن هناك كتابا كبارا من القدماء قد أَثْنَوْا على مقامات الحريرى مثلا ثناء عظيما، ووقفوا بقوة فى وجه من يحاول التقليل من شأنها لحساب الرسائل.

Islam

(Encarta)

I INTRODUCTION

Islam, one of the three major world religions, along with Judaism and Christianity, that profess monotheism, or the belief in a single God.

In the Arabic language, the word Islam means "surrender" or "submission"—submission to the will of God. A follower of Islam is called a Muslim, which in Arabic means "one who surrenders to God." The Arabic name for God, Allah, refers to the God worshiped by Jews and Christians. Islam's central teaching is that there is only one all-powerful, all-knowing God, and this God created the universe. This rigorous monotheism, as well as the Islamic teaching that all Muslims are equal before God, provides the basis for a collective sense of loyalty to God that transcends class, race, nationality, and even differences in religious practice. Thus, all Muslims belong to one community, the umma, irrespective of their ethnic or national background.

Within two centuries after its rise in the 7th century, Islam spread from its original home in Arabia into Syria, Egypt, North Africa, and Spain to the west, and into Persia, India, and, by the end of the 10th century, beyond to the east. In the following centuries, Islam also spread into Anatolia and the Balkans to the north, and sub-Saharan Africa to the south. The Muslim community comprises about 1 billion followers on all five continents, and Islam is the fastest-growing religion in the world. The most populous Muslim country is Indonesia, followed by Pakistan and Bangladesh. Beyond the Middle East, large numbers of Muslims live in India, Nigeria, the

former republics of the Union of Soviet Socialist Republics (USSR), and China.

One of the reasons for the growth of the Muslim community has been its openness to new members. Children born to Muslim parents are automatically considered Muslim. At any time, a non-Muslim can convert to Islam by declaring himself or herself to be a Muslim. A person's declaration of faith is sufficient evidence of conversion to Islam and need not be confirmed by others or by religious authorities.

II The Teachings of Muhammad

Around the year ad 570 Muhammad, the founding prophet of Islam, was born in Mecca, at the time the central city of the Arabian Peninsula. Some 40 years later Muhammad started preaching a new religion, Islam, which constituted a marked break from existing moral and social codes in Arabia. The new religion of Islam taught that there was one God, and that Muhammad was the last in a series of prophets and messengers. Through his messengers God had sent various codes, or systems of laws for living, culminating in the Qur'an (Koran), the holy book of Islam. These messengers were mortal men, and they included among many others Moses, the Hebrew prophet and lawgiver, and Jesus, whom Christians believe to be the son of God rather than a prophet.

Islam also taught that the Christian Bible (which includes the Hebrew Bible as the Old Testament and an additional 27 books referred to as the New Testament), and the Qur'an were all holy books. According to the Qur'an, the two earlier Scriptures had been altered over time from their original forms given by God, while the Qur'an would remain perfect, preserved by God from such

distortion. In addition to distinguishing itself from the Hebrew and Christian traditions, the new religion taught that the God of Islam had provided humanity with the means to know good from evil, through the prophets and the Qur'an. Therefore, on the Day of Judgment people will be held accountable for their actions.

Muhammad's teachings met with severe and hostile opposition, and in the year 622 he left Mecca and sought refuge in the city of Yathrib, as a number of his followers had already done. Upon Muhammad's arrival, the name Yathrib was changed to Medina (meaning "the city"). The date of Muhammad's immigration was later set as the beginning of the 12-month lunar Islamic calendar.

III The Five Pillars

During the ten years between his arrival in Medina and his death in ad 632, Muhammad laid the foundation for the ideal Islamic state. A core of committed Muslims was established, and a community life was ordered according to the requirements of the new religion. In addition to general moral injunctions, the requirements of the religion came to include a number of institutions that continue to characterize Islamic religious practice today. Foremost among these were the five pillars of Islam, the essential religious duties required of every adult Muslim who is mentally able. The five pillars are each described in some part of the Qur'an and were already practiced during Muhammad's lifetime. They are the profession of faith (shahada), prayer (salat), almsgiving (zakat), fasting (sawm), and pilgrimage (hajj). Although some of these practices had precedents in Jewish, Christian, and other Middle Eastern religious traditions, taken together they distinguish Islamic religious practices from those of other religions. The

five pillars are thus the most central rituals of Islam and constitute the core practices of the Islamic faith.

Many polemical descriptions of Islam have focused critically on the Islamic concept of jihad. Jihad, considered the sixth pillar of Islam by some Muslims, has been understood to mean holy war in these descriptions. However, the word in Arabic means 'to struggle' or 'to exhaust one's effort,' in order to please God. Within the faith of Islam, this effort can be individual or collective, and it can apply to leading a virtuous life; helping other Muslims through charity, education, or other means; preaching Islam; and fighting to defend Muslims. Western media of the 20th century continue to focus on the militant interpretations of the concept of jihad, whereas most Muslims do not.

A The Profession of Faith

The absolute focus of Islamic piety is Allah, the supreme, all knowing, all-powerful, and above all, all-merciful God. The Arabic word Allah means “the God,” and this God is understood to be the God who brought the world into being and sustains it to its end. By obeying God's commands, human beings express their recognition of and gratitude for the wisdom of creation, and live in harmony with the universe.

The profession of faith, or witness to faith (shahada), is therefore the prerequisite for membership in the Muslim community. On several occasions during a typical day, and in the saying of daily prayers, a Muslim repeats the profession, 'I bear witness that there is no god but Allah and that Muhammad is his messenger.' There are no formal restrictions on the times and places these words can be repeated. To become a member of the Muslim community, a person has to profess and act upon

this belief in the oneness of God and the prophethood of Muhammad. To be a true profession of faith that represents a relationship between the speaker and God, the verbal utterance must express genuine knowledge of its meaning as well as sincere belief. A person's deeds can be subjected to scrutiny by other Muslims, but a person's utterance of the profession of faith is sufficient evidence of membership in the Muslim community and cannot be challenged by other members of this community.

B The Five Daily Prayers

The second pillar of Islam is the religious duty to perform five prescribed daily prayers or salat. All adult Muslims are supposed to perform five prayers, preceded by ritual cleansing or purification of the body at different intervals of the day. The Qur'anic references also mention the acts of standing, bowing, and prostrating during prayers and facing a set direction, known as qibla. The Muslims were first required to face Jerusalem during prayer, but already during Muhammad's lifetime they were commanded to face the Kaaba, an ancient shrine in the city of Mecca. The Qur'an also refers to the recitation of parts of the Qur'an as a form of prayer. However, even with its numerous references, the Qur'an alone does not give exact instructions for this central ritual of prayer.

The most detailed descriptions of the rituals for prayer derive from the example set by the prophet Muhammad and are preserved in later Islamic traditions. Some details of these rituals vary, however all Muslims agree that there are five required daily prayers to be performed at certain times of day: dawn (fajr or subh), noon (zuhr), midafternoon (asr), sunset (maghrib), and evening (isha). The dawn, noon, and sunset prayers do not start exactly at dawn, noon, and sunset; instead, they

begin just after, to distinguish the Islamic ritual from earlier practices of worshiping the sun when it rises or sets.

A prayer is made up of a sequence of units called bowings (rak'as). During each of these units, the worshiper stands, bows, kneels, and prostrates while reciting verses from the Qur'an as well as other prayer formulas. With some variations among different Muslim sects, at noon, afternoon, and evening prayers, these units are repeated four times, while during the sunset prayer they are repeated three times, and at dawn only twice. The opening chapter of the Qur'an, al-Fatiha, is repeated in each unit in a prayer sequence. Each prayer concludes with the recitation of the profession of faith followed by the greeting 'may the peace, mercy, and blessings of God be upon you.'

Wherever Muslims live in substantial numbers throughout the world, the call to prayer, or adhan, is repeated five times a day by a muezzin (crier) from a mosque, the Muslim place of worship. Muslims are encouraged to pray together in mosques, but group prayer is only a religious obligation for the noon prayer on Friday. Women, travelers, sick Muslims, and those attending to the sick are granted license not to attend the Friday congregational prayer, although they may attend if they wish.

The Friday noon prayer is led by an imam, who is simply a prayer leader; this prayer differs from the usual noon prayers of the other days of the week. As a required part of the ritual at this congregational meeting, two sermons precede the prayer. On other days, Muslims can pray anywhere they wish, either individually or in groups. They must observe the rituals of praying at certain times of day, facing in the direction of Mecca, observing the proper order of prayers, and preparing through symbolic

purification. Depending on the situation, this last ritual of ablution requires either total washing of the body or a less elaborate ritual washing of the hands, mouth, face, and feet.

In addition to the five required daily prayers, Muslims can perform non-obligatory prayers, some of which have fixed ritual formats and are performed before or after each of the five daily prayers. Others are performed at night, either individually or with other Muslims. These additional formal and informal prayers give expression to the primary function of prayer in Islam, which is personal communication with God for the purpose of maintaining the abiding presence of the divine in the personal lives of Muslims. The more formal aspects of prayer also serve to provide a disciplined rhythm that structures the day and fosters a sense of community and shared identity among Muslims.

C Almsgiving

The third pillar of Islam is zakat, or almsgiving. A religious obligation, zakat is considered an expression of devotion to God. It represents the attempt to provide for the poorer sectors of society, and it offers a means for a Muslim to purify his or her wealth and attain salvation. The Qur'an, together with other Islamic traditions, strongly encourages charity and constantly reminds Muslims of their moral obligation to the poor, orphans, and widows; however, it distinguishes between general, voluntary charity (sadaqa) and zakat, the latter being an obligatory charge on the money or produce of Muslims. While the meaning of terms has been open to different interpretations, the Qur'an regularly refers to zakat, identifying specific ways in which this tax can be spent. These specific uses include spending zakat on the poor and the needy, on those who collect and distribute zakat, on those whom

Muslims hope to win over and convert to Islam, on travelers, on the ransom of captives, to relieve those who are burdened with debts, and on the cause of God.

The Qur'an provides less-detailed information about the kinds of things that are subject to the zakat tax or the precise share of income or property that should be paid as zakat. These determinations are provided in the traditions of the prophet Muhammad and have been the subject of elaborate discussions among Muslim legal experts, or jurists. For example, one-fortieth (2.5 percent) of the assets accumulated during the year (including gold, silver, and money) is payable at the end of the year, while one-tenth of the harvest of the land or date trees is payable at harvest time. Cattle, camels, and other domestic animals are subject to a more complex taxation system that depends on the animals in question, their age, the numbers involved, and whether they are freely grazing. Traditional zakat laws do not cover trade, but commercial taxes have been imposed by various Muslim governments throughout history.

D Fasting

The fourth pillar of Islam is sawm, or fasting. Clear Qur'anic references to fasting account for the early introduction of this ritual practice. The Qur'an prescribes fasting during the month of Ramadan, the 9th month of the 12-month Islamic lunar year (see Calendar). The month of Ramadan is sacred because the first revelation of the Qur'an is said to have occurred during this month. By tradition the month starts with the sighting of the new moon by at least two Muslims. For the entire month, Muslims must fast from daybreak to sunset by refraining from eating, drinking, and sexual intercourse. Menstruating women, travelers, and sick people are

exempted from fasting but have to make up the days they miss at a later date.

According to various traditional interpretations, the fast introduces physical and spiritual discipline, serves to remind the rich of the misfortunes of the poor, and fosters, through this rigorous act of worship, a sense of solidarity and mutual care among Muslims of all social backgrounds. Thus Muslims usually engage in further acts of worship beyond the ordinary during Ramadan, such as voluntary night prayer, reading sections from the Qur'an, and paying voluntary charity to the poor. Muslims may even choose to wake before daybreak to eat a meal that will sustain them until sunset. After the fasting ends, the holiday of breaking the fast, 'id al-fitr, begins, lasting for three days.

At any time of year fasting is also required as a compensation for various offenses and violations of the law. Many Muslims also perform voluntary fasts at various times of the year as acts of devotion and spiritual discipline. However, such additional fasting is not required by Islamic law.

E Pilgrimage to Mecca

The fifth pillar requires that Muslims who have the physical and financial ability should perform the pilgrimage, or hajj, to Mecca at least once in a lifetime. The ritual of pilgrimage was practiced by Arabs before the rise of Islam and continues from the early days of Islam. The hajj is distinct from other pilgrimages. It must take place during the 12th lunar month of the year, known as Dhu al-Hijja, and it involves a set and detailed sequence of rituals that are practiced over the span of several days. All of the pilgrimage rituals take place in the city of Mecca and its surroundings, and the primary focus of these rituals is a cubical structure called the Kaaba.

According to Islamic tradition, the Kaaba, also referred to as the House of God, was built at God's command by the prophet Ibrahim (Abraham of the Hebrew and Christian Bibles) and his son Ismail (see Ishmael).

The Qur'an provides detailed descriptions of various parts of the ritual, and it portrays many of these rituals as reenactments of the activities undertaken by Ibrahim and Ismail in the course of building the Kaaba. Set into one corner of the Kaaba is the sacred Black Stone, which according to one Islamic tradition was given to Ibrahim by the angel Gabriel. According to another Islamic tradition this stone was first set in place by Adam.

Once pilgrims arrive in Mecca, ritual purification is performed. Many men shave their heads, and most men and women put on seamless white sheets. This simple and common dress symbolizes the equality of all Muslims before God, a status further reinforced by the prohibition of jewelry, perfumes, sexual intercourse, and hunting. After this ritual purification, Muslims circle the Kaaba seven times, run between al-Safa and al-Marwa, two hills overlooking the Kaaba, seven times, and perform several prayers and invocations. This ritual is a reenactment of the search by Hagar for water to give her son Ismail.

After these opening rituals, the hajj proper commences on the seventh day and continues for the next three days. Again, it starts with the performance of ritual purification followed by a prayer at the Kaaba mosque. The pilgrims then assemble at Mina, a hill outside Mecca, where they spend the night. The next morning they go to the nearby plain of Arafat, where they stand from noon to sunset and perform a series of prayers and rituals. The pilgrims then head to Muzdalifa, a location

halfway between Arafat and Mina, to spend the night. The next morning, the pilgrims head back to Mina, on the way stopping at stone pillars symbolizing Satan, at which they throw seven pebbles.

The final ritual is the slaughter of an animal (sheep, goat, cow, or camel). This is a symbolic reenactment of God's command to Ibrahim to sacrifice his son Ismail, which Ibrahim and Ismail duly accepted and were about to execute when God allowed Ibrahim to slaughter a ram in place of his son. Most of the meat of the slaughtered animals is to be distributed to poor Muslims. The ritual sacrifice ends the hajj and starts the festival of the sacrifice, ‘id al-adha. The festivals of breaking fast (‘id al-fitr) at the end of Ramadan and ‘id al-adha are the two major Islamic festivals celebrated by Muslims all over the world.

During the pilgrimage most Muslims visit Medina, where the tomb of the Prophet is located, before returning to their homes. If the pilgrimage rituals are performed at any time of the year other than the designated time for hajj, the ritual is called umra. Although umra is considered a virtuous act, it does not absolve the person from the obligation of hajj. Most pilgrims perform one or more umras before or after the hajj proper.

Many Muslims pilgrims also travel to Jerusalem, which is the third sacred city for Islam. Muslims believe Muhammad was carried to Jerusalem in a vision. The Dome of the Rock houses the stone from which Muhammad is believed to have ascended to heaven and Allah in a night journey. Some Muslims perform pilgrimages to the Dome of the Rock and to other shrines where revered religious figures are buried. Some of these shrines are important primarily to the local

populations, whereas others draw Muslims from distant regions. There are no standard prescribed rituals for these pilgrimages nor are they treated as obligatory acts of worship.

IV The Mosque

Of all Muslim institutions, the mosque is the most important place for the public expression of Islamic religiosity and communal identity. A mosque is a physical manifestation of the public presence of Muslims and serves as a point of convergence for Islamic social and intellectual activity. The Arabic word for mosque is masjid, which means a 'place of prostration' before God. Mosques are mentioned in the Qur'an, and the earliest model for a mosque was the residence that the prophet Muhammad built when he moved to Medina. This first mosque was an enclosure marked as a special place of worship. A small part of the mosque was sectioned off to house the Prophet and his family, and the remaining space was left open as a place for Muslims to pray.

Although later mosques developed into complex architectural structures built in diverse styles, the one requirement of all mosques continues to be based on the earliest model: a designation of space for the purpose of prayer. The early mosque served an equally important function that thousands of mosques continue to serve today: The mosque is a place where Muslims foster a collective identity through prayer and attend to their common concerns. A Muslim city typically has numerous mosques but only a few congregational or Friday mosques where the obligatory Friday noon prayers are performed.

As Islam spread outside Arabia, Islamic architecture was influenced by the various

architectural styles of the conquered lands, and both simple and monumental mosques of striking beauty were built in cities of the Islamic world. Despite the borrowings from diverse civilizations, certain common features became characteristic of most mosques and thus serve to distinguish them from the sacred spaces of other religions and cultures.

The most important characteristic of a mosque is that it should be oriented toward Mecca. One or more niches (mihrab) on one of the walls of the mosque often serve as indicators of this direction, called qibla. When the imam leads the prayers he usually faces one of these niches. Next to the mihrab, a pulpit (minbar) is often provided for the delivery of sermons (khutba). Many mosques also have separate areas for performing ritual ablution, and separate sections for women. In many mosques, several rows of columns are used to mark the way for worshipers to line up behind the imam during prayer.

Mosques usually have one or more minarets, or towers, from which the muezzin calls Muslims to prayer five times a day. In addition to their functional use, these minarets have become distinguishing elements of mosque architecture. In large mosques in particular, minarets have the effect of tempering the enormity and magnificence of the domed structure by conveying to the viewer the elevation of divinity above the pretensions of human grandeur.

Most mosques also have a dome, and the line connecting the center of the dome to the niche is supposed to point toward Mecca. Throughout the world there are many mosques that are not actually directed toward Mecca, but such misalignment is due to inaccurate methods for determining the direction of Mecca and does not imply a disregard

for this requirement. The mosque is not a self-contained unit, nor is it a symbolic microcosm of the universe, as are some places of worship in other religions. Rather, the mosque is always built as a connection with Mecca, the ultimate home of Muslim worship that metaphorically forms the center of all mosques.

V The God of Islam

Islamic doctrine emphasizes the oneness, uniqueness, transcendence, and utter otherness of God. As such, God is different from anything that the human senses can perceive or that the human mind can imagine. The God of Islam encompasses all creation, but no mind can fully encompass or grasp him. God, however, is manifest through his creation, and through reflection humankind can easily discern the wisdom and power behind the creation of the world. Because of God's oneness and his transcendence of human experience and knowledge, Islamic law forbids representations of God, the prophets, and among some Muslims, human beings in general. As a result of this belief, Islamic art came to excel in a variety of decorative patterns including leaf shapes later stylized as arabesques, and Arabic script. In modern times the restrictions on creating images of people have been considerably relaxed, but any attitude of worship toward images and icons is strictly forbidden in Islam.

A Islamic Monotheism

Before Islam, many Arabs believed in a supreme, all-powerful God responsible for creation; however, they also believed in lesser gods. With the coming of Islam, the Arab concept of God was purged of elements of polytheism and turned into a qualitatively different concept of uncompromising

belief in one God, or monotheism. The status of the Arabs before Islam is considered to be one of ignorance of God, or jahiliyya, and Islamic sources insist that Islam brought about a complete break from Arab concepts of God and a radical transformation in Arab belief about God.

Islamic doctrine maintains that Islam's monotheism continues that of Judaism and Christianity. However, the Qur'an and Islamic traditions stress the distinctions between Islam and later forms of the two other monotheistic religions. According to Islamic belief, both Moses and Jesus, like others before them, were prophets commissioned by God to preach the essential and eternal message of Islam. The legal codes introduced by these two prophets, the Ten Commandments and the Christian Gospels, took different forms than the Qur'an, but according to Islamic understanding, at the level of doctrine they are the same teaching. The recipients of scriptures are called the people of the book or the 'scriptured' people. Like the Jews and the Christians before them, the Muslims became scriptured when God revealed his word to them through a prophet: God revealed the Qur'an to the prophet Muhammad, commanding him to preach it to his people and later to all humanity.

Although Muslims believe that the original messages of Judaism and Christianity were given by God, they also believe that Jews and Christians eventually distorted them. The self-perceived mission of Islam, therefore, has been to restore what Muslims believe is the original monotheistic teaching and to supplant the older legal codes of the Hebrew and Christian traditions with a newer Islamic code of law that corresponds to the evolving conditions of human societies. Thus, for example, Islamic traditions maintain that Jesus was a prophet

whose revealed book was the Christian New Testament, and that later Christians distorted the original scripture and inserted into it the claim that Jesus was the son of God. Or to take another example, Muslims maintain that the strict laws communicated by Moses in the Hebrew Bible were appropriate for their time. Later, however, Jesus introduced a code of behavior that stressed spirituality rather than ritual and law.

According to Muslim belief, God sent Muhammad with the last and perfect legal code that balances the spiritual teachings with the law, and thus supplants the Jewish and Christian codes. According to the teachings of Islam, the Islamic code, called Sharia, is the final code, one that will continue to address the needs of humanity in its most developed stages, for all time. The Qur'an mentions 28 pre-Islamic prophets and messengers, and Islamic traditions maintain that God has sent tens of thousands of prophets to various peoples since the beginning of creation. Some of the Qur'anic prophets are familiar from the Hebrew Bible, but others are not mentioned in the Bible and seem to be prophetic figures from pre-Islamic Arabia.

For the Muslim then, Islamic history unfolds a divine scheme from the beginning of creation to the end of time. Creation itself is the realization of God's will in history. Humans are created to worship God, and human history is punctuated with prophets who guarantee that the world is never devoid of knowledge and proper worship of God. The sending of prophets is itself understood within Islam as an act of mercy. God, the creator and sustainer, never abandons his creations, always providing human beings with the guidance they need for their salvation in this world and a world to come after this

one. God is just, and his justice requires informing people, through prophets, of how to act and what to believe before he holds them accountable for their actions and beliefs. However, once people receive the teachings of prophets and messengers, God's justice also means that he will punish those who do wrong or do not believe and will reward those who do right and do believe. Despite the primacy of justice as an essential attribute of God, Muslims believe that God's most fundamental attribute is mercy.

B Humanity's Relationship to God

According to Islamic belief, in addition to sending prophets, God manifests his mercy in the dedication of all creation to the service of humankind. Islamic traditions maintain that God brought the world into being for the benefit of his creatures. His mercy toward humanity is further manifested in the privileged status God gave to humans. According to the Qur'an and later traditions, God appointed humankind as his vice regents (caliphs) on earth, thus entrusting them with the grave responsibility of fulfilling his scheme for creation.

The Islamic concept of a privileged position for humanity departs from the early Jewish and Christian interpretations of the fall from Paradise that underlie the Christian doctrine of original sin. In the biblical account, Adam and Eve fall from Paradise as a result of disobeying God's prohibition, and all of humanity is cast out of Paradise as punishment. Christian theologians developed the doctrine that humankind is born with this sin of their first parents still on their souls, based upon this reading of the story. Christians believe that Jesus Christ came to redeem humans from this original sin so that humankind can return to God at the end of

time. In contrast, the Qur'an maintains that after their initial disobedience, Adam and Eve repented and were forgiven by God. Consequently Muslims believe that the descent by Adam and Eve to earth from Paradise was not a fall, but an honor bestowed on them by God. Adam and his progeny were appointed as God's messengers and vice regents, and were entrusted by God with the guardianship of the earth.

C Angels

The nature of humankind's relationship to God can also be seen clearly by comparing it with that of angels. According to Islamic tradition, angels were created from light. An angel is an immortal being that commits no sins and serves as a guardian, a recorder of deeds, and a link between God and humanity. The angel Gabriel, for example, communicated God's message to the prophet Muhammad. In contrast to humans, angels are incapable of unbelief and always obey God. Some followers of Islam view Satan as an angel who was unusual in his ability to defy God, while others view him as a jinn, or spirit created by God from smokeless fire, who roamed among the angels.

Despite these traits, Islamic doctrine holds that humans are superior to angels. According to Islamic traditions, God entrusted humans and not angels with the guardianship of the earth and commanded the angels to prostrate themselves to Adam. Satan, together with the other angels, questioned God's appointment of fallible humans to the honorable position of viceregency. Being an ardent monotheist, Satan disobeyed God and refused to prostrate himself before anyone but God. For this sin, Satan was doomed to lead human beings astray until the end of the world. According to the Qur'an, God

informed the angels that he had endowed humans with a knowledge angels could not acquire.

D Islamic Theology

For centuries Muslim theologians have debated the subjects of justice and mercy as well as God's other attributes. Initially, Islamic theology developed in the context of controversial debates with Christians and Jews. As their articulations of the basic doctrines of Islam became more complex, Muslim theologians soon turned to debating different interpretations of the Qur'an among themselves, developing the foundations of Islamic theology.

Recurring debates among Islamic scholars over the nature of God have continued to refine the Islamic concepts of God's otherness and Islamic monotheism. For example, some theologians interpreted Qur'anic attributions of traits such as hearing and seeing to God metaphorically to avoid comparing God to created beings. Another controversial theological debate focused on the question of free will and predestination. One group of Muslim theologians maintained that because God is just, he creates only good, and therefore only humans can create evil. Otherwise, this group argued, God's punishment of humans would be unjust because he himself created their evil deeds. This particular view was rejected by other Muslim theologians on the grounds that it limits the scope of God's creation, when the Qur'an clearly states that God is the sole creator of everything that exists in the world.

Another controversial issue was the question of whether the Qur'an was eternal or created in time. Theologians who were devoted to the concept of God's oneness maintained that the Qur'an must have

been created in time, or else there would be something as eternal as God. This view was rejected by others because the Qur'an, the ultimate authority in Islam, states in many places and in unambiguous terms that it is the eternal word of God.

Many other theological controversies occupied Muslim thinkers for the first few centuries of Islam, but by the 10th century the views of Islamic theologian al-Ashari and his followers, known as Asharites, prevailed and were adopted by most Muslims. The way this school resolved the question of free will was to argue that no human act could occur if God does not will it, and that God's knowledge encompasses all that was, is, or will be. This view also maintains that it is God's will to create the power in humans to make free choices. God is therefore just to hold humans accountable for their actions. The views of al-Ashari and his school gradually became dominant in Sunni, or orthodox, Islam, and they still prevail among most Muslims. The tendency of the Sunnis, however, has been to tolerate and accommodate minor differences of opinion and to emphasize the consensus of the community in matters of doctrine.

As is the case with any religious group, ordinary Muslims have not always been concerned with detailed theological controversies. For ordinary Muslims the central belief of Islam is in the oneness of God and in his prophets and messengers, culminating in Muhammad. Thus Muslims believe in the scriptures that God sent through these messengers, particularly the truth and content of the Qur'an. Whatever their specific religious practices, most Muslims believe in angels, the Day of Judgment, heaven, paradise, and hell.

VI The Prophet Muhammad

Belief in the message of Muhammad comes second only to belief in the one God. Muhammad was born around the year 570 and was orphaned at an early age. He was eventually raised by his uncle,

who had religious prominence within the main Quraysh tribe of Mecca but was of modest financial means. At age 25, Muhammad married Khadija, a well-to-do, 40-year-old woman. At age 40, during a retreat in the hills outside Mecca, Muhammad had his first experience of Islam. The angel Gabriel appeared to a fearful Muhammad and informed him that he was God's chosen messenger. Gabriel also communicated to Muhammad the first revelation from God. Terrified and shaken, Muhammad went to his home. His wife became the first person to accept his message and convert to Islam. After receiving a series of additional revelations, Muhammad started preaching the new religion, initially to a small circle of relatives and friends, and then to the general public.

The Meccans first ignored Muhammad, then ridiculed him. As more people accepted Muhammad's call, the Meccans became more aggressive. After failing to sway Muhammad away from the new religion they started to persecute his less prominent followers. When this approach did not work, the opposing Meccans decided to persecute Muhammad himself. By this time, two main tribes from the city of Yathrib, about 300 km (200 mi) north of Mecca, had invited Muhammad to live there. The clan leaders invited Muhammad to Yathrib as an impartial religious authority to arbitrate disputes. In return, the leaders pledged to accept Muhammad as a prophet and thus support the new religion of Islam.

A Hegira

In the year 622, Muhammad immigrated to Yathrib, and the name of the city was changed to Medina, meaning city of the Prophet. This date was designated by later Muslims as the beginning of the Muslim calendar, year one of hegira (Arabic hijra,

"immigration"). Only two years after Muhammad's arrival in Medina, the core community of Muslims started to expand. At Medina, in addition to preaching the religious and moral message of Islam, Muhammad organized an Islamic society and served as head of state, diplomat, military leader, and chief legislator for the growing Muslim community. Hostilities soon broke out between the Muslims in Medina and the powerful Meccans. In 630, after a series of military confrontations and diplomatic maneuvers, the Muslims in Medina extended their authority over Mecca, the most important city of Arabia at the time. Before Muhammad died in 632, the whole Arabian Peninsula was united for the first time in its history, under the banner of Islam.

B Muhammad's Humanity

Early accounts of Muhammad contain some stories that describe supernatural events such as his night journey from Mecca to Jerusalem and his subsequent ascent to heaven on the back of a supernatural winged horse. Despite such stories, the primary focus of the biographies, as well as Islamic doctrine in general, is on the humanity of Muhammad.

Like all prophets before him, Muhammad was a mortal man, commissioned by God to deliver a message to his people and to humanity. Like other prophets, Muhammad was distinguished from ordinary people by certain powers and faculties. For example, Muslims believe that the distinction of being sinless was granted to Muhammad by God to support his career as a prophet. Thus Muhammad is portrayed in the Qur'an as a person who makes mistakes but who does not sin against God. However, God corrected Muhammad's mistakes or errors in judgment, so that his life serves as an example for future Muslims to follow. This

emphasis on Muhammad's humanity serves as a reminder that other humans can reasonably aspire to lead a good life as he did.

VII The Qur'an

As with other prophets and messengers, God supported Muhammad by allowing him to work miracles and thus prove that he was a genuine prophet. The singular miracle of Muhammad and the ultimate proof of the truthfulness of Islam is the Qur'an. In accordance with the words of the scripture itself, Muslims believe that the Qur'an is the timeless word of God, "the like of which no human can produce." This trait of the scripture, called inimitability (i'jaz), is based on belief in the divine authorship of the Qur'an. Unlike earlier religions, the miracle of Islam is a literary miracle, and Muhammad's other supernatural acts are subordinate to it.

This belief in the unique nature of the Qur'an has led Muslims to devote great intellectual energies to the study of its contents and form. In addition to interpreting the scripture and deriving doctrines and laws from it, many disciplines within Qur'anic studies seek to understand its linguistic and literary qualities as an expression of its divine origins.

A The Format of the Holy Book

The Qur'an is made up of 114 chapters, called suras, which appear, from the second chapter onward, roughly in order of length, beginning with the longest and ending with the shortest chapters. The first chapter, al-Fatiha ("the Opening"), is a short chapter that is recited during each of the five daily prayers and in many other ritual prayers. All but one chapter begin with the formula 'in the name of God, the Merciful Lord of Mercy' (bism Allah al-Rahman al-Rahim). Each chapter is divided into

verses called ayat (singular aya, meaning “sign” or “proof”). With few exceptions the verses are randomly organized without a coherent narrative thread.

A typical chapter of the Qur’an may address any combination of the following themes: God and creation, prophets and messengers from Adam to Jesus, Muhammad as a preacher and as a ruler, Islam as a faith and as a code of life, disbelief, human responsibility and judgment, and society and law. Later Muslim scholars have argued that the text’s timelessness and universality explain the lack of narrative coherence and the randomness of the topics. In other words, the multiple meanings of the Qur’an transcend linear narrative as they transcend any particular historical moment.

B The Qur’an and the Bible

Islam recognizes the divine origins of the earlier Hebrew and Christian Scriptures and represents itself as both a restoration and a continuation of their traditions. Because of this, the Qur’an draws on biblical stories and repeats many biblical themes. In particular, the stories of several biblical prophets appear in the Qur’an, some in a condensed form; other stories, such as those of Abraham, Moses, and Jesus, are given in elaborate detail and even with subtle revisions of the biblical accounts.

One of the important differences between the Qur’anic and biblical stories of Abraham's sacrifice of his son, for example, is that the Qur’an suggests this son is Ishmael, from whom Arabs are descended, and not Isaac, from whom the tribes of Israel are descended. A more substantial difference relates to the Islamic story of Jesus, who according to the Qur’an is a mortal, human prophet. The

Islamic faith categorically rejects the idea that God was ever born, as opposed to Christian belief that Jesus was born the son of God. Islam also rejects the idea that God shared his divinity with any other being.

Another important idea elaborated in the Qur'an and later Islamic doctrine, in conscious distinction from the biblical accounts, is that although prophets are capable of human errors, God protects them from committing sins and also protects them from excruciating suffering or humiliating experiences. God would not abandon his prophets in times of distress. Therefore, the Qur'an maintains that God interfered to save Jesus from torture and death by lifting him to heaven and replacing him on the cross with someone who looked like him.

C The Preservation of the Qur'an

From its inception during the lifetime of Muhammad, Islamic doctrine gave priority to the preservation of the scripture. As a result, one of the earliest expressions of religiosity focused on studying, reciting, and writing down the scripture. When Muhammad died, the preservation of the scripture was also a conscious concern among his companions and successors. Early historical sources refer to immediate efforts undertaken by successors of Muhammad to collect the chapters of the Qur'an, which were written down by his various companions.

Within about two decades after the death of the Prophet, various existing copies of parts of the Qur'an were collected and collated by a committee of close companions of Muhammad who were known for their knowledge of the Qur'an. This committee was commissioned by the third successor

of Muhammad, Uthman ibn Affan, and the committee's systematic effort is the basis of the codified official text currently used by Muslims. The thematic randomness of the verses and chapters of the Qur'an in its current format clearly illustrates that the early companions who produced this official version of the Qur'an were primarily concerned with establishing the text and made no attempt to edit its contents in order to produce a coherent narrative. Because of this, scholars agree that the Uthmanic text genuinely reflects, both in its content and form, the message that Muhammad preached.

D Interpretations of the Qur'an

Despite the consensus among Muslims on the authenticity of the current format of the Qur'an, they agree that many words in the Qur'an can be interpreted in equally valid ways. The Arabic language, like other Semitic languages, has consonants and vowels, and the meanings of words are derived from both. For several centuries, the written texts of the Qur'an showed only the consonants, without indicating the vowel marks. As a result, there are different ways in which many words can be vocalized, with different meanings; this allows for various legitimate interpretations of the Qur'an.

One of the disciplines for the study of the Qur'an is exclusively dedicated to the study and documentation of acceptable and unacceptable variant readings. According to Muslim scholars, there are some 40 possible readings of the Qur'an, of which 7 to 14 are legitimate. The legitimacy of different possible interpretations of the scripture is supported by a statement in the Qur'an that describes verses as either unambiguously clear, or as ambiguous because they carry a meaning known only to God. Therefore, with the exception of a

small number of unquestionably clear injunctions, the meaning of the Qur'anic verses is not always final.

The Qur'an is the primary source of authority, law and theology, and identity in Islam. However, in many cases it is either completely silent on important Islamic beliefs and practices or it gives only general guidelines without elaboration. This is true of some of the most basic religious obligations such as prayer, which the Qur'an prescribes without details. Details elaborating on the teachings and laws of the Qur'an are derived from the sunna, the example set by Muhammad's life, and in particular from hadith, the body of sayings and practices attributed to him.

VIII Hadith

The second source of authority in Islam, hadith complements the Qur'an and provides the most extensive source for Islamic law. The ultimate understanding of the Qur'an depends upon the context of Muhammad's life and the ways in which he demonstrated and applied its message. There is evidence that Muhammad's sayings and practices were invoked by his companions to answer questions about Islam. Unlike the Qur'an, however, in the early periods hadith was circulated orally, and no attempts were made to establish or codify it into law until the beginnings of the second century of Islam.

Due to the late beginnings of the efforts to collect and compile reports about Muhammad's traditions, Muslim scholars recognize that the authenticity of these reports cannot be taken for granted. Many spurious reports were often deliberately put into circulation to support claims of various political and sectarian groups. Other

additions resulted from the natural tendency to confuse common practices that predated Islam with new Islamic laws and norms. The fading of memory, the dispersion of the companions of the prophet over vast territories, and the passing away of the last of these companions also contributed to the problem of authenticating Muhammad's traditions.

To establish the authority of hadith on firmer ground, Muslim scholars developed several disciplines dedicated to examining and verifying the relative authenticity of various reports attributed to the Prophet. The contents of sayings, as well as the reliability of those who transmitted them, were carefully scrutinized, and the hadiths were classified into groups granted varying degrees of authenticity, ranging from the sound and reliable to the fabricated and rejected. This systematic effort culminated in the 9th century, some 250 years after the death of Muhammad, in the compilation of several collections of sound (sahih) hadith. Of six such highly reliable compilations, two in particular are considered by Muslims to be the most important sources of Islamic authority after the Qur'an. These are Sahih Muslim and Sahih Bukhari (the sound books of Muslim and Bukhari).

Historically, the compilation of hadith went hand in hand with the elaboration of Islamic law and the parallel development of Islamic legal theory. Initially, neither the law nor its procedures were systematically elaborated, although there can be little doubt that both the Qur'an and hadith were regularly invoked and used to derive laws that governed the lives of Muslims. By the beginning of the 9th century, the use of these two sources was systematized and a complex legal theory was introduced. In its developed form, this theory maintains that there are four sources from which

Islamic law is derived. These are, in order of priority, the Qur'an, the hadith, the consensus of the community (ijma), and legal analogy (qiyas). Functional only when there is no explicit ruling in the Qur'an or hadith, consensus confers legitimacy retrospectively on historical practices of the Muslim community. In legal analogy, the causes for existing Islamic rulings are applied by analogy to similar cases for which there are no explicit statements in either the Qur'an or hadith. Using these methods, a vast and diverse body of Islamic law was laid out covering various aspects of personal and public life.

In addition to the laws pertaining to the five pillars, Islamic law covers areas such as dietary laws, purity laws, marriage and inheritance laws, commercial transaction laws, laws pertaining to relationships with non-Muslims, and criminal law. Jews and Christians living under Muslim rule are subject to the public laws of Islam, but they have traditionally been permitted to run their internal affairs on the basis of their own religious laws.

IX The Spread of Islam

Since its inception Islam has been perceived by Muslims to be a universal code. During Muhammad's lifetime, two attempts were made to expand northward into the Byzantine domain and its capital in Constantinople, and within ten years after Muhammad's death, Muslims had defeated the Sassanids of Persia and the Byzantines, and had conquered most of Persia, Iraq, Syria, and Egypt. The conquests continued, and the Sassanian Empire was soon after destroyed and the influence of Byzantium was largely diminished. For the next several centuries intellectuals and cultural figures flourished in the vast, multinational Islamic world, and Islam became the most influential civilization in the world.

A The Rightly Guided Caliphs

The first four successors of Muhammad, known as rightly guided caliphs, ruled for some 30 years. Their rule, together with that of Muhammad, is considered by most Muslims to constitute the ideal Islamic age. The second caliph, Umar, ruled from ad 634 to 644; he is credited with being the first caliph to found new Islamic cities, Al Başra (ad 635) and Kūfah (ad 638). The administration of the eastern and western Islamic provinces was coordinated from these two sites. After the third caliph, Uthman, was murdered by a group of Muslim mutineers, the fourth caliph, Ali, succeeded to power and moved his capital to Kūfah in Iraq. From this capital he fought the different opposition factions. Among the leaders of these factions, Mu'awiyah, governor of the rich province of Syria and a relative of Uthman, outlasted Ali. After Ali's death in 661, Mu'awiyah founded the Umayyad dynasty, which ruled a united Islamic empire for almost a century. Under the Umayyads the Islamic capital was shifted to Damascus.

B Shia Islam

The followers of Ali were known as the Shia (partisans) of Ali. Although they began as a political group, the Shia, or Shia Muslims, became a sect with specific theological and doctrinal positions. A key event in the history of the Shia and for all Muslims was the tragic death at Karbala of Husayn, the son of Ali, and Muhammad's daughter Fatima. Husayn had refused to recognize the legitimacy of the rule of the Umayyad Yazid, the son of Mu'awiyah, and was on his way to rally support for his cause in Kūfah. His plans were exposed before he arrived at Kūfah, however, and a large Umayyad army met him and 70 members of his family at the outskirts of the city. The Umayyads offered Husayn

the choice between a humiliating submission to their rule or a battle and definite death. Husayn chose to fight, and he and all the members of his family with him were massacred. The incident was of little significance from a military point of view, but it was a defining moment in the history of Shia Islam. Although not all Muslims are Shia Muslims, all Muslims view Husayn as a martyr for living up to his principles even to death.

The Twelver Shia, or Ithna-'Ashariyya, is the largest of the Shia Muslim sects. They believe that legitimate Islamic leadership is vested in a line of descent starting with Muhammad's cousin and son-in-law, Ali, through Ali's two sons, Hasan and Husayn, and then through Husayn's descendants. These were the first 12 imams, or leaders of the Shia Muslim community. The Shia Muslims believe that Muhammad designated all 12 successors by name and that they inherited a special knowledge of the true meaning of the scripture that was passed from father to son, beginning with the Prophet himself. This family, along with its loyal followers and representatives, has political authority over the Shia Muslims.

C Sunni Islam

Sunni Islam was defined during the early Abbasid period (beginning in ad 750), and it included the followers of four legal schools (the Malikis, Hanafis, Shafi'is, and Hanbalis). In contrast to the Shias, the Sunnis believed that leadership was in the hands of the Muslim community at large. The consensus of historical communities, not the decisions of political authorities, led to the establishment of the four legal schools. In theory a Muslim could choose whichever school of Islamic thought he or she wished to follow and could change this choice at will. The respect and popularity that

the religious scholars enjoyed made them the effective brokers of social power and pitched them against the political authorities.

After the first four caliphs, the religious and political authorities in Islam were never again united under one institution. Their usual coexistence was underscored by a mutual recognition of their separate spheres of influence and their respective duties and responsibilities. Often, however, the two powers collided, and invariably any social opposition to the elite political order had religious undertones.

D Sufism

An ascetic tradition called Sufism, which emphasized personal piety and mysticism and contributed to Islamic cultural diversity, further enriched the Muslim heritage. In contrast to the legal-minded approach to Islam, Sufis emphasized spirituality as a way of knowing God. During the 9th century Sufism developed into a mystical doctrine, with direct communion or even ecstatic union with God as its ideal. One of the vehicles for this experience is the ecstatic dance of the Sufi whirling dervishes. Eventually Sufism later developed into a complex popular movement and was institutionalized in the form of collective, hierarchical Sufi orders.

The Sufi emphasis on intuitive knowledge and the love of God increased the appeal of Islam to the masses and largely made possible its extension beyond the Middle East into Africa and East Asia. Sufi brotherhoods multiplied rapidly from the Atlantic coast to Indonesia; some spanned the entire Islamic world, others were regional or local. The tremendous success of these fraternities was due primarily to the abilities and humanitarianism of

their founders and leaders, who not only ministered to the spiritual needs of their followers but also helped the poor of all faiths and frequently served as intermediaries between the people and the government.

E The Abbasid Dynasty

Islamic culture started to evolve under the Umayyads, but it grew to maturity in the first century of the Abbasid dynasty. The Abbasids came to power in ad 750 when armies originating from Khorāsān, in eastern Iran, finally defeated the Umayyad armies. The Islamic capital shifted to Iraq under the Abbasids. After trying several other cities, the Abbasid rulers chose a site on the Tigris River on which the City of Peace, Baghdād, was built in 762. Baghdād remained the political and cultural capital of the Islamic world from that time until the Mongol invasion in 1258, and for a good part of this time it was the center of one of the great flowerings of human knowledge. The Abbasids were Arabs descended from the Prophet's uncle, but the movement they led involved Arabs and non-Arabs, including many Persians, who had converted to Islam and who demanded the equality to which they were entitled in Islam.

The Abbasids distributed power more evenly among the different ethnicities and regions than the Umayyads had, and they demonstrated the universal inclusiveness of Islamic civilization. They achieved this by incorporating the fruits of other civilizations into Islamic political and intellectual culture and by marking these external influences with a distinctly Islamic imprint.

As time passed, the central control of the Abbasids was reduced and independent local leaders and groups took over in the remote provinces.

Eventually the rival Shia Fatimid caliphate was established in Egypt, and the Baghdād caliphate came under the control of expanding provincial dynasties. The office of the caliph was nonetheless maintained as a symbol of the unity of Islam, and several later Abbasid caliphs tried to revive the power of the office.

In 1258, however, a grandson of Mongol ruler Genghis Khan named Hulagu, encouraged by the kings of Europe, led his armies across the Zagros Mountains of Iran and destroyed Baghdād. According to some estimates, about 1 million Muslims were murdered in this massacre. In 1259 and 1260 Hulagu's forces marched into Syria, but they were finally defeated by the Mamluks of Egypt, who had taken over the Nile Valley. For the next two centuries, centers of Islamic power shifted to Egypt and Syria and to a number of local dynasties. Iraq became an impoverished, depopulated province where the people took up a transitory nomadic lifestyle. Iraq did not finally experience a major cultural and political revival until the 20th century.

X The Presence of Islam in the 20th Century

Many of the accepted Islamic religious and cultural traditions were established between the 7th and 10th centuries, during the classical period of Islamic history. However, Islamic culture continued to develop as Islam spread into new regions and mixed with diverse cultures. The 19th-century occupation of most Muslim lands by European colonial powers was a main turning point in Muslim history. The traditional Islamic systems of governance, social organization, and education were undermined by the colonial regimes. Nation-states with independent governments divided the Muslim community along new ethnic and political lines.

Today about 1 billion Muslims are spread over 40 predominantly Muslim countries and 5 continents, and their numbers are growing at a rate unmatched by that of any other religion in the world. Despite the political and ethnic diversity of Muslim countries, a core set of beliefs continues to provide the basis for a shared identity and affinity among Muslims. Yet the radically different political, economic, and cultural conditions under which contemporary Muslims live make it difficult to identify what constitutes standard Islamic practice in the modern world. Many contemporary Muslims draw on the historical legacy of Islam as they confront the challenges of modern life. Islam is a significant, growing, and dynamic presence in the world. Its modern expressions are as diverse as the world in which Muslims live.

The will of God: المشيئة الإلهية

To refer to: أَشَارَ إلى . . . ، أَحَالَ على . . .

Central: مَرْكَزِيّ

Collective: جَمَاعِيّ، جَمْعِيّ

Loyalty: وَفَاء، وَلاء، إِخْلاص

Irrespective of: بصرف النظر عن . . .

Ethnic: عِرْقِيّ، عُنْصُرِيّ

Sub-Saharan: واقع أسفل الصحراء الكبرى

To comprise: احْتَوَى، شَمِلَ، اشْتَمَلَ على، تَضَمَّنَ

The fastest-growing religion: أسرع الأديان انتشارا

Populous: كثيف السكان، مُزْدَحِم، مُكْتَظّ

The Union of Soviet Socialist Republics: اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية

Openness: انفتاح

At any time: على كل حال

To convert to: تَحَوَّلَ إلى (دين آخر)

To preach: بَشَّرَ بـ . . . ، دعا إلى . . .

To constitute: كَوَّنَ، شَكَّلَ

Marked: مَعلَّم، ملحوظ، مَشْهُور

Code: دُسْتُور، نَامُوس

To culminate: يبلغ المنتهى

Lawgiver: مُشَرِّع

Distortion: تَحْرِيف، تَشْوِيه

To be held accountable for: يُعَدّ مسؤولا عن. . .

Teachings: تعاليم

To seek refuge in: يلتجئ إلى. . .

Lunar Islamic calendar: التقويم الإسلامي القمري

Moral injunctions: واجبات أخلاقية

To Characterize: مَيَّزَ

Foremost: أوّلاً

Mentally: ذهنيا، عقليا

Profession: إعْلان

Rituals: شَعَائِرُ

Polemical: جَدَلِيّ، جِدَالِيّ

To exhaust one's effort: لا يألو جهدا

Militant: مُناضِل

To sustain: آزَرَ، سَانَدَ

To live in harmony with: يعيش فى وئام مع. . .

Prerequisite: شرط أساسي

On several occasions: في عدة مناسبات

Typical: نمطي

The saying of daily prayers: تأدية الصلوات اليومية

Formal restrictions on: قيود رسمية على. . .

Verbal utterance: التعبير اللفظي

Deeds: أعمال

To be subjected to scrutiny: يخضع للفحص والتدقيق

Cleansing: تطهير

At different intervals: على فترات متفاوتة

Standing، bowing، and prostrating: القيام والركوع والسجود

Instructions: تعليمات

Variations: اختلافات

Sequence: تَسَلْسُل، تَعَاقُب، تَتَابُع

Substantial: جوهَرِيّ، حَقِيقِيّ

Obligation: فَرْض

Congregational prayer: صلاة الجماعة

Sermon: عِظَة، خُطْبة

Non-obligatory prayer: الصلاة غير المفروضة

Abiding presence: الحضور الدائم

To foster: عَزَّزَ، نَشَّأَ، شَجَّعَ

Debts: ديون

Assets : ممتلكات

To graze: يرعى

The sighting of the new moon: رؤية الهلال

Sexual intercourse: الجماع

Menstruating women: النساء الحُيَّض

Mecca and its surroundings: مكة وما يحيط بها

Status: حَالَة، مَنْزِلَة

To reinforce: قَوَّى، عَزَّزَ

Hunting: صَيْد، قَنص

A virtuous act: عمل فاضل

The Dome of the Rock: قبة الصخرة

Revered religious figures: الشخصيات الدينية المبجلة

Characteristic of: . . . من مَلامِح

Minarets: المآذن

Magnificence: أُبَّهَة، رَوْعَة

The elevation of divinity above the pretensions of human grandeur: سموّ الألوهية فوق دعاوى العظمة البشرية

Metaphorically: على سبيل المجاز

To encompass: . . . أحاط بـ

To excel in: . . . بَرَعَ، تَفَوَّقَ في

A variety of decorative patterns: طائفة متنوعة من الأشكال الزخرفية

Icons: أيقونات

The 'scriptured' people: أهل الكتاب

To distort: حَرَّفَ، شَوَّهَ

Terrified and shaken: فَزِعٌ ومضطرب

Approach: طَرِيقَة، مقارَبة

Impartial: مُحَايِد، نَزِيه

To arbitrate disputes: يفصل في الخصومات

Core: صَمِيم، لُبّ، جَوْهَر

Military confrontations and diplomatic maneuvers: مواجهات عسكرية ومناورات دبلوماسية

Ascent to heaven on the back of a supernatural winged horse: العروج إلى السماء على ظهر حصان مجنَّح خارق

Granted to: . . . مُنْعَم به على . . .

To aspire to lead a good life: يتطلع إلى أن يحيا حياة طيبة

Subordinate to: . . . تابِع لـ . . .

Disciplines: أنظمة، أنساق

Coherent: مُتَمَاسِك، مُحْكَم

Disbelief: الكفر

Timelessness: لازمنيّة

Universality: عالمية

Randomness: عشوائية

Elaborate: مُفَصَّل

In times of distress: في أوقات المحنة

To excruciate: عَذَّبَ

Companions and successors: الصحابة والتّابعون

Vowel marks: علامات التّشكيل

Unquestionably: بلا مِرَاء

Circulated orally: يُتَناقَل شفاهيا

Codify it into law: تصوغه في شكل قوانين

Sectarian groups: الجماعات الطائفية

Tendency to: . . . ميل إلى

The fading of memory: شحوب الذاكرة

Pertaining to: . . . يختص بـ

Criminal law: قانون العقوبات

Doctrinal: مَذْهَبِيّ، عَقَائِديّ

Invariably: على نحو ثابت لا يتغير

Ascetic: زاهد، مُتَقَشّف، مُتَنَسّك

A distinctly Islamic imprint: طابع إسلامي مميز

A turning point: منعطف

Legacy: تراث

الدراسة

يتحدث كاتب المادة عن الإسلام فى بداية كلامه بوصفه أحد أديان عالمية ثلاثة تنادى كلها بـ"التوحيد: monotheism"، والدينان الآخَران هما اليهودية والنصرانية:

"Islam, one of the three major world religions, along with Judaism and Christianity, that profess monotheism, or the belief in a single God".

ولكى تكتمل الصورة لا بد من الإشارة إلى ما يوجد فى الكتاب المقدس من أنه كان هناك فى الزمان الأول "أولاد الله" فى مقابل "بنات الناس" وأن أولئك تزوجوا بهؤلاء، بالإضافة إلى وصف آدم بأنه "ابن الله". كذلك نقرأ فى الكتاب المقدس أن موسى كان "إلها" لفرعون، وهارون "نبيًّا" له، فضلا عن تجسيده سبحانه فى أكثر من موضع فى تلك الأسفار، كما فى مشهد تمشّيه عز وجل فى الجنة عند هبوب ريح النهار حسب عبارة الكاتب واختباء آدم منه حينما سمع وقع خطواته، وكذلك فى مشهد ضيوف إبراهيم عليه السلام، وفى مشهد العراك مع يعقوب حتى مطلع الفجر، وفى المشهد الذى رأى فيه موسى ربه من الخلف فوق الجبل. وهناك كذلك الثالوث النصرانى وتجسُّد بعض أقانيمه كما هو معروف. أقول هذا من باب اكتمال الصورة ليس إلا.

بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى الحديث عن التلاحم الذى يربط بين الشعوب الإسلامية على اختلاف انتماءاتها الوطنية والقومية ويجعل منها "أمة" واحدة. وهذا من الأمور التى يشير إليها كثير من الباحثين الغربيين. ثم يمضى فيذكر أن عدد المسلمين فى العالم يبلغ مليار نسمة، وهو ما يحتاج إلى مراجعة بكل تأكيد، إذ إن عددهم فى الواقع الحقيقى يزيد عن ذلك كثيرا حتى ليبلغ به بعضهم المليار وثلثى المليار. وبعد هذا نسمعه يقول إن الإسلام هو أسرع أديان العالم انتشارا. وهذه ملاحظة نقرؤها كثيرا عند المستشرقين والمبشرين، فيرى بعض المسلمين أنها ملاحظة صحيحة تماما، عازيا ذلك إلى ما فى الإسلام من حيوية داخلية وما يتسم به من معقولية تامة فى العقيدة وتفهُّم لا مثيل له للطبيعة البشرية ومزج عبقرى بين المثالية والواقعية فى تشريعاته وسموّ لا يجارَى فى القيم الأخلاقية التى يرفعها منارا للأشخاص والأمم والشعوب، وليس لأن الدخول فى الإسلام لا يحتاج إلا أن ينطق الراغب فى اعتناقه بالشهادتين كما يقول الكاتب، إذ لا أظن هذا سببا حاسما. ولكننا، فى ذات الوقت، لا نَعْدَم من يقول إن هذا الكلام عن سرعة انتشار الإسلام وسهولته هو كلام غايته تخدير المسلمين حتى يناموا ولا يبذلوا جهدا فى نشر دينهم اطمئنانا إلى أنه ينتشر سريعا دون أدنى جهد من جانبهم.

أما أنا فأرى أنه فعلا دين كاسح، إلا أن هذا لا ينبغى أن يدفعنا إلى الاسترخاء والاطمئنان، بل علينا أن نضاعف الجهد ونبذل الغالى والنفيس كى يظل متفوقا، لكن ليس بمجرد الدعاية، بل بتطبيقه التطبيق الأمثل الذى يبرز ما فيه من جواهر ثمينة نفيسة، والتركيز أولا وقبل كل شىء على قيمه السامقة، قيم الحرية والكرامة والعمل الجاد والإتقان والتخطيط الدقيق والإبداع والنظام والجمال ورقىّ الذوق والمساواة والتكاتف والتلاحم والتعاون والتواضع والعلم والإكثار من العمل والإقلال من الكلام، وتقديم الجوهر على الشكل، وترتيب الأولويات الترتيب الصحيح. . . إلخ، مع القيام بالدعاية له ووضع الخطط التى تؤدى إلى أن يفهمه العالم الفهم السليم الذى ينفذ إلى أعماقه ويرى مكنوناته الغنية الكريمة. ويلاحظ القارئ أنه لا موضع فى هذا الكلام لاعتماد أسلوب الضغط أو الإكراه لنشر الإسلام، إذ الإسلام أطهر وأقوم من أن نتخذ تلك السبيل لتكثير أتباعه، فضلا عن أنه يرفض هذا الأسلوب رفضا باتًّا لا مَثْنَوِيَّةَ فيه.

لقد صدق رسول الله حين قال صلى الله عليه وسلم: "ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل: عِزًّا يُعِزّ الله به الإسلام وأهله، وذُلا يُذِلّ الله به الكفر". إلا أن "السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة" كما علّمنا الفاروق عمر رضى الله عنه، بل نحن الذين نستخرج الذهب والفضة من مكامنهما

بعرقنا ولهاثنا ودموعنا . وهكذا انتشار الإسلام أيضا . إنه دين مبارك، إلا أن هذه البركة لا تتحقق إلا على أيدى أمة مباركة. أما الأمم البليدة الذليلة المخلدة إلى الأرض المتبعة هواها فهذه لا ينتشر على يديها دين أو ينتصر، بل قد يستبدل الله بها أمة تستطيع أن ترْقَى إلى مستوى الإسلام وتعرف له قدره وتحرص على أن يكون لها شرف نصرته: "هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" (محمد/ ٣٨) . ويقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: "زُوِيَتْ لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأُعْطِيتُ الكنزين: الأصفر أو الأحمر والأبيض (يعني الذهب والفضة)، وقيل لي إن ملكك إلى حيث زُوِيَ لك. وإني سألت الله عز وجل ثلاثا: ألاّ يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامّةً، وألاّ يُلبِسهم شِيَعًا ويذيق بعضهم بأس بعض. وإنه قيل لي: إذا قضيتُ قضاء فلا مردَّ له، وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم فيه، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا . وإذا وُضِع السيف في أمتي فلن يُرْفَع عنهم إلى يوم القيامة. وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مُضلّين. وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين. وإن بين يَدَيِ الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي. ولن تزال طائفة من أمتي على

الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل" . فانظر كيف أن الأمة لا تبقى على ذات الوضع، بل تعلو وتسفل، وتقوى وتضعف، وتُقبِل على دين الله وتُدْبِر، أما الإسلام فلا يعرف إلا السُّمُوق دائما أبدا !

أما قول الكاتب:

"Islam also taught that the Christian Bible (which includes the Hebrew Bible as the Old Testament and an additional 27 books referred to as the New Testament), and the Qur'an were all holy books. According to the Qur'an, the two earlier Scriptures had been altered over time from their original forms given by God, while the Qur'an would remain perfect, preserved by God from such distortion".

ومعناه أن الإسلام يقر بأن الكتاب المقدس الآن بعهديه القديم والجديد هو كتاب سماوى، وإن كان قد تعرض للتحريف، فيحتاج إلى بعض التوضيح. ذلك أن القرآن لم يقل إن العهد القديم والجديد كتابان سماويان، بل كان كلامه عن التوراة والإنجيل، وشتان هذا وذاك: فالتوراة، حسبما يقول القرآن الكريم، هى الكتاب الذى أنزل على موسى، والإنجيل هو الكتاب الذى أنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام. أما الكتاب المقدس بعهديه فهو من كتابة البشر. ولنلاحظ مثلا أن لدينا الآن عدة أناجيل لا إنجيلا واحدا، وهذه الأناجيل ليست أربعة فحسب، بل هذه

الأربعة هى وحدها الأناجيل التى أقرتها المجامع الكنسية بعد زمن طويل من رفع الله سبحانه وتعالى عيسى إليه، وهناك أناجيل أخرى كثيرة، وكل الأناجيل الموجودة الآن من كتابة البشر كالسيرة النبوية عند المسلمين. وفى بعض تلك الأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنيسة ذِكْرٌ لإنجيلٍ كان يبشّر به عيسى قومه، مما يدل على أنه كان هناك إنجيل فى يد المسيح عليه السلام قبل ظهور أى من تلك الأناجيل الأخرى بعشرات السنين، ومن الواضح أنه هو الإنجيل الذى ورد ذكره مرارا فى القرآن المجيد. وأرجو أن تكون الصورة قد اتضحت الآن حسب اعتقاد المسلمين. أما اعتقادات الآخرين فكلٌّ وما يختار ويقتنع، ولا مصادرة لحق أحد فى اعتناق ما يشاء.

وفى المقابل فإن الكاتب فى الفقرة التى خصصها لشرح معنى "الجهاد" فى الإسلام حيث وضّح أن ترجمة هذا المصطلح إلى " Holy War"، أى الحرب المقدسة، هى ترجمة خاطئة، وأن اللفظ هو من الاتساع بحيث يشمل كل جهد يبذله المسلم فى سبيل الله حتى لو كان ترقية لأحواله الفردية أو تربية للنشء أو دعوة إلى الخلق الكريم، فضلا عن الجهاد القتالى بطبيعة الحال، كان موفقا غاية التوفيق. وقد ذكرنا، فى موضع آخر من هذا الكتاب، الحديث المنسوب إلى النبى عليه السلام، وفيه يقول لدن مرجعه من إحدى الغزوات: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى

الجهاد الأكبر"، وبينّا دلالته على أن الجهاد فى الإسلام أوسع مدى مما يفهمه الناس عادة، بما يغنينا عن إعادة الحديث فيه هنا . وكل ما نريد الإشارة إليه هو أن الجهاد الإسلامى أخطر مما يظن المسلمون وغير المسلمين، لأنه باختصار هو بناء الحضارة الإنسانية فى أرقى وأطهر صورها، إذ الحياة فى ديننا ليست كسلا واسترخاء ونكوصا عن المعالى واكتفاء بالعيش فى أية صورة من صوره، بل هى الجِدّ كله، والمجاهدة كلها، والعزم كله، والإبداع طول الوقت، والعمل على ترقية الأوضاع إلى الأفضل بصورة مستمرة.

على أن هذا كله لا يعنى التخلى عن الجهاد الحربى وإغفاله خشية ما يشنّع به أعداء الإسلام عليه وعلى أهله، فما خلت الدنيا ولن تخلو يوما من الشر والأشرار والمجرمين والقتلة واللصوص والسفاحين ممن لا ينجع معهم إلا القتال والتغدى بهم قبل أن يَتَعَشَّوا هم بضحيتهم. وقديما قيل: تذأَّبْ لا تفترسْك الذئاب. وما دامت هذه بعض طبيعة الحياة فلا بد من أخذ الأهبة التامة والاستعداد لكل الاحتمالات والتيقظ لمؤامرات الأعداء والرد على عدوانهم بكل شراسة ورجولة، فلا مكان تحت الشمس للضعفاء المتخاذلين ولا لأصحاب القلوب الطيبة ما لم تُدْعَم هذه الطيبة بالقوة والبأس، وإلا ذهبت ريحهم وباروا بوارا ! باختصار: الجهاد معناه مجاهدة العدو، وهذا العدو قد يكون خارجيا ، وهذا معروف، أو قد يكون

داخليا، وهو نفسنا التى بين جنبينا وأهواؤها وضعفها وتخاذلها واستكانتها لشهواتها . كما قد يكون هذا العدو من البشر، أو قد يكون وضعا اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو خلقيا فاسدا على المجاهد أن يحاربه حتى يسقطه. . . إلى آخر ضروب العدو، وهى كثيرة لا تكاد تنحصر.

وفى خلال الفقرة التى خصصها الكاتب للزكاة والجهات التى ينبغى أن تُنْفَق فيها نراه يورد بين مستحقيها (the traveller) ترجمةً لـ"ابن السبيل"، بما يفيد أن المسافر، أيا كان وضعه المادى، فقيرا كان أو غنيا، له فى الزكاة نصيب. فهل الأمر كذلك حقا؟ يقول الزمخشرى فى تفسير آية الصدقات ومصارفها فى الآية الستين من سورة "التوبة"، وهى قوله جل جلاله: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"، إن "ابن السَّبيل" هو "المسافر المنقطع عن ماله: فهو فقير حيث هو، غنيّ حيث ماله". وأرى أن هذا هو الوضع الصحيح للمسألة لا أن نقول، كما قال الكاتب، إنه هو المسافر مطلقا.

ومن الملاحظات التى لا ينبغى أن يفوتنا النص عليها قول المؤلف عن الإسراء: "Muslims believe Muhammad was carried to Jerusalem in a vision"، وهو ما يعنى أن المسلمين جميعا يعتقدون

أن الإسـراء إنمـا كـان فـى المنـام لا فـى الواقـع. وهـذا رأى خـاطئ، إذ الأغلبية تعتقد أن الإسراء تم بالروح والجسد معا، أى فى الحقيقة لا فى الأحلام. وهذا نص ما قاله الزمخشرى فى هذا الموضوع أثناء تفسيره للآية الأولى من سورة "الإسراء": "واختُلِف في أنه كان في اليقظة أم في المنام: فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: والله ما فُقِد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن عُرِج بروحه. وعن معاوية: إنما عُرِج بروحه. وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها. وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك". وهو أيضا ما قاله ابن عاشور فى "تفسير التحرير والتنوير" فى نفس الموضع: "وقد اختلف السلف في الإسراء: أكان بجسد رسول الله من مكة إلى بيت المقدس أم كان بروحه في رؤيا هي مشاهدة رُوحَانية كاملة، ورؤيا الأنبياء حق؟ والجمهور قالوا: هو إسراء بالجسد في اليقظة. وقالت عائشة ومعاوية والحسن البصري وابن إسحاق رضي الله عنهم: إنه إسراء بروحه في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي. واستدل الجمهور بأن الامتنان في الآية وتكذيبَ قريش بذلك دليلان على أنه ما كان الإخبار به إلا على أنه بالجسد. واتفق الجميع على أن قريشا استوصفوا من النبي صلى الله عليه وسلم علامات في بيت المقدس وفي طريقه، فوصفها لهم كما هي، ووصف لهم عِيرًا لقريش قافلة في طريق معين ويوم معين فوجدوه كما وصف لهم. ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: "بينما أنا في المسجد الحرام بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل . . . " إلى آخر الحديث. وهذا أصح وأوضح مما رُوِيَ في حديث آخر أن الإسراء كان من بيته أو كان من بيت أم هاني بنت أبي طالب أو من شِعْب أبي طالب. والتحقيق حَمْل ذلك على أنه إسراء آخر، وهو الوارد في حديث المعراج إلى السماوات، وهو غير المراد في هذه الآية. فللنبيء صلى الله عليه وسلم كرامتان: أولاهما الإسراء، وهو المذكور هنا . والأخرى المعراج، وهو المذكور في حديث "الصحيحين" مطوّلا وأحاديثَ غيره. وقد قيل: إنه هو المشار إليه في سورة النجم" .

ومن تلك الملاحظات أيضا قول الكاتب إن بيوت النبى كانت تشكّل جزءا من مسجد المدينة، جزءا مغلقا ومنعزلا، فيما كان باقى المسجد مكانا مفتوحا للصلاة. والحق أن بيوت النبى، أو بالأحرى: الغرف الشديدة البساطة التى كان يعيش فيها زوجات النبى ويتردد عليهن صلى الله عليه وسلم واحدة بعد الأخرى حسب الليلة المخصصة لكل منهن، لم تكن تشكل جزءا من المسجد ، بل كانت مجاورة له وتنفتح عليه. وهذا هو الصواب.

وفى المقارنة التى عقدها الكاتب بين نظرة النصرانية إلى هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ونظرة الإسلام إلى نفس الموضوع نُلفِيه يقول إنه فى الوقت الذى يؤمن فيه النصارى بأن الإنسان حين يولد إنما يولد ومعه

الخطيئة الأصلية التى اجترحها أبواه الأولان، وأنه لهذا السبب كان لا بد أن يقوم عيسى بافتداء البشر من تلك الخطيئة حتى يعودوا فى نهاية المطاف أطهارا إلى الله سبحانه، نرى المسلمين يعتقدون أن الله عز وجل بعدما أخطأ آدم وحواء وتابا تاب عليهما، وبذلك انتهت المسألة، ولم تعد هناك أية خطيئة تثقل كاهل البشر. وإلى هنا وليس لنا أى تعقيب على ما قاله الكاتب. لكن إضافته القول بأن هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض هو فى نظر الإسلام تكريم للبشرية لأن الله جلت قدرته قد أسبغ عليهما حينذاك خلافته فى الأرض هى إضافة تحتاج إلى توضيح، إذ القرآن واضح وصريح حين قال إن هذا الهبوط سوف يتسم بأن يكون البشر بعضهم لبعض عدو، وسوف تكون حياتهم على الأرض مملوءة بالكَبَد والمشقة، وسوف يصيرون بعد ذلك إلى لقاء الله حيث يكون حساب فثواب وعقاب، فجنة ونار، وهو ما يدل على أن القصة لم تنته فصولها بعد وأن النهاية ليست بالضرورة نهاية سعيدة، بل إما وإما.

صحيح أن الله سبحانه سوف يعفو عن كثير، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن الحسنة بعشر أمثالها، فيما السيئة بمثلها فقط، وهذا إن حاسب الله عبده عليها أصلا، إذ من الممكن جدا أن يغفرها له لسبب أو لآخر مما لا نحيط نحن البشر بعلمه، لكننا بعد ذلك كله لا ينبغى أن ننسى أو نتناسى أن ثمة عذابا ونارا، وأن الحياة الدنيا رغم ما فيها من

ملذات ومسرات وأوقات للسعادة تمتلئ فى ذات الوقت بالألم والملل اللذين يصاحبان الإنسان مذ يولد صائحا باكيا إلى أن يوارَى التراب مبكيًّا عليه تشيعه الصيحات والدموع: فهناك تسنين الأطفال الرُّضَّع، وهناك ما يصيبهم من عطش وجوع لا يعرفان كيف يواجهانه إلا بالبكاء والنحيب والرفس بالأقدام والتلويح بالأيدى، وهناك الأمراض الكثيرة المختلفة التى كلما نجحت البشرية فى علاج بعضها ظهر منها ما هو أعقد وأخطر، وهناك الشيخوخة والعجز المصاحب لها، ثم هناك الموت الذى لا حل له ولا قدرة للبشر حياله سوى التسليم والانصياع، وهناك الزلازل والبراكين والآفات والطواعين، وهناك القلق والخوف من شىء ومن لاشىء، وهناك نكران الجميل والطمع واللصوصية والقتل. ليس ذلك فقط، بل إن القرآن لتتكرر فيه التقريعات الموجهة إلى الإنسان: فهو هلوع، وهو جزوع، وهو ظلوم، وهو كَفّار، وهو خَتّار، وهو كَنُود، وهو جَحُود، وهو لِحُبّ الخير لشديد، وهو حريص، وهو شحيح، وهو، وهو، وهو. ومن هذا كله يتبين لنا أن ما قاله الكاتب عن أن هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض إنما هو تكريم للبشرية ليس له فى الواقع ما يعضده، وإن كان هذا لا يعنى أننا ننكر تفضيل الله للإنسان على كثير من المخلوقات، إلا أنه ما أبعد البون بين ما كان آدم وحواء يرتعان فيه من بحبوحة العيش واللذة والأمان فى الجنة الأولى، أيا كانت حقيقة تلك الجنة الأولى، وبين ما يقاسيه نفس الآدم

والحواء من المتاعب والويلات والحسرات هنا على هذه الأرض! أقول هذا، وإخواننا المحاصرون فى غزة يعانون فى أواخر عام ٢٠٠٨م وأوائل عام ٢٠٠٩م أهوال الجحيم على يد العصابات الصهيونية المدعومة أمريكيا وغربيا، فى الوقت الذى يشارك فيه المسلمون والعرب بطريقة أو بأخرى فى ذلك الحصار، أو على الأقل: يكتفون فيه بمصمصة الشفاه مما لا ينكى عدوا ولا يرد عدوانا ولا يردع مجرما، ولا يمدونهم بمعونة تخفف عنهم بعضا من تلك الويلات وتشعرهم أن هناك من يفكر فيهم ويتألم لهم! فهذا بعض من آلام الحياة، وهو يدل على أن الدنيا ليست دار راحة وبهجة وسكينة وأمان واطمئنان إلا فى الحين بعد الحين.

وإذا كنا قد تناولنا فى غير هذا الموضع من الكتاب طبيعة إبليس وهل هو ملاك من الملائكة أو جنى من الجن وقلنا إن القرآن صريح الدلالة على أنه من الجن لا من الملائكة فها نحن أولاء نُلفِى أنفسنا مرة ثانية إزاء هذا الموضوع، إذ يشير الكاتب إلى أن من علماء المسلمين من يقول بأن الجن كان مَلَكًا ثم عصى الله فسقط من عليائه، وهو ما يشبه ما يقوله أهل الكتاب عن أبى الأباليس. ولا بد من القول أولا بأن هناك فعلا من المسلمين من يقول بهذا. جاء فى تفسير الطبرى لقوله تعالى فى الآية الخمسين من سورة "الكهف"، ونصها: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ

أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" ما يلي: "واختلف أهل التأويل في معنى قوله: "كَانَ مِنَ الجِنّ"، فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم: الجنّ. وقال آخرون: بل كان من خزّان الجنة، فنُسب إلى الجنة. وقال آخرون: بل قيل: من الجنّ، لأنه من الجنّ الذين استجنُّوا عن أعين بني آدم. ذِكْر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن خلاد بن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس قال: كان اسمه قبل أن يركب المعصية "عزازيل"، وكان من سكان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما، فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر، وكان من حيّ يسمى: جنا . حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس، قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجنّ، خُلِقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة، وكان اسمه "الحارث" . قال: وكان خازنا من خُزّان الجنة. قال: وخُلِقت الملائكة من نور غير هذا الحيّ. قال: وخُلِقت الجنّ الذين ذُكِروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت. حدثنا ابن المثنى، قال: ثني شيبان، قال: ثنا سلام بن مسكين عن قتادة عن سعيد بن المسيب، قال: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا . حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير

عن ابن عباس في قوله: "إلاَّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِن"، قال: كان إبليس من خُزّان الجنة، وكان يدبّر أمر سماء الدنيا. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة. وكان خازنا على الجِنَان، وكان له سلطان السماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض. وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله. فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود، فلعنه وأخَّره إلى يوم الدين. قال: قال ابن عباس: وقوله: "كانَ مِنَ الجِنّ" إنما سمي بالجنان أنه كان خازنا عليها، كما يقال للرجل: مكيّ، ومدنيّ، وكوفيّ، وبصريّ. قاله ابن جريج.

وقال آخرون: هم سِبْط من الملائكة قبيلة، وكان اسم قبيلته الجنّ: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس، قال: إن من الملائكة قبيلة من الجنّ، وكان إبليس منها، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى، فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجيما لعنه الله ممسوخا. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا تَرْجُه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارْجُه. وكانت خطيئة آدم في

معصية، وخطيئة إبليس في كبر. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله: "وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ": قبيل من الملائكة يقال لهم: الجنّ. وقال ابن عباس: لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود، وكان على خزانة السماء الدنيا . قال: وكان قتادة يقول: جنّ عن طاعة ربه. وكان الحسن يقول: ألجأه الله إلى نسبه. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله "إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ"، قال: كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجنّ. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ عن عوف عن الحسن، قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: كان إبليس على السماء الدنيا وعلى الأرض وخازن الجنان. حُدِّثتُ عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: "فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ": كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازنا على الجِنَان، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان مما سوّلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء، فوقع من ذلك في قلبه كبر

لا يعلمه إلا الله، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم، فاستكبر وكان من الكافرين. فذلك قوله للملائكة: "إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُم تَكْتُمُونَ". يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر. وقوله: "كانَ مِنَ الجِنّ" كان ابن عباس يقول: قال الله: "كانَ مِنَ الجِنّ" لأنه كان خازنا على الجِنَان، كما يقال للرجل: مكيّ، ومدني، وبصريّ، وكوفيّ. وقال آخرون: كان اسم قبيلة إبليس الجنّ، وهم سِبْط من الملائكة يقال لهم: الجنّ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ: "كانَ مِنَ الجِنّ"، فنسبه إلى قبيلته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله: "كانَ مِنَ الجِنّ" قال: من الجنانين الذين يعملون في الجنان. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو سعيد اليحمدي إسماعيل بن إبراهيم، قال: ثني سوار بن الجعد اليحمدي عن شهر بن حوشب، قوله: " مِنَ الجنّ " قال: كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة، فذهب به إلى السماء. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، قوله "إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ"، قال: كان خازن الجِنَان فسمي بالجنان. حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا

أحمد بن بشير، عن سفيان بن أبي المقدام، عن سعيد بن جبير، قال: كان إبليس من خَزَنَة الجنة" .

والحق أننى، بعد أن طالعت كل هذه الآراء وأعملت فيها النظر، لا أستطيع أن أجد أيَّ سبب يَعْدِل بى عما أقوله دائما من أن إبليس هو من الجن الذين نعرفهم، وأنه مخلوق من نار . أما ما يقال عن قبيلته الجنية أو ملائكيته وما إلى ذلك من أقاويل فهو لون من ألوان الرجم بالغيب لا دليل على حَقِّيَّته. إنها قصص وطرائف لا ندرى من أين لأصحابها بها، والكلام إنما هو كلام فى الغيب حيث لا يصح أن يقول القائل شيئًا إلا بناء على نص من القرآن أو صحيح من الحديث، وهو ما لم يتوفر هنا البتة. إنهم يتحدثون فى الموضوع وكأن فى أيديهم خرائط ووثائق وأنسابا مما يخص البشر فى عالم الشهادة لا الملائكة فى عالم الغيب المستور، فضلا عن أن الملائكة، عليهم السلام، لا يعرفون عصيان الله ولا التمرد على أوامره سبحانه وتعالى أو نواهيه.

ومضيًّا مع موضوع الملائكة يقول الكاتب إن المسلمين يؤمنون بأن الله قد فضّل بنى البشر على كل مخلوقاته بما فيهم جنس الملائكة، وأن إبليس اشترك مع هؤلاء فى الاعتراض على اتخاذ آدم خليفة فى الأرض استنادا إلى ما رُكِّبَ فى الإنسان من ميل إلى الإفساد وسفك للدماء . وواقع الأمر أن القرآن لم يذكر فى هذا الصدد إلا الملائكة، أما إبليس فلم يكن قد لاح

فى المشهد بعد . كما أن اعتراضه كان لعلة أخرى، إذ رأى أن خلقه من نار يضعه فوق آدم المجبول من الطين، فالنار فى نظره أفضل. كذلك ليس علماء المسلمين جميعهم على رأى واحد فى موضوع المفاضلة بين آدم والملائكة، إذ لم يقل القرآن إنه سبحانه وتعالى قد فضل الإنسان على سائر المخلوقات حتى يمكننا القول بأنه مفضل بالتبعية على الملائكة، بل قال إن الله قد فضله على كثير ممن خلقهم فحسب. وهذا غير ذاك كما لا يخفى على أحد .

يقول الزمخشرى فى تفسير قوله عز من قائل: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا": "قيل في تكرمة ابن آدم: كرّمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم. وقيل: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم. وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق، وعنده أبو يوسف، فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ": جعلنا لهم أصابع يأكلون بها. فأُحْضِرَت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه. "على كثير ممن خلقنا": هو ما سوى الملائكة. وحَسْبُ بني آدم تفضيلا أن تُرْفَع عليهم الملائكة، وهم هم، ومنزلتهم عند الله منزلتهم. والعجب من المجبِّرة كيف عكسوا في كل شيء

وكابروا حتى جسّرتْهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك، وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم، وعلموا أين أسكنهم، وأنّى قرّبهم، وكيف نزّلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم، ثم جرّهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالاً وأخبارًا منها: "قالت الملائكة: ربنا، إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة. فقال: وعزتي وجلالي لا أجعل ذرّية من خلقتُ بيدي كمن قلتُ له: كن، فكان". ورَوَوْا عن أبي هريرة أنه قال: لَمؤمنٌ أكرم على الله من الملائكة الذين عنده. ومن ارتباكهم أنهم فسروا "كثيرا" بمعنى "جميع" في هذه الآية، وخُذِلوا حتى سُلِبوا الذوق فلم يحسّوا ببشاعة قولهم: "وفضلناهم على جميع ممن خلقنا"... فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى، كأنّ جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط، فتلك السخيمة لا تنحلّ عن قلوبهم".

وأعتقد أن حنق الزمخشرى فى هذه السطور كاف تماما فى الرد على من يقولون إن المسلمين كلهم يرون أفضلية الإنسان على جنس الملائكة، وإن كنت لا أرى داعيا إلى كل هذا الحنق من قِبَل مفسرنا الكبير، فالأمر أمر وجهات نظر. وأنا لا أقول بأفضلية أحد الجنسين على الآخر لأنها لا تدخل فى اختصاصى ولا فى علمى ولا فى طوقى، ومن ثم

أتركها لله صاحب التفضيل والتقليل، عز جلاله. كما أنه لا معنى للاشتغال بمثل تلك القضية، إذ هى لا تقدم ولا تؤخر فى مسيرة الحضارة البشرية، تلك المسيرة التى أرى أنها هى المقصودة بخلافة الإنسان فى الأرض وتعميره إياها بإخراجها من حالتها الغُفْل الأولى إلى ما هى عليه الآن من زينة وحركة ونشاط وبناء وإبداع وثقافة وفنون وصناعات وتطور لا يتوقف على مدى الزمن.

وبالنسبة إلى ما أشار إليه الكاتب بعد ذلك من اختلاف علماء الكلام المسلمين حول قضايا العقيدة، مثل الجبر والاختيار وخلق القرآن وصفات الله أحب أن أقول إن هذه الاختلافات إنما تعكس نسبية الرؤية البشرية وتشير إلى أنه ما من جماعة كلامية يمكنها الزعم حقا وصدقا باحتكار الحقيقة المطلقة، لأن كل ما تستطيعه هو النظر فقط من زاوية معينة فى وقت معين متأثرة بالظروف التى تحيط بها وبالإمكانات التى وهبها الله إياها وبالوسط الفكرى الذى نشأت فيه، وبالراحة النفسية والعقلية التى تحققها لها . . . وهكذا. وفى كثير من الأحيان نجد أن لدى كل جماعة من هذه الجماعات الكلامية نصيبا من الحقيقة كبيرا أو صغيرا، وأن الاختلاف الناشئ بينها سببه أن كلا منها، كما قلنا، ترى الحقيقة من زاوية معينة ليس إلا. فمثلا هل نحن البشر مجبورون أو مخيرون؟ لو قلنا إننا مجبورون فلن يعدم القائل شواهد وأدلة على صدق ما يقول. وبالمثل لو

قلنا إننا مخيرون فلن يعدم القائل بهذا شواهد وأدلة على صدق ما يقول أيضا . وكذلك لو قلنا إن حياتنا مزيج من الحرية والجبرية، وهو الرأى الذى أميل إليه، وإن لم أوافق على ما يذهب إليه بعضهم من القول بأننا فى الأمر الفلانى مجبورون جبرا مطقا، وفى الأمر العلانى حُرُّون حرية مطلقة، بل أرى أن فى كل عمل نأتيه قدرا من الحرية، وقدرا آخر من الجبرية فى ذات الوقت، وأن هذين القَدْرَين يختلفان من عمل إلى عمل، ومن حالة شخص إلى حالة شخص آخر، ومن وقت معين فى حياة الشخص الواحد إلى وقت غيره . . . وهلم جرا . واحدٌ فقط هو الذى يدرك الحقيقة المطلقة فى كل شمولها وفى كل أحوالها هو الله سبحانه وتعالى، لأنه هو الذى خلق الإنسان، وهو الذى خلق الكون، وهو الذى خلق الحقيقة، وهو الذى نظم كونه على أساس من هذه النسبية التى لا تطول علمه ولا إدراكه لأنه أكبر من كل شىء، ولأنه لا أول له ولا آخر، فكل صفاته صفات مطلقة لا تعرف الحدود، ولأنه سبحانه وتعالى أزلى أبدى يقبض على كل شىء فى الكون، كَبُرَ أو صَغُرَ، بَعُدَ أو قَرُبَ، ظَهَرَ أو خَفِىَ، بيمينه المباركة التى تسيطر على كل شىء وتسيّر كل شىء وفق نظام دقيق.

وعند كلام الكاتب عن الهجرة نراه يؤكد عن حقٍّ وصدقٍ أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة كان يقوم بعدة مهامَّ معا: فإلى جانب تبليغ الدعوة كان يرأس الدولة، ويشرّع للمجتمع، ويقضى بين

الناس، ويؤدى وظيفة القائد العسكرى. أقول هذا مذكرا بما يكتبه بعض الناس من أن الإسلام ما هو إلا دين مكانه المسجد لا يبارحه، ووظيفته حث الناس على العبادة وترقية أخلاقهم، ثم لا شىء آخر. ومن هؤلاء الشيخ على عبد الرازق الذى أخرج للناس فى أواسط العشرينات من القرن المنصرم كتابا يحمل اسمه عنوانه: "الإسلام وأصول الحكم" جاء فيه أن وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام تنحصر فى تبليغ الدين ليس إلا، ولا علاقة له بممارسة الحكم أو قيادة الجيش مثلا، وهو ما استنفر العلماء للرد عليه وتفنيده. والعلماء على حق فى هذا التفنيد، وإلا فإذا لم يقم الرسول عليه السلام بتطبيق الأوامر والنواهى التشريعية التى نزل بها الوحى فمن يا ترى ينهض بهذا الواجب؟

إلا أن قول كاتب المادة بعد ذلك بقليل إن الرسول عليه الصلاة والسلام، مَثَلُه مَثَلُ النبيين من قبله، كان مكلفا من قِبَل ربه إبلاغ رسالة إلى قومه وإلى العالم أجمع: " Like all prophets before him, Muhammad was a mortal man, commissioned by God to deliver a message to his people and to humanity" لا يبدو صالحا، إذ المعروف أن نبوته صلى الله عليه وسلم تتميز عن غيرها من النبوات بأن رسالته عالمية، على حين كانت رسالة الأنبياء السابقين رسالة محلية إلى أقوامهم خاصة. وها نحن أولاء نورد كلامه صلى الله عليه وسلم الواضح القاطع المفصل فى هذا الصدد:

"فُضِّلْتُ على الأنبياء بِستٍ: أُعْطِيتُ جوامع الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طَهُورًا ومسجدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافّة، وخُتِم بي النبيون" .

كذلك فقول الكاتب عن ترتيب آيات القرآن داخل كل سورة: " With few exceptions the verses are randomly organized without a coherent narrative thread"، بما يفيد أن الأمر فى القرآن يقوم على أن كل آية من آياته تمضى فى اتجاه عشوائى، هو كلام غير صحيح. ولو قال إنه قد يحدث أن تكون كل مجموعة من الآيات مستقلة استقلالا ظاهريا عن المجموعة التى قبلها أو التى بعدها لكان كلامه أحجى بالقبول. ذلك أن هناك سورا كاملة تنتظمها كلها أو معظمها وحدة موضوعية كسورة "يوسف" مثلا وسورة "الشعراء" وسورة "القمر" وسورة "الحشر"، فضلا عن أن كثيرا من مجاميع الآيات تكوّن كل منها وحدة متماسكة، إذ نزلت دفعة واحدة لتعالج موضوعا واحدا، مما يعرفه كل من له صلة بالقرآن الكريم.

ثم يعود الكاتب إلى نفس الموضوع بعد قليل مكررا الزعم بأن ترتيب الآيات فى كل سورة، مضافا إليها ترتيب السور أيضا، لا يقوم على أى نظام، بل تم كيفما اتفق، وإن كان قد اتخذ من ذلك برهانا على أن الصحابة كان كل همهم الحفاظ على النص القرآنى من أن يطوله العبث.

والحق أن الصحابة قد سجلوا القرآن كما سمعوه مرتبا من الرسول، إذ كان عليه الصلاة والسلام كلما نزل نص جديد من القرآن حدد لهم الموضع الذى يريدهم أن ينزلوه فيه. ولو افترضنا أن ترتيب الصحابة للآيات عند جمعهم للقرآن كان عشوائيا لهبَّ صحابة آخرون ينكرون على جامعى الكتاب الكريم ترتيبهم هذا وقالوا لهم: إننا لا نحفظه على هذا النحو بل على نحو آخر؟ علاوة على أن كثيرا جدا من السور، وبخاصة القصيرة منها، تخضع لترتيب واضح، على الأقل: فى الجزء الأكبر منها.

والآن إلى كلام الكاتب بنصه وفصه: " The thematic randomness of the verses and chapters of the Qur'an in its current format clearly illustrates that the early companions who produced this official version of the Qur'an were primarily concerned with establishing the text and made no attempt to edit its contents in order to produce a coherent narrative. Because of this, scholars agree that the Uthmanic text genuinely reflects, both in its content and form, the message that Muhammad preached". وبالمناسبة فكثير من أسفار العهد القديم تخلو من أى ترتيب، ولا يعدو كل منها أن يكون مجموعة من التسبيحات والأدعية التى لا يزيد الواحد منها عن جملة مفردة لا تتصل بما قبلها ولا بما بعدها.

وبالمثل فإن قول الكاتب: "إن القرآن المجيد، لكونه يقر بالأصل الإلهى للكتب السماوية التى نزلت على أنبياء بنى إسرائيل من قبل ويَعُدّ

نفسه تصحيحا وامتدادا لها، فإنه يعتمد كثيرا على ما تتضمنه تلك الكتب من قصص ويكرر كثيرا من موضوعاتها: Islam recognizes the divine origins of the earlier Hebrew and Christian Scriptures and represents itself as both a restoration and a continuation of their traditions. Because of this, the Qur'an draws on biblical stories and repeats many biblical themes" لا يبدو صحيحا . ولو أنه قال إن القرآن المجيد كثيرا ما يتشابه وتلك الكتب لأنه ينتمي إلى ذات المصدر السماوى، وإن ظل بينه وبينها أيضا كثير من الاختلافات نظرا إلى ما يؤمن به المسلمون من أن تلك الكتب لم تظل على حالتها السليمة الأولى التى نزلت بها من السماء، فضلا عن التشريعات التى جاء القرآن فغيّرها تبعا لتغير ظروف البشرية واحتياجها من ثم إلى تشريعات أخرى تلائم الأوضاع الجديدة، لأصاب كبد الحقيقة. ولقد أشار هو نفسه عقب ذلك إلى أن القَصَص القرآنى المتعلق بأنبياء الكتاب المقدس قد يصحح بعض التفاصيل:

other stories, such as those of Abraham, Moses, and " Jesus, are given in elaborate detail and even with . "subtle revisions of the biblical accounts

وبالمثل أيضا لا نشاطر الكاتب الرأى بأن قبول الكلمات العربية غير المشكولة لأكثر من نطق قد أدى إلى أن يكون هناك أكثر من تفسير شرعى للقرآن. ذلك أن هذا الزعم لا يعنى إلا شيئا واحدا هو أن المسلمين الأوائل

لم يكونوا يعرفون شيئا من القرآن إلا عن طريق القراءة، وأنهم لم يكونوا يحسنون قراءة القرآن المكتوب، بل كانوا يقرأونه حسبما يتيسر وكيفما اتفق، وكانت قراءتهم له بالغة الصعوبة، وأنهم كانوا يقرأونه قراءات مختلفة بعدد ما يسمح به خلوّ الألفاظ من الضبط. إلا أن هذا كله غير صحيح، إذ كان المسلمون الأوائل يحفظون القرآن غيبا، ولم يكن النص المكتوب سوى عامل مساعد فى مسألة الحفظ. كذلك لم تكن قراءة النصوص المكتوبة بالصعوبة التى يتوهمها المتوهمون، وإلا لكانت حياتهم سلسلة من التخبطات والمعانيات فى كل ما يتعلق بالقراءة والكتابة، وهو ما لم يصلنا شىء يشير إليه. وإذا كانت تلك الطريقة من الكتابة قد نجحت فى أن تنقل لنا النصوص التى ليست لها قداسة القرآن سليمة دون مشاكل كالشعر والمعاهدات والمراسلات والكتب، فما بالنا بنصوص الكتاب الذى عليه مدار الدين؟ كذلك لو كان كلام الكاتب صحيحا لكانت هناك طائفة من النطق المختلف لكل كلمة فى القرآن. لكننا نظر فلا نجد هذا متحققا إلا فى كلمات قليلة نسبيا، وبنطقين اثنين لا غير فى معظم الحالات. وقد فسر العلماء ذلك فى ضوء أحاديث للرسول عليه الصلاة والسلام تبين لنا أن الأمر مرجعه إلى ما يسمى فى الإسلام بـ"الحروف السبعة"، التى قُصِد بها التخفيف على المسلمين فى بداءة الإسلام كما هو معروف للدارسين.

وعلى العكس نرى كاتبنا يقول فى حق السنة وفى أهميتها التشريعية كلاما دقيقا، إذ يؤكد أنها، رغم مجيئها فى هذا الصدد تالية للقرآن فى الترتيب ومكملة له، تمثل فى الواقع أوسع مصدر للتشريع فى الإسلام: " The second source of authority in Islam, hadith complements the Qur'an and provides the most extensive source for Islamic law". وهو أكبر رد على من يسمَّوْن بـ"القرآنيين"، الذين يعملون بكل ما فى وسعهم لمحو السنة فى الخطوة الأولى، زاعمين أن فى القرآن الكفاية لمن يريد أن يعرف الإسلام ويمارسه، ولا حاجة بنا بعده إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتكون الخطوة التالية هى التعفية على القرآن الكريم والإسلام جملة وتفصيلا. وكلام الكاتب هنا يكفى فى الرد على هذه الشبهة الخطيرة التى لو أصاخ إليها المسلمون وصدقوها وعملوا بمقتضاها لتخلخل الإسلام خلخلة لم يعرفها من قبل، خلخلة تنتهى بالقضاء عليه. ذلك أن هؤلاء القرآنيين يتبعون فى تدمير الإسلام منهج الـ"خطوة خطوة"، فتراهم لا يعلنون نياتهم أبدا، بل يختفون خلف الزعم بأنهم إنما يريدون للمسلمين ألا يعبدوا محمدا، بحجة أن حفظهم لأحاديثه عليه السلام وعملهم بها هو لون من الوثنية. ولا أدرى فى الواقع كيف يكون ذلك. كذلك ينبغى التنبه إلى أن الأحاديث هى أول مصدر لتفسير القرآن الكريم، إذ من ذا الذى يستطيع

تفسير القرآن أفضل من الرسول عليه الصلاة والسلام؟ وعلاوة على هذا فهى تزودنا بأسباب النزول التى لا يستغنى عنها أى مفسر للقرآن الكريم. كما أن كتاب الله كثيرا ما يتناول المسائل التشريعية تناولا مجملا تاركا للسنة النبوية المطهرة مهمة التفصيل، فضلا عن أن ثم أمورا فى التشريع تركها القرآن تماما للسنة كى تقول رأى الإسلام فيها . ليس ذلك فقط، بل إن السنة لترينا على نحو عملى كيفية تطبيق ما ورد فى القرآن من تلك التشريعات. فما بالنا إذا كان صاحب هذا التطبيق هو الرسول ذاته الذى نـزل عليه القرآن وأُوكِلَتْ إليه مهمة تبليغه وتنفيذ أوامره ونواهيه وأحكامه؟ وفوق هذا وذاك لا يصح أن ننسى أن تلك الأحاديث هى أصح سيرة للنبى عليه السلام. فكيف يتسنى لعاقل أن يهملها كما يريد أولئك المتسَمَّوْن بـ"القرآنيين" زورا وبهتانا ؟ وبعد فهذه بعض الجوانب المهمة فقط لأحاديث رسول الله لا كلها .

ومع هذا فمما لا أستطيع أن أفهمه فى مقالة الكاتب تأكيده، عند حديثه بعد ذلك عن انتشار الإسلام فى عهوده المبكرة، أنه قد وقعت محاولتان على عهد النبى عليه السلام للتوسع شمالا نحو بيزنطة. ولست أعرف عن أية محاولتين يتحدث. ترى هل يقصد غزوتى مؤتة وتبوك؟ فها هو ذا ما كتبته "الموسوعة العربية العالمية" مثلا بشأن هاتين الغزوتين: فأما عن مؤتة فنقرأ ما يلى: "وقعت غزوة مؤتة في حياة رسول الله بين المسلمين

وبين الروم ببلاد الشام، وكان من بين أسبابها أن رسول الله بعث بكتاب إلى ملك بصرى (بالشام)، فلما نزل حامل كتاب رسول الله قرية مؤتة عرض له شرَحْبيل بن عمرو الغساني فقتله، وكانت الرسل لا تُقْتَل. فغضب رسول الله وأرسل هذه السرية إلى مؤتة في ثلاثة آلاف رجل في جُمادَى الأولى من سنة ثمانٍ من الهجرة. وأمَّر عليها زيد بن حارثة، فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة، فإن قُتِل فلْيَرْتَضِ المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم. وخرج الروم في مائة ألف، وانضم إليهم من حلفائهم العرب مائة ألف بقيادة شرَحْبيل بن عمرو الغساني، فالْتَقَوْا مع المسلمين بمؤتة. ودارت معركة عنيفة استُشْهد فيها زيد ثم جعفر ثم ابن رواحة، فأقرَّ المسلمون خالد بن الوليد، الذي تمكن من الانسحاب بالمسلمين بعد خسارة لم تتعد الاثني عشر شهيدًا. وقد نعى الرسول لأصحابه الأمراء الثلاثة الذين استُشْهِدوا في سبيل نصرة الإسلام.

وكانت هذه الغزوة إرهاصًا لما بعدها من غزو الروم وإرهابًا لهم، وتعرَّف المسلمون على عدد الروم وعُدَّتهم وخططهم العسكرية وطبيعة أرضهم. وعلى الرغم من أن المسلمين لم يدركوا الثأر إلا أن المعركة كانت كبيرة الأثر لسمعة المسلمين، فقد اندهش العرب غير المسلمين وأصيبوا بخيبة الأمل لأن الرومان كانوا أكبر قوة على وجه الأرض، فكان لقاء هذا الجيش الصغير، ثلاثة آلاف مقاتل، مع ذلك الجيش الضخم، مائتي ألف

مقاتل، ثم الرجوع من المعركة من غير أن تلحق به خسارة تُذكَر، حدثًا يثير الإعجاب، ويؤكد أن المسلمين من طراز آخر غير الذي ألفته العرب، وأنهم مُؤَيَّدون ومنصورون من عند الله، وأن رسالة محمد حق. ولذلك جنحت كثير من القبائل التي كانت تعادي المسلمين إلى الإسلام بعد هذه المعركة. فأسلمت قبائل بني سليم وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها".

والآن إلى غزوة تبوك: "دارت وقائعها في رمضان من العام التاسع الهجري بين المسلمين بقيادة الرسول محمد والروم بالشام. ذُكِر من أسبابها أن هرقل، ملك الروم، جمع جموعا من الروم وقبائل العرب الموالية له لحرب المسلمين، فعلم بهم رسول الله فخرج إليهم في نحو ثلاثين ألفا في سنة مجدبة وحرّ شديد. ورجع عبد الله بن أُبَيّ من الطريق، وتخلّف نحو ثمانين من المنافقين كفرًا وعنادًا، وتخلّف عُصاةٌ مثل مرارة بن الربيع وكعْب بن مالك وهلال بن أمية، وهم المسمَّوْن في القرآن الكريم في سورة "التوبة" بـ"الثلاثة الذين خُلِّفوا". وقد تاب الحق تبارك وتعالى عليهم بعد ذلك بعد أن اعتذروا. عندما وصل النبي إلى تبوك هابه الروم فتفرقوا، فلم يتوغل الرسول في أرض الروم، ورجع بعد أن صالح يُحَنَّة بن رؤبة صاحب أيلة، وأُكيدر دومة الجندل، وقذف الرعب في قلوب الروم. وكان رجوعه منها في رمضان.

وكان لهذه الغزوة أعظم أثر في بسط نفوذ المسلمين وتقويته على جزيرة العرب، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة من القوات أن تعيش في بلاد العرب سوى قوة الإسلام، وبطلت بقايا آمال كانت تتحرك في قلوب بقايا الوثنيين والمنافقين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر. وكانوا قد عقدوا آمالهم بالروم، ولكنهم استكانوا بعد هذه الغزوة. ونزل القرآن ليفضح نوايا هؤلاء، وخاصة المنافقين، الذين أمر الله بالتشديد عليهم ونهى عن قبول صدقاتهم، وعن الصلاة على من مات منهم، وعن الاستغفار لهم والقيام على قبورهم، وأمر بهدم مسجدهم (مسجد الضِّرَار) الذي بنَوْه وكرًا لدسائسهم. وتتابع قدوم الوفود على الرسول وتكاثر إلى أن بلغ القمة بعد هذه الغزوة لتجديد البيعة أو إعلان إسلام أقوامهم. وصالح الرسول في هذه الغزوة القبائل وسكان مناطق الحدود الشمالية بين الحجاز وأرض الشام، فأَمَّنُوا بذلك قاعدة متقدمة أمامية لعملياتهم المقبلة باتجاه الروم في أرض الشام". فأين إذن محاولتا الرسول التوسع فى بلاد الشام الواقعة تحت سلطان الروم آنذاك؟

ومما تناوله المؤلف من موضوعات فى مادته أيضا: الفرق الإسلامية المعروفة من سنة وشيعة ومتصوفة وخوارج بما بينها من اختلافات كبيرة أو صغيرة لا تنفى الخطوط المشتركة بطبيعة الحال، إذ هى كلها تنتسب إلى الإسلام فى نهاية المطاف أو تحرص على الانتساب إليه. ولا بأس

بالاختلاف بين البشر أفرادا وجماعات، بل هو أمر لا يمكن أن تخلو منه الدنيا، إذ خلق الله سبحانه الكون بناء على هذا الاختلاف. بل قل: هو أمر لا تستقيم الحياة بدونه لأنه يخلع على الدنيا ثراء وغنى وحيوية ويدفع الناس إلى التنافس ومحاولة السبق والتفوق على الآخرين مما يؤدى إلى تقدم الحياة وترقيتها، بشرط أن يكون التنافس عاقلا لا يهدف أصحابه إلى تدمير غيرهم، وبشرط أن يكون هناك تعاون بقدر الإمكان، أو على الأقل: ألا يكون هناك هذا البغض السام الذى تستتبعه الخلافات فى كثير من الأحيان، لا سيما إذا كانت خلافات عقيدية.

فمثلا أرانى أقول دائما: لا مانع أن يكون هناك سنة وشيعة، وليؤمن كل من الفريقين بأنه هو المصيب. ولكن هل لا بد لمحبّى علىٍّ رضى الله عنه من التطاول على سائر الصحابة بما فيهم أمهات المؤمنين وإخراجهم من الملة أو ما يقاربه، اللهم إلا ذلك العدد القليل الذى كان يناصره، كرم الله وجهه، ضد من اختلف معهم من الصحابة العظام رغم أنه هو نفسه لم يقل فى أولئك الإخوان الكرام النبلاء شيئا يقدح فى إيمانهم، إن لم يكن من أجل شىء فلأنه على أقل القليل كان يعى تمام الوعى حدوده وأنه ليس إلا عبدا لربه لا يحق له ولا يدور فى خاطره أن يفتئت على ربوبيته فيصدر مثل تلك الأحكام العجيبة الشاذة على أحد منهم؟ وهل لا بد كذلك من هذا الحرص على إزاحة من لا يشاركنا فى هذا التطاول على الصحابة من

طريقنا رغم أنهم لا يفكرون مجرد تفكير فى النيل من علىٍّ أو من أحد من آل البيت، بل لا يتصورون أن يُقْدِم مسلم على هذا الأمر؟ كذلك فإنى أفهم أن يكون هناك فقهاء ومتصوفة، بشرط أن يتعاون الفريقان: فلا يظن الفقيه مثلا أن كل المراد من الدين هو مراعاة الشروط الظاهرية التى تتعلق بالجانب الخارجى من العبادات مثلا، ثم لا شىء آخر، ولا يظن المتصوف أن المهم هو الشعور الباطنى بحب الله دون اهتمام بالتزام الأحكام الفقهية، بله الخروج العامد المتعمد عليها، فضلا عن مغالاة بعض الصوفية وزعمهم أن بمستطاعهم الاتحاد مع الله مثلا أو أنه سبحانه وتعالى قد حل فيهم. . . وهكذا.

ثم حين يأتى الكلام إلى العهود السياسية المختلفة والتطورات التى وقعت فى كل عهد منها نُلْفِى كاتبنا يقول إن الثقافة الإسلامية قد شرعت تنشأ وتتطور فى العصر الأموى، وإن لم تبلغ إبَى نضجها إلا فى القرن الأول من العصر العباسى: " Islamic culture started to evolve under the Umayyads, but it grew to maturity in the first century of the Abbasid dynasty"، وهو ما أخالفه فى الشق الأول منه الخاص بتاريخ بدء تلك الثقافة، التى أرى دون أدنى مراء أنها بدأت فى ذات اللحظة التى نزل فيها الوحى على سيدنا رسول الله وقام هو بتبليغه إلى من حوله. لقد كان هذه نقطة البداية فى مسيرة

الثقافة الإسلامية. ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف تلك المسيرة، وإن اعتراها الوهن والضعف فى بعض الفترات. أما قوله إن تلك الثقافة قد بلغت إِنى نضجها فى بداية العصر العباسى فالمقصود أنها كانت كذلك بالنسبة إلى زمانها، وإلا فما بلغته تلك الثقافة الآن قد تجاوز ذلك السقف كما لا يخفى على العيان. إلا أن ثم فارقا كبيرا بين الأمرين: فالثقافة الإسلامية فى عصر العباسيين كانت هى الثقافة البارزة فى العالم، وكان نصيب الإبداع فيها ضخما، وكان العالم الغربى مثلا ينظر إليها بعين الإكبار والاحترام، ويجلس عند أقدامها يصغى ويتعلم، أما الآن فأغلب معارفنا مستقًى من ذلك الغرب، وإن كان نصيبنا الآن من المعارف أكبر منه فى العصر العباسى مع هذا.

كذلك نرى الكاتب يشيد بخطة العباسيين القائمة على الاستفادة من جميع الثقافات التى كانت متاحة فى عصرهم. وهى إشادة تستحق الثناء، إذ الثقافات تأْسَن وتَعْطَن إذا لم تلقّح نفسها بثمار الفكر الإنسانى لدى الأمم المختلفة، والمهم ألا تهمل المحافظة على عناصرها الجوهرية المتيَقَّن من صحتها واستقامتها. وعلى هذا فلا بد لنا نحن المسلمين فى هذا العصر مثلا من الاطلاع على ما لدى الأمم الأخرى من ثقافات، ولكن بشرط أن تكون قيمنا العقيدية والخلقية والذوقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والسلوكية النابعة من ديننا هى الحاكمة على عملية الاطلاع

والاستعارة هذه، وإلا بارت شخصيتنا وتميّعت وامّحَت مع الأيام. ومن الطبيعى أن تحرص كل أمة على نشر ثقافتها فى العالمين. بل إن بعض الأمم لا تكتفى بهذا، فنراها تعمل بكل طاقاتها على محو الثقافات الأخرى حتى لا يبقى سوى ثقافتها هى. وهذا ما تفعله فى عصرنا الحالىّ الأمم الغربية فى أوربا وأمريكا وأستراليا، وهو ما لا ينبغى أبدا أن يكون أمرا مقبولا من جانب المسلمين، وإلا كان ذلك تمهيدا لضياعهم وذوبانهم فى تلك الأمم وفنائهم حضاريا وثقافيا، إن لم يكن فناء ماديا أيضا مع الأيام كما حدث للهنود الحمر وسكان أستراليا الأصليين.

ثم يمضى الكاتب فى تتبع الخطوط العامة للتاريخ الإسلامى إلى أن يصل إلى هجوم المغول على بلاد المسلمين ودخولهم بغداد والتدمير والقتل الذى أوقعوه بالبلاد والعباد بتشجيع من ملوك أوربا آنذاك. ويهمنى التوقف أمام الإنجاز المملوكى العظيم الذى أوقف هذا الإعصار المغولى فى عين جالوت ورَدَّه مكسورا على أعقابه بعد أن كان ينوى اكتساح بقية العالم الإسلامى. وغايتى من هذا التوقف هو أخذ العبرة من ذلك الانتصار العبقرى، إذ إن كثيرا من المسلمين هذه الأيام للأسف ينظر إلى أمريكا وأوربا بنفس العين التى كان كثير من معاصرى المغول من المسلمين ينظر بها إلى المغول، وهى أنه لا فائدة ولا عائدة من التصدى لعدوانهم، فهم إعصار مكتسح لا يُصَدّ ولا يُرَدّ. ولقد بلغ من تمكن هذه العقيدة الكئيبة فى نفوس

أسلافنا أن الجندى من جنود المغول كان يأتى إلى جماعة من المسلمين تبلغ بضع عشرات وليس فى يده سيف، فيطلب منهم أن يبقَوْا فى مكانهم لا يبرحونه حتى يعود ومعه سيف يقتلهم به، فكانوا يطيعونه دون تفكير إلى أن يصل بالسيف فيجزر رقابهم. وقد تكون الحكاية مصنوعة، إلا أنه يبقى لها مع هذا دلالتها الرمزية على الوَهَن الذى دبَّ إلى النفوس آنئذ واستولى عليها .

وهأنذا الآن أكتب، وغزة الأبيّة الصامدة فى مفتتح العام التاسع من القرن الحادى والعشرين تضربها الطائرات الصهيونية فتدمر بيوتها ومستشفياتها ومساجدها ومدارسها فوق رؤوس أهليها الأبطال الصناديد، فيظن كثير من العرب والمسلمين أنه لا قِبَل لأحد بالوقوف فى وجه هذا التوحش والإجرام العاتى ويستغربون كيف يخطر لأهل غزة التفكير، مجرد التفكير، فى محاربة يهود، الذين تقف دول الغرب كلها معهم مالا وسلاحا وتخطيطا وتآمرا وتعضيدا سياسيا؟ بمنطق المهزومين مسبقا ما كان ينبغى للغزاويين أن يقدموا على هذا الانتحار، أما بمنطق عين جالوت فلم يكن أمام الغزاويين المقاديم المغاوير غير هذا، وإلا لذاقوا من العسف اليهودى ما هو أفظع وأشنع وأشد وأنكى، ولازدادت شهية الغول الإسرائيلى إلى هَرْس لحومهم وقضقضة عظامهم. على أن المغول لم ينكسروا فقط أمام جيوش الإسلام فى عين جالوت، بل كان هذا

الانكسار مقدمة لاعتناقهم دين محمد عليه الصلاة والسلام، وقامت لهم فى أواسط آسيا دول إسلامية. فتأمَّل وتعجَّب! ولقد كانت لى نظرية أرددها فى السبعينات من القرن الفائت مؤداها أن الإسلام قد انتشر فى كل بلاد العالم على نطاق واسع ما عدا بلاد الغرب، وأنه قد اقترب الأوان كى يحدث أيضا فى بلاد الغرب ما حدث فى سائر الكرة الأرضية. وأنا، وإن كنت قد توقفت عن ترديد هذه النظرية فى أحاديثى مع أصدقائى ومعارفى إلا فى الحين بعد الحين، فإنى لم أنفض منها يدى قط رغم تتالى الأحداث المؤلمة التى قد يراها البعض منا أنها تتعارض معها. لكن من يدرى؟

Islam
(Wikipedia: The Free Encyclopedia)

Islam (Arabic: الإسلام; al-'islām; pronounced: [al-'islām][note 1]) is a monotheistic, Abrahamic religion originating with the teachings of the Islamic prophet Muhammad, a 7th century Arab religious and political figure. The word Islam means "submission", or the total surrender of oneself to God (Arabic: الله, Allāh).[1] An adherent of Islam is known as a Muslim, meaning "one who submits [to God]".[2][3] The word Muslim is the participle of the same verb of which Islām is the infinitive. There are between 1 billion and 1.8 billion Muslims, making Islam the second-largest religion in the world, after Christianity.[4]

Muslims believe that God revealed the Qur'an to Muhammad, God's final prophet, through the angel Gabriel, and regard the Qur'an and the Sunnah (words and deeds of Muhammad) as the fundamental sources of Islam.[5] They do not regard Muhammad as the founder of a new religion, but as the restorer of the original monotheistic faith of Abraham, Moses, Jesus, and other prophets. Islamic tradition holds that Jews and Christians distorted the revelations God gave to these prophets by either altering the text, introducing a false interpretation, or both.[6]

Islam includes many religious practices. Adherents are generally required to observe the Five Pillars of Islam, which are five duties that unite Muslims into a community.[7] In addition to the Five Pillars, Islamic law (sharia) has developed a tradition of rulings that touch on virtually all aspects

of life and society. This tradition encompasses everything from practical matters like dietary laws and banking to warfare and welfare.[8]

Almost all Muslims belong to one of two major denominations, the Sunni (85%) and Shi'a (15%). The schism developed in the late 7th century following disagreements over the religious and political leadership of the Muslim community. Islam is the predominant religion in much of Africa and the Middle East, as well as in major parts of Asia.[9] Large communities are also found in China, the Balkan Peninsula in Eastern Europe and Russia. There are also large Muslim immigrant communities in other parts of the world, such as Western Europe. About 20% of Muslims live in Arab countries,[10] 30% in the Indian subcontinent and 15.6% in Indonesia, the largest Muslim country by population.[11]

Etymology and meaning

The word Islam is a verbal noun originating from the triliteral root s-l-m, and is derived from the Arabic verb Aslama, which means "to accept, surrender or submit." Thus, Islam means acceptance of and submission to God, and believers must demonstrate this by worshipping him, following his commands, and avoiding polytheism. The word is given a number of meanings in the Qur'an. In some verses (ayat), the quality of Islam as an internal conviction is stressed: "Whomsoever God desires to guide, He expands his breast to Islam."[12] Other verses connect islām and dīn (usually translated as "religion"): "Today, I have perfected your religion (dīn) for you; I have completed My blessing upon you; I have approved Islam for your religion."[13] Still others describe Islam as an action of returning to God — more than just a verbal affirmation of faith.[14] Another technical meaning in Islamic

thought is as one part of a triad of islam, imān (faith), and ihsān (excellence); where it represents acts of worship (`ibādah) and Islamic law (sharia).[15]

Articles of faith

Muslims believe in God, his revelations, his angels, his messengers, and in the "Day of Judgment".[16] Also, there are other beliefs that differ between particular sects. The Sunni concept of predestination is called divine decree,[17] while the Shi'a version is called divine justice. Unique to the Shi'a is the doctrine of Imamah, or the political and spiritual leadership of the Imams.[18]

Muslims believe that God revealed his final message to humanity through the Islamic prophet Muhammad via the archangel Gabriel (Jibrīl). For them, Muhammad was God's final prophet and the Qur'an is the revelations he received over more than two decades.[19] In Islam, prophets are men selected by God to be his messengers. Muslims believe that prophets are human and not divine, though some are able to perform miracles to prove their claim. Islamic prophets are considered to be the closest to perfection of all humans, and are uniquely the recipients of divine revelation — either directly from God or through angels. The Qur'an mentions the names of numerous figures considered prophets in Islam, including Adam, Noah, Abraham, Moses and Jesus, among others.[20] Islamic theology says that all of God's messengers since Adam preached the message of Islam — submission to the will of God. Islam is described in the Qur'an as "the primordial nature upon which God created mankind",[21] and the Qur'an states that the proper name Muslim was given by Abraham.[22]

As a historical phenomenon, Islam originated in Arabia in the early 7th century.[23] Islamic texts depict Judaism and Christianity as prophetic successor traditions to the teachings of Abraham. The Qur'an calls Jews and Christians "People of the Book" (ahl al-kitāb), and distinguishes them from polytheists. Muslims believe that parts of the previously revealed scriptures, the Tawrat (Torah) and the Injil (Gospels), had become distorted — either in interpretation, in text, or both.[6]

God

Islam's fundamental theological concept is tawhīd — the belief that there is only one god. The Arabic term for God is Allāh; most scholars believe it was derived from a contraction of the words al- (the) and 'ilāh (deity, masculine form), meaning "the god" (al-ilāh), but others trace its origin to the Aramaic Alāhā.[24] The first of the Five Pillars of Islam, tawhīd is expressed in the shahadah (testification), which declares that there is no god but God, and that Muhammad is God's messenger. In traditional Islamic theology, God is beyond all comprehension; Muslims are not expected to visualize God but to worship and adore him as a protector. Although Muslims believe that Jesus was a prophet, they reject the Christian doctrine of the Trinity, comparing it to polytheism. In Islamic theology, Jesus was just a man and not the son of God;[25] God is described in a chapter (sura) of the Qur'an as "…God, the One and Only; God, the Eternal, Absolute; He begetteth not, nor is He begotten; And there is none like unto Him."[26]

Qur'an

Muslims consider the Qur'an to be the literal word of God; it is the central religious text of Islam.[27] Muslims believe that the verses of the

Qur'an were revealed to Muhammad by God through the angel Gabriel on many occasions between 610 and his death on June 8, 632. The Qur'an was reportedly written down by Muhammad's companions (sahabah) while he was alive, although the prime method of transmission was orally. It was compiled in the time of Abu Bakr, the first caliph, and was standardized under the administration of Uthman, the third caliph. From textual evidence Islamic studies scholars find that the Qur'an of today has not changed significantly over the years.[28]

The Qur'an is divided into 114 suras, or chapters, which combined, contain 6,236 āyāt, or verses. The chronologically earlier suras, revealed at Mecca, are primarily concerned with ethical and spiritual topics. The later Medinan suras mostly discuss social and moral issues relevant to the Muslim community.[29] The Qur'an is more concerned with moral guidance than legal instruction, and is considered the "sourcebook of Islamic principles and values".[30] Muslim jurists consult the hadith, or the written record of Muhammad's life, to both supplement the Qur'an and assist with its interpretation. The science of Qur'anic commentary and exegesis is known as tafsir.[31]

The word Qur'an means "recitation". When Muslims speak in the abstract about "the Qur'an", they usually mean the scripture as recited in Arabic rather than the printed work or any translation of it. To Muslims, the Qur'an is perfect only as revealed in the original Arabic; translations are necessarily deficient because of language differences, the fallibility of translators, and the impossibility of preserving the original's inspired style. Translations are therefore regarded only as commentaries on the

Qur'an, or "interpretations of its meaning", not as the Qur'an itself.[32]

Angels

Belief in angels is crucial to the faith of Islam. The Arabic word for angel (malak) means "messenger", like its counterparts in Hebrew (malakh) and Greek (angelos). According to the Qur'an, angels do not possess free will, and worship God in perfect obedience.[33] Angels' duties include communicating revelations from God, glorifying God, recording every person's actions, and taking a person's soul at the time of death. They are also thought to intercede on man's behalf. The Qur'an describes angels as "messengers with wings — two, or three, or four (pairs): He [God] adds to Creation as He pleases…"[34]

Muhammad

Muhammad (c. 570 – June 8, 632) was an Arab religious, political, and military leader who founded the religion of Islam as a historical phenomenon. Muslims view him not as the creator of a new religion, but as the restorer of the original, uncorrupted monotheistic faith of Adam, Abraham and others. In Muslim tradition, Muhammad is viewed as the last and the greatest in a series of prophets — as the man closest to perfection, the possessor of all virtues.[35] For the last 23 years of his life, beginning at age 40, Muhammad reported receiving revelations from God. The content of these revelations, known as the Qur'an, was memorized and recorded by his companions.[36]

During this time, Muhammad preached to the people of Mecca, imploring them to abandon polytheism. Although some converted to Islam, Muhammad and his followers were persecuted by the leading Meccan authorities. After 13 years of

preaching, Muhammad and the Muslims performed the Hijra ("emigration") to the city of Medina (formerly known as Yathrib) in 622. There, with the Medinan converts (Ansar) and the Meccan migrants (Muhajirun), Muhammad established his political and religious authority. Within years, two battles had been fought against Meccan forces: the Battle of Badr in 624, which was a Muslim victory, and the Battle of Uhud in 625, which ended inconclusively. Conflict with Medinan Jewish clans who opposed the Muslims led to their exile, enslavement or death, and the Jewish enclave of Khaybar was subdued. At the same time, Meccan trade routes were cut off as Muhammad brought surrounding desert tribes under his control.[37] By 629 Muhammad was victorious in the nearly bloodless Conquest of Mecca, and by the time of his death in 632 he ruled over the Arabian peninsula.[38]

In Islam, the "normative" example of Muhammad's life is called the Sunnah (literally "trodden path"). This example is preserved in traditions known as hadith ("reports"), which recount his words, his actions, and his personal characteristics. The classical Muslim jurist ash-Shafi'i (d. 820) emphasized the importance of the Sunnah in Islamic law, and Muslims are encouraged to emulate Muhammad's actions in their daily lives. The Sunnah is seen as crucial to guiding interpretation of the Qur'an.[39]

Resurrection and judgment

Belief in the "Day of Resurrection", yawm al-Qiyāmah (also known as yawm ad-dīn, "Day of Judgment" and as-sā`a, "the Last Hour") is also crucial for Muslims. They believe that the time of Qiyāmah is preordained by God but unknown to man. The trials and tribulations preceding and during the Qiyāmah are described in the Qur'an and

the hadith, and also in the commentaries of Islamic scholars. The Qur'an emphasizes bodily resurrection, a break from the pre-Islamic Arabian understanding of death. It states that resurrection will be followed by the gathering of mankind, culminating in their judgment by God.[40]

The Qur'an lists several sins that can condemn a person to hell, such as disbelief, usury and dishonesty. Muslims view paradise (jannah) as a place of joy and bliss, with Qur'anic references describing its features and the physical pleasures to come. There are also references to a greater joy — acceptance by God (ridwān).[41] Mystical traditions in Islam place these heavenly delights in the context of an ecstatic awareness of God.[42]

Predestination and free will

In accordance with the Sunni Islamic belief in predestination, or divine preordainment (al-qadā wa'l-qadar), God has full knowledge and control over all that occurs. This is explained in Qur'anic verses such as "Say: 'Nothing will happen to us except what Allah has decreed for us: He is our protector'…"[43] For Muslims, everything in the world that occurs, good or evil, has been preordained and nothing can happen unless permitted by God. In Islamic theology, divine preordainment does not suggest an absence of God's indignation against evil, because any evils that do occur are thought to result in future benefits men may not be able to see. According to Muslim theologians, although events are pre-ordained, man possesses free will in that he has the faculty to choose between right and wrong, and is thus responsible for his actions. According to Islamic tradition, all that has been decreed by God is written in al-Lawh al-Mahfūz, the "Preserved Tablet".[44]

The Shi'a understanding of free will is called "divine justice" (Adalah). This doctrine, originally developed by the Mu'tazila, stresses the importance of man's responsibility for his own actions. In contrast, the Sunni deemphasize the role of individual free will in the context of God's creation and foreknowledge of all things.[45]

Duties and practices

Five Pillars

The Five Pillars of Islam (Arabic: أركان الدين) are five practices essential to Sunni Islam. Shi'a Muslims subscribe to different sets of pillars which substantially overlap with the Five Pillars.[46] They are:

The shahadah[47], which is the basic creed or tenet of Islam: "'ašhadu 'al-lā ilāha illā-llāhu wa 'ašhadu 'anna muħammadan rasūlu-llāh", or "I testify that there is none worthy of worship except God and I testify that Muhammad is the Messenger of God." This testament is a foundation for all other beliefs and practices in Islam. Muslims must repeat the shahadah in prayer, and non-Muslims wishing to convert to Islam are required to recite the creed.[48]

Salah, or ritual prayer, which must be performed five times a day. Each salah is done facing towards the Kaaba in Mecca. Salah is intended to focus the mind on God, and is seen as a personal communication with him that expresses gratitude and worship. Salah is compulsory but flexibility in the specifics is allowed depending on circumstances. In many Muslim countries, reminders called Adhan (call to prayer) are broadcast publicly from local mosques at the appropriate times. The prayers are recited in the

Arabic language, and consist of verses from the Qur'an.[49]

Zakat, or alms-giving. This is the practice of giving based on accumulated wealth, and is obligatory for all Muslims who can afford it. A fixed portion is spent to help the poor or needy, and also to assist the spread of Islam. The zakat is considered a religious obligation (as opposed to voluntary charity) that the well-off owe to the needy because their wealth is seen as a "trust from God's bounty". The Qur'an and the hadith also suggest a Muslim give even more as an act of voluntary alms-giving (sadaqah).[50]

Sawm, or fasting during the month of Ramadan. Muslims must not eat or drink (among other things) from dawn to dusk during this month, and must be mindful of other sins. The fast is to encourage a feeling of nearness to God, and during it Muslims should express their gratitude for and dependence on him, atone for their past sins, and think of the needy. Sawm is not obligatory for several groups for whom it would constitute an undue burden. For others, flexibility is allowed depending on circumstances, but missed fasts usually must be made up quickly. Some Muslim groups do not fast during Ramadan, and instead have fasts different times of the year.[51]

The Hajj, which is the pilgrimage during the Islamic month of Dhu al-Hijjah in the city of Mecca. Every able-bodied Muslim who can afford it must make the pilgrimage to Mecca at least once in his or her lifetime. When the pilgrim is about ten kilometers from Mecca, he must dress in Ihram clothing, which consists of two white seamless sheets. Rituals of the Hajj include walking seven times around the Kaaba, touching the Black Stone, running seven times between Mount Safa and Mount

Marwah, and symbolically stoning the Devil in Mina. The pilgrim, or the hajji, is honored in his or her community, although Islamic teachers say that the Hajj should be an expression of devotion to God instead of a means to gain social standing.[52]

Law

The Sharia (literally: "the path leading to the watering place") is Islamic law formed by traditional Islamic scholarship, which most Muslim groups adhere to. In Islam, Sharia is the expression of the divine will, and "constitutes a system of duties that are incumbent upon a Muslim by virtue of his religious belief".[53]

Islamic law covers all aspects of life, from matters of state, like governance and foreign relations, to issues of daily living. The Qur'an defines hudud as the punishments for five specific crimes: unlawful intercourse, false accusation of unlawful intercourse, consumption of alcohol, theft, and highway robbery. The Qur'an and Sunnah also contain laws of inheritance, marriage, and restitution for injuries and murder, as well as rules for fasting, charity, and prayer. However, these prescriptions and prohibitions may be broad, so their application in practice varies. Islamic scholars (known as ulema) have elaborated systems of law on the basis of these rules and their interpretations.[54]

Fiqh, or "jurisprudence", is defined as the knowledge of the practical rules of the religion. The method Islamic jurists use to derive rulings is known as usul al-fiqh ("legal theory", or "principles of jurisprudence"). According to Islamic legal theory, law has four fundamental roots, which are given precedence in this order: the Qur'an, the Sunnah (actions and sayings of Muhammad), the consensus of the Muslim jurists (ijma), and analogical

reasoning (qiyas). For early Islamic jurists, theory was less important than pragmatic application of the law. In the 9th century, the jurist ash-Shafi'i provided a theoretical basis for Islamic law by codifying the principles of jurisprudence (including the four fundamental roots) in his book ar-Risālah.[55]

Religion and state

Mainstream Islamic law does not distinguish between "matters of church" and "matters of state"; the ulema function as both jurists and theologians. In practice, Islamic rulers frequently bypassed the Sharia courts with a parallel system of so-called "Grievance courts" over which they had sole control. As the Muslim world came into contact with Western secular ideals, Muslim societies responded in different ways. Turkey has been governed as a secular state ever since the reforms of Mustafa Kemal Atatürk. In contrast, the 1979 Iranian Revolution replaced a mostly secular regime with an Islamic republic led by the Ayatollah Khomeini.[56]

Etiquette and diet

Many practices fall in the category of adab, or Islamic etiquette. This includes greeting others with "as-salamu `alaykum" ("peace be unto you"), saying bismillah ("in the name of God") before meals, and using only the right hand for eating and drinking. Islamic hygienic practices mainly fall into the category of personal cleanliness and health, such as the circumcision of male offspring. Islamic burial rituals include saying the Salat al-Janazah ("funeral prayer") over the bathed and enshrouded dead body, and burying it in a grave. Muslims, like Jews, are restricted in their diet, and prohibited foods include pig products, blood, carrion, and alcohol. All meat must come from a herbivorous animal slaughtered in

the name of God by a Muslim, Jew, or Christian, with the exception of game that one has hunted or fished for oneself. Food permissible for Muslims is known as halal food.[57]

Jihad

Jihad means "to strive or struggle" (in the way of God) and is considered the "sixth pillar of Islam" by a minority of Sunni Muslim authorities.[58] Jihad, in its broadest sense, is classically defined as "exerting one's utmost power, efforts, endeavors, or ability in contending with an object of disapprobation." Depending on the object being a visible enemy, the devil, and aspects of one's own self, different categories of Jihad are defined.[59] Jihad when used without any qualifier is understood in its military aspect.[60][61] Jihad also refers to one's striving to attain religious and moral perfection.[62] Some Muslim authorities, especially among the Shi'a and Sufis, distinguish between the "greater jihad", which pertains to spiritual self-perfection, and the "lesser jihad", defined as warfare.[63]

Within Islamic jurisprudence, jihad is usually taken to mean military exertion against non-Muslim combatants in the defense or expansion of the Islamic state, the ultimate purpose of which is to universalize Islam. Jihad, the only form of warfare permissible in Islamic law, may be declared against apostates, rebels, highway robbers, violent groups, unIslamic leaders or states which refuse to submit to the authority of Islam.[64][65] Most Muslims today interpret Jihad as only a defensive form of warfare: the external Jihad includes a struggle to make the Islamic societies conform to the Islamic norms of justice.[66]

Under most circumstances and for most Muslims, jihad is a collective duty (fard kifaya): its performance by some individuals exempts the others. Only for those vested with authority, especially the sovereign (imam), does jihad become an individual duty. For the rest of the populace, this happens only in the case of a general mobilization.[65] For most Shias, offensive jihad can only be declared by a divinely appointed leader of the Muslim community, and as such is suspended since Muhammad al-Mahdi's[67] occultation in 868 AD.[68]

History

Islam's historical development resulted in major political, economic, and military effects inside and outside the Islamic world. Within a century of Muhammad's first recitations of the Qur'an, an Islamic empire stretched from the Atlantic Ocean in the west to Central Asia in the east. This new polity soon broke into civil war, and successor states fought each other and outside forces. However, Islam continued to spread into regions like Africa, the Indian subcontinent, and Southeast Asia. The Islamic civilization was one of the most advanced in the world during the Middle Ages, but was surpassed by Europe with the economic and military growth of the West. During the 18th and 19th centuries, Islamic dynasties such as the Ottomans and Mughals fell under the sway of European imperial powers. In the 20th century new religious and political movements and newfound wealth in the Islamic world led to both rebirth and conflict.[69]

Rise of the caliphate and Islamic civil war (632–750)

Muhammad began preaching Islam at Mecca before migrating to Medina, from where he united

the tribes of Arabia into a singular Arab Muslim religious polity. With Muhammad's death in 632, disagreement broke out over who would succeed him as leader of the Muslim community. Umar ibn al-Khattab, a prominent companion of Muhammad, nominated Abu Bakr, who was Muhammad's intimate friend and collaborator. Others added their support and Abu Bakr was made the first caliph. This choice was disputed by some of Muhammad's companions, who held that Ali ibn Abi Talib, his cousin and son-in-law, had been designated his successor. Abu Bakr's immediate task was to avenge a recent defeat by Byzantine (or Eastern Roman Empire) forces, although he first had to put down a rebellion by Arab tribes in an episode known as the Ridda wars, or "Wars of Apostasy".[70]

His death in 634 resulted in the succession of Umar as the caliph, followed by Uthman ibn al-Affan and Ali ibn Abi Talib. These four are known as al-khulafā' ar-rāshidūn ("Rightly Guided Caliphs"). Under them, the territory under Muslim rule expanded deeply into Persian and Byzantine territories.[71]

When Umar was assassinated in 644, the election of Uthman as successor was met with increasing opposition. In 656, Uthman was also killed, and Ali assumed the position of caliph. After fighting off opposition in the first civil war (the "First Fitna"), Ali was assassinated by Kharijites in 661. Following this, Mu'awiyah, who was governor of Levant, seized power and began the Umayyad dynasty.[72]

These disputes over religious and political leadership would give rise to schism in the Muslim community. The majority accepted the legitimacy of the three rulers prior to Ali, and became known as Sunnis. A minority disagreed, and believed that Ali

was the only rightful successor; they became known as the Shi'a.[73] After Mu'awiyah's death in 680, conflict over succession broke out again in a civil war known as the "Second Fitna". Afterward, the Umayyad dynasty prevailed for seventy years, and was able to conquer the Maghrib and Al-Andalus (the Iberian Peninsula, former Visigothic Hispania) and the Narbonnese Gaul} in the west as well as expand Muslim territory into Sindh and the fringes of Central Asia.[74] While the Muslim-Arab elite engaged in conquest, some devout Muslims began to question the piety of indulgence in a worldly life, emphasizing rather poverty, humility and avoidance of sin based on renunciation of bodily desires. Devout Muslim ascetic exemplars such as Hasan al-Basri would inspire a movement that would evolve into Sufism.[75]

For the Umayyad aristocracy, Islam was viewed as a religion for Arabs only;[76] the economy of the Umayyad empire was based on the assumption that a majority of non-Muslims (Dhimmis) would pay taxes to the minority of Muslim Arabs. A non-Arab who wanted to convert to Islam was supposed to first become a client of an Arab tribe. Even after conversion, these new Muslims (mawali) did not achieve social and economic equality with the Arabs. The descendants of Muhammad's uncle Abbas ibn Abd al-Muttalib rallied discontented mawali, poor Arabs, and some Shi'a against the Umayyads and overthrew them with the help of their propagandist and general Abu Muslim, inaugurating the Abbasid dynasty in 750.[77] Under the Abbasids, Islamic civilization flourished in the "Islamic Golden Age", with its capital at the cosmopolitan city of Baghdad.[78]

Golden Age (750–1258)

By the late 9th century, the Abbasid caliphate began to fracture as various regions gained increasing levels of autonomy. Across North Africa,

Persia, and Central Asia emirates formed as provinces broke away. The monolithic Arab empire gave way to a more religiously homogenized Muslim world where the Shia Fatimids contested even the religious authority of the caliphate. By 1055 the Seljuq Turks had eliminated the Abbasids as a military power, nevertheless they continued to respect the caliph's titular authority.[79] During this time expansion of the Muslim world continued, by both conquest and peaceful proselytism even as both Islam and Muslim trade networks were extending into sub-Saharan West Africa, Central Asia, Volga Bulgaria and the Malay archipelago.[2]

The Golden Age saw new legal, philosophical, and religious developments. The major hadith collections were compiled and the four modern Sunni Madh'habs were established. Islamic law was advanced greatly by the efforts of the early 9th century jurist al-Shafi'i; he codified a method to establish the reliability of hadith, a topic which had been a locus of dispute among Islamic scholars.[80] Philosophers Ibn Sina (Avicenna) and Al-Farabi sought to incorporate Greek principles into Islamic theology, while others like the 11th century theologian Abu Hamid al-Ghazzali argued against them and ultimately prevailed.[81] Finally, Sufism and Shi'ism both underwent major changes in the 9th century. Sufism became a full-fledged movement that had moved towards mysticism and away from its ascetic roots, while Shi'ism split due to disagreements over the succession of Imams.[82]

The spread of the Islamic dominion induced hostility among medieval ecclesiastical Christian authors who saw Islam as an adversary in the light of the large numbers of new Muslim converts. This opposition resulted in polemical treatises which depicted Islam as the religion of the antichrist and of

Muslims as libidinous and subhuman.[83] In the medieval period, a few Arab philosophers like the poet Al-Ma'arri adopted a critical approach to Islam, and the Jewish philosopher Maimonides contrasted Islamic views of morality to Jewish views that he himself elaborated.[84]

Crusades, Reconquista and Mongol invasion

Starting in the 9th century, Muslim conquests in the West began to be reversed. The Reconquista was launched against Muslim principalities in Iberia, and Muslim Italian possessions were lost to the Normans. From the 11th century onwards alliances of European Christian kingdoms mobilized to launch a series of wars known as the Crusades, bringing the Muslim world into conflict with Christendom. Initially successful in their goal of taking the Holy land, and establishing the Crusader states, Crusader gains in the Holy Land were later reversed by subsequent Muslim generals such as Saladin; who recaptured Jerusalem during the Second Crusade.[85] In the east the Mongol Empire put an end to the Abbassid dynasty at the Battle of Baghdad in 1258, as they overran the Muslim lands in a series of invasions. Meanwhile in Egypt, the slave-soldier Mamluks took control in an uprising in 1250[86] and in alliance with the Golden Horde halted the Mongol armies at the Battle of Ain Jalut. But Mongol rule extended across the breadth of almost all Muslim lands in Asia and Islam was temporarily replaced by Buddhism as the official religion of the land. Over the next century the Mongol Khanates converted to Islam and this religious and cultural absorption ushered in a new age of Mongol-Islamic synthesis that shaped the further spread of Islam in central Asia and the Indian subcontinent.

The Black Death ravaged much of the Islamic world in the mid-14th century.[87] It is probable that the Mongols and merchant caravans making use of the opportunities of free passage offered by the Pax Mongolica inadvertently brought the plague from Central Asia to the Middle East and Europe.[88] Plague epidemics kept returning to the Islamic world up to the 19th century.[89]

Turkish, Iranian and Indian empires (1030–1918)

The Seljuk Turks conquered Abbassid lands and adopted Islam and become the de facto rulers of the caliphate. They captured Anatolia by defeating the Byzantines at the Battle of Manzikert, thereby precipitating the call for Crusades. They however fell apart rapidly in the second half of the 12th century giving rise to various semi-autonomous Turkich dynasties. In the 13th and 14th centuries the Ottoman empire (named after Osman I) emerged from among these "Ghazi emirates" and established itself after a string of conquests that included the Balkans, parts of Greece, and western Anatolia. In 1453 under Mehmed II the Ottomans laid siege to Constantinople, the capital of Byzantium, which succumbed shortly thereafter, having been overwhelmed by a far greater number of Ottoman troops and to a lesser extent, cannonry.[90]

Beginning in the 13th century, Sufism underwent a transformation, largely as a result of the efforts of al-Ghazzali to legitimize and reorganize the movement. He developed the model of the Sufi order — a community of spiritual teachers and students.[91] Also of importance to Sufism was the creation of the Masnavi, a collection of mystical poetry by the 13th century Persian poet Rumi. The Masnavi had a profound influence on the development of Sufi religious thought; to many

Sufis it is second in importance only to the Qur'an.[92]

In the early 16th century, the Shi'i Safavid dynasty assumed control in Persia and established Shi'a Islam as an official religion there, and despite periodic setbacks, the Safavids remained powerful for two centuries. Meanwhile, Mamluk Egypt fell to the Ottomans in 1517, who then launched a European campaign which reached as far as the gates of Vienna in 1529.[93] After the invasion of Persia, and sack of Baghdad by the Mongols in 1258, Delhi became the most important cultural centre of the Muslim east.[94] Many Islamic dynasties ruled parts of the Indian subcontinent starting from the 12th century. The prominent ones include the Delhi Sultanate (1206–1526) and the Mughal empire (1526–1857). These empires helped in the spread of Islam in South Asia, but by the early-18th century the Maratha empire became the pre-eminent power in the north of India. By the mid-18th century the British empire had formally ended the Mughal dynasty,[95], and at the end of the 18th century overthrew the Muslim-ruled Kingdom of Mysore. In the 18th century the Wahhabi movement took hold in Saudi Arabia. Founded by the preacher Ibn Abd al-Wahhab, Wahhabism is a fundamentalist ideology that condemns practices like Sufism and the veneration of saints as un-Islamic.[96]

By the 17th and 18th centuries, despite attempts at modernization, the Ottoman empire had begun to feel threatened by European economic and military advantages. In the 19th century, the rise of nationalism resulted in Greece declaring and winning independence in 1829, with several Balkan states following suit after the Ottomans suffered defeat in the Russo-Turkish War of 1877–1878. The Ottoman era came to a close at the end of World

War I and the Caliphate was abolished in 1924.[97][98]

In the 19th century, the Salafi, Deobandi and Barelwi movements were initiated.

Modern times (1918–present)

By the early years of the 20th century, most of the Muslim world outside the Ottoman empire had been absorbed into the empires of non-Islamic European powers. After World War I losses, nearly all of the Ottoman empire was also parceled out as European protectorates or spheres of influence. In the course of the 20th century, most of these European-ruled territories became independent, and new issues such as oil wealth and relations with the State of Israel have assumed prominence.[99] During this time, many Muslims migrated, as indentured servants, from mostly India and Indonesia to the Caribbean, forming the largest Muslim populations by percentage in the Americas.[100] Additionally, the resulting urbanization and increase in trade in Africa brought Muslims to settle in new areas and spread their faith. As a result, Islam in sub-Saharan Africa likely doubled between 1869 and 1914.[101] The Organization of the Islamic Conference (OIC), consisting of Muslim countries, was formally established in September 1969 after the burning of the Al-Aqsa Mosque in Jerusalem.[102]

The 20th century saw the creation of many new Islamic "revivalist" movements. Groups such as the Muslim Brotherhood in Egypt and Jamaat-e-Islami in Pakistan advocate a totalistic and theocratic alternative to secular political ideologies. Sometimes called Islamist, they see Western cultural values as a threat, and promote Islam as a comprehensive solution to every public and private question of

importance. In countries like Iran and Afghanistan (under the Taliban), revolutionary movements replaced secular regimes with Islamist states, while transnational groups like Osama bin Laden's al-Qaeda engage in terrorism to further their goals. In contrast, Liberal Islam is a movement that attempts to reconcile religious tradition with modern norms of secular governance and human rights. Its supporters say that there are multiple ways to read Islam's sacred texts, and stress the need to leave room for "independent thought on religious matters".[103]

Modern critique of Islam includes accusations that Islam is intolerant of criticism and that Islamic law is too hard on apostates. Critics like Ibn Warraq question the morality of the Qu'ran, saying that its contents justify the mistreatment of women and encourage antisemitic remarks by Muslim theologians.[104] Such claims are disputed by Muslim writers like Fazlur Rahman Malik,[105] Syed Ameer Ali,[106] Ahmed Deedat,[107] and Yusuf Estes.[108] Others like Daniel Pipes and Martin Kramer focus more on criticizing the spread of Islamic fundamentalism, a danger they feel has been ignored.[109] Montgomery Watt and Norman Daniel dismiss many of the criticisms as the product of old myths and polemics.[110] The rise of Islamophobia, according to Carl Ernst, had contributed to the negative views about Islam and Muslims in the West.[111]

Pascal Bruckner and Paul Berman on the other hand have entered the "Islam in Europe" debate. Berman identifies a "reactionary turn in the intellectual world" represented by Western scholars who idealize Islam.[112]

Community

Demographics

Muslim percentage of population by country

Commonly cited estimates of the Muslim population in 2007 range from 1 billion to 1.8 billion. Approximately 85% are Sunni and 15% are Shi'a, with a small minority belonging to other sects. Some 30–40 countries are Muslim-majority, and Arabs account for around 20% of all Muslims worldwide. South Asia and Southeast Asia contain the most populous Muslim countries, with Indonesia, India, Pakistan, and Bangladesh having more than 100 million adherents each.[113] According to U.S. government figures, in 2006 there were 20 million Muslims in China.[114] In the Middle East, the non-Arab countries of Turkey and Iran are the largest Muslim-majority countries; in Africa, Egypt and Nigeria have the most populous Muslim communities.[115] Islam is the second largest religion after Christianity in many European countries.[116]

Mosques

A mosque is a place of worship for Muslims, who often refer to it by its Arabic name, masjid. The word mosque in English refers to all types of buildings dedicated to Islamic worship, although there is a distinction in Arabic between the smaller, privately owned mosque and the larger, "collective" mosque (masjid jāmi`). Although the primary purpose of the mosque is to serve as a place of prayer, it is also important to the Muslim community as a place to meet and study. Modern mosques have evolved greatly from the early designs of the 7th century, and contain a variety of architectural elements such as minarets.[117]

Family life

The basic unit of Islamic society is the family, and Islam defines the obligations and legal rights of family members. The father is seen as financially responsible for his family, and is obliged to cater for their well-being. The division of inheritance is specified in the Qur'an, which states that most of it is to pass to the immediate family, while a portion is

set aside for the payment of debts and the making of bequests. The woman's share of inheritance is generally half of that of a man with the same rights of succession.[118] Marriage in Islam is a civil contract which consists of an offer and acceptance between two qualified parties in the presence of two witnesses. The groom is required to pay a bridal gift (mahr) to the bride, as stipulated in the contract.[119]

A man may have up to four wives if he believes he can treat them equally, while a woman may have only one husband. In most Muslim countries, the process of divorce in Islam is known as talaq, which the husband initiates by pronouncing the word "divorce".[120] Scholars disagree whether Islamic holy texts justify traditional Islamic practices such as veiling and seclusion (purdah). Starting in the 20th century, Muslim social reformers argued against these and other practices such as polygamy, with varying success. At the same time, many Muslim women have attempted to reconcile tradition with modernity by combining an active life with outward modesty. Certain Islamist groups like the Taliban have sought to continue traditional law as applied to women.[121]

Calendar

The formal beginning of the Muslim era was chosen to be the Hijra in 622 CE, which was an important turning point in Muhammad's fortunes. The assignment of this year as the year 1 AH (Anno Hegirae) in the Islamic calendar was reportedly made by Caliph Umar. It is a lunar calendar, with nineteen ordinary years of 354 days and eleven leap years of 355 days in a thirty-year cycle. Islamic dates cannot be converted to CE/AD dates simply by adding 622 years: allowance must also be made for

the fact that each Hijri century corresponds to only 97 years in the Christian calendar.[122]

The year 1428 AH coincides almost completely with 2007 CE.

Islamic holy days fall on fixed dates of the lunar calendar, which means that they occur in different seasons in different years in the Gregorian calendar. The most important Islamic festivals are Eid al-Fitr (Arabic: عيد الفطر) on the 1st of Shawwal, marking the end of the fasting month Ramadan, and Eid al-Adha (Arabic: عيد الأضحى) on the 10th of Dhu al-Hijjah, coinciding with the pilgrimage to Mecca.[123]

Other religions

According to Islamic doctrine, Islam was the primordial religion of mankind, professed by Adam.[124] At some point, a religious split occurred, and God began sending prophets to bring his revelations to the people.[125] In this view, Abraham, Moses, Hebrew prophets, and Jesus were all Prophets in Islam, but their message and the texts of the Torah and the Gospels were corrupted by Jews and Christians. Similarly, children of non-Muslim families are born Muslims, but are converted to another faith by their parents.[126] The idea of Islamic supremacy is encapsulated in the formula "Islam is exalted and nothing is exalted above it."[127] Pursuant to this principle, Muslim women may not marry non-Muslim men, defamation of Islam is prohibited, and the testimony of a non-Muslim is inadmissible against a Muslim.[128]

Islamic law divides non-Muslims into several categories, depending on their relation with the

Islamic state. Christians and Jews who live under Islamic rule are known as dhimmis ("protected peoples"). According to this pact, the personal safety and security of property of the dhimmis were guaranteed in return for paying tribute (jizya) to the Islamic state and acknowledging Muslim supremacy. Historically, dhimmis enjoyed a measure of communal autonomy under their own religious leaders, but were subject to legal, social and religious restrictions meant to highlight their inferiority.[129] The status was extended to other groups like Zoroastrians and Hindus[130], but not to atheists or agnostics.[131] Those who live in non-Muslim lands (dar al-harb) are known as harbis, and upon entering into an alliance with the Muslim state become known as ahl al-ahd. Those who receive a guarantee of safety while residing temporarily in Muslim lands are known as ahl al-amān. Their legal position is similar to that of the dhimmi except that they are not required to pay the jizya. The people of armistice (ahl al-hudna) are those who live outside of Muslim territory and agree to refrain from attacking the Muslims.[132][133] Apostasy is prohibited, and is punishable by death.[134][135]

The Alevi, Yazidi, Druze, Ahmadiyya, Bábí, Bahá'í, Berghouata and Ha-Mim movements either emerged out of Islam or came to share certain beliefs with Islam. Some consider themselves separate while others still sects of Islam though controversial in certain beliefs with mainstream Muslims. Sikhism, founded by Guru Nanak in late 15th century Punjab, incorporates aspects of both Islam and Hinduism.[136]

Denominations

Islam consists of a number of religious denominations that are essentially similar in belief but which have significant theological and legal

differences. The primary division is between the Sunni and the Shi'a, with Sufism generally considered to be a mystical inflection of Islam rather than a distinct school. According to most sources, approximately 85% of the world's Muslims are Sunni and approximately 15% are Shi'a, with a small minority who are members of other Islamic sects.[137]

Sunni

Sunni Muslims are the largest group in Islam. In Arabic, as-Sunnah literally means "principle" or "path". The Sunnah (the example of Muhammad's life) as recorded in the Qur'an and the hadith is the main pillar of Sunni doctrine. Sunnis believe that the first four caliphs were the rightful successors to Muhammad; since God did not specify any particular leaders to succeed him, those leaders had to be elected. Sunnis recognize four major legal traditions, or madhhabs: Hanafi, Maliki, Shafi'i, and Hanbali. All four accept the validity of the others and a Muslim might choose any one that he or she finds agreeable, but other Islamic sects are believed to have departed from the majority by introducing innovations (bidah). There are also several orthodox theological or philosophical traditions within Sunnism. For example, the recent Salafi movement sees itself as restorationist and claims to derive its teachings from the original sources of Islam.[138]

Shi'a

The Shi'a, who constitute the second-largest branch of Islam, believe in the political and religious leadership of Imams from the progeny of Ali ibn Abi Talib, who according to most Shi'a are in a state of ismah, meaning infallibility. They believe that Ali ibn Abi Talib, as the cousin and son-in-law of Muhammad, was his rightful successor, and they

call him the first Imam (leader), rejecting the legitimacy of the previous Muslim caliphs. To most Shi'a, an Imam rules by right of divine appointment and holds "absolute spiritual authority" among Muslims, having final say in matters of doctrine and revelation.[139][140] Shi'a Islam has several branches, the largest of which is the Twelvers (ithnā'ašariyya) which the label Shi'a generally refers to. Although the Twelver Shi'a share many core practices with the Sunni, the two branches disagree over the proper importance and validity of specific collections of hadith. The Twelver Shi'a follow a legal tradition called Ja'fari jurisprudence.[141] Other smaller groups include the Ismaili and Zaidi, who differ from Twelvers in both their line of successors and theological beliefs.[142]

Sufism

Not strictly a denomination, Sufism is a mystical-ascetic form of Islam. By focusing on the more spiritual aspects of religion, Sufis strive to obtain direct experience of God by making use of "intuitive and emotional faculties" that one must be trained to use.[143] Sufism and Islamic law are usually considered to be complementary, although Sufism has been criticized by some Muslims for being an unjustified religious innovation. Most Sufi orders, or tariqas, can be classified as either Sunni or Shi'a.[144]

Others

The Kharijites are a sect that dates back to the early days of Islam. The only surviving branch of the Kharijites is Ibadism. Unlike most Kharijite groups, Ibadism does not regard sinful Muslims as unbelievers. The Imamate is an important topic in Ibadi legal literature, which stipulates that the leader

should be chosen solely on the basis of his knowledge and piety, and is to be deposed if he acts unjustly. Most Ibadi Muslims live in Oman.[145]

References

1. USC-MSA Compendium of Muslim Texts
2. [a] [b] L. Gardet; J. Jomier. "Islam". Encyclopaedia of Islam Online.
3. "Lane's lexicon" (PDF). Retrieved on 2007-07-03.
4. "Major Religions of the World — Ranked by Number of Adherents" (HTML). Retrieved on 2007-07-03.
5. See:
    - Esposito (1996), p.41
    - Ghamidi (2001): Sources of Islam
6. [a] [b] See:
    - Accad (2003): According to Ibn Taymiya, although only some Muslims accept the textual veracity of the entire Bible, most Muslims will grant the veracity of most of it.
    - Esposito (1998), pp.6,12
    - Esposito (2002b), pp.4–5
    - F. E. Peters (2003), p.9
    - F. Buhl; A. T. Welch. "Muhammad". Encyclopaedia of Islam Online.
    - Hava Lazarus-Yafeh. "Tahrif". Encyclopaedia of Islam Online.
7. Esposito (2002b), p.17
8. See:
    - Esposito (2002b), pp.111,112,118
    - "Shari'ah". Encyclopaedia Britannica Online.
9. Britannica [1], Think Quest [2], Wadsworth.com[3]
10. See:

- Esposito (2002b), p.21
- Esposito (2004), pp.2,43

11. See these figures
12. Qur'an 6:125, Qur'an 61:7, Qur'an 39:22
13. Qur'an 5:3, Qur'an 3:19, Qur'an 3:83
14. See:

- Qur'an 9:74, Qur'an 49:14
- L. Gardet; J. Jomier. "Islam". Encyclopaedia of Islam Online.

15. Cyril Glassé, The Concise Encyclopedia of Islam, p. 192
16. Qur'an 2:4, Qur'an 2:285, Qur'an 4:136
17. Sahih Muslim 1:1
18. See:

- Farah (2003), p.109
- Momen (1987), p.176

19. Esposito (2004), pp.17,18,21
20. See:

- Momem (1987), p.176
- "Islam". Encyclopaedia Britannica Online.

21. Qur'an 30:30
22. See:

- Qur'an 22:78
- "Islam", Encyclopedia of Religion

23. "Islam", Encyclopedia of Religion
24. See:

- "Islam and Christianity", Encyclopedia of Christianity (2001): Arabic-speaking Christians and Jews also refer to God as Allāh.
- L. Gardet. "Allah". Encyclopaedia of Islam Online.

25. David Thomas. "Tathlith, Trinity". Encyclopaedia of the Qur'an Online.: Contrary to Muslim understanding, some scholars have suggested that the Qur'an only opposes certain deviant forms of Trinitarian belief.
26. See:

- Qur'an 112:1–4
- Esposito (2002b), pp.74–76
- Esposito (2004), p.22
- Griffith (2006), p.248
- D. Gimaret. "Allah, Tawhid". Encyclopaedia Britannica Online.

27. "Qur'an". Encyclopaedia Britannica Online.
28. See:
    - William Montgomery Watt in The Cambridge History of Islam, p.32
    - Richard Bell, William Montgomery Watt, Introduction to the Qur'an, p.51
    - F. E. Peters (1991), pp.3–5: "Few have failed to be convinced that … the Quran is … the words of Muhammad, perhaps even dictated by him after their recitation."
29. See:
    - "Islam". Encyclopaedia Britannica Online.
    - "Qur'an". Encyclopaedia Britannica Online.
30. Esposito (2004), p.79
31. See:
    - Esposito (2004), pp.79–81
    - "Tafsir". Encyclopaedia Britannica Online.
32. See:
    - Teece (2003), pp.12,13
    - C. Turner (2006), p.42
    - "Qur'an". Encyclopaedia of Islam Online.: The word Qur'an was invented and first used in the Qur'an itself. There are two different theories about this term and its formation.
33. Qur'an 21:19–20, Qur'an 35:1
34. See:
    - Qur'an 35:1
    - Esposito (2002b), pp.26–28

- W. Madelung. "Malā'ika". Encyclopaedia of Islam Online.
- Gisela Webb. "Angel". Encyclopaedia of the Qur'an Online.

35. See:
- Esposito (1998), p.12
- Esposito (2002b), pp.4–5
- F. E. Peters (2003), p.9
- "Muhammad". Encyclopaedia Britannica Online.

36. See:
- Qur'an 18:110
- F. Buhl; A. T. Welch. "Muhammad". Encyclopaedia of Islam Online.

37. See:
- F.E.Peters(2003), pp.78,79,194
- Lapidus (2002), pp.23–28

38. F. Buhl; A. T. Welch. "Muhammad". Encyclopaedia of Islam Online.
39. See:
- Encyclopedia of Islam and the Muslim World (2003), p.666
- J. Robson. "Hadith". Encyclopaedia of Islam Online.
- D. W. Brown. "Sunna". Encyclopaedia of Islam Online.

40. See:
- "Resurrection", The New Encyclopedia of Islam (2003)
- "Avicenna". Encyclopaedia of Islam Online.: Ibn Sīnā, Abū ʿAlī al-Ḥusayn b. ʿAbd Allāh b. Sīnā is known in the West as "Avicenna".
- L. Gardet. "Qiyama". Encyclopaedia of Islam Online.

41. Qur'an 9:72
42. See:
- Smith (2006), p.89; Encyclopedia of Islam and Muslim World, p.565

- "Heaven", The Columbia Encyclopedia (2000)
- Asma Afsaruddin. "Garden". Encyclopaedia of the Qur'an Online.
- "Paradise". Encyclopaedia Britannica Online.

43. See:
- Qur'an 9:51
- D. Cohen-Mor (2001), p.4: "The idea of predestination is reinforced by the frequent mention of events 'being written' or 'being in a book' before they happen: 'Say: "Nothing will happen to us except what Allah has decreed for us…" ' "
- Ahmet T. Karamustafa. "Fate". Encyclopaedia of the Qur'an Online.: The verb qadara literally means "to measure, to determine". Here it is used to mean that "God measures and orders his creation".

44. See:
- Farah (2003), pp.119–122
- Patton (1900), p.130

45. Momen (1987), pp.177,178
46. See:
- Momem (1987), p.178
- "Pillars of Islam". Encyclopaedia Britannica Online.

47. Seyyed Hossein Nasr The Heart of Islam, Enduring Values for Humanity (April., 2003), pp 3, 39, 85, 27-272
48. See:
- Farah (1994), p.135
- Momen (1987), p.178
- "Islam", Encyclopedia of Religious Rites, Rituals, and Festivals(2004)
- http://www.articleclick.com/Article/Ismaili/1035965

49. See:
- Esposito (2002b), pp.18,19

- Hedáyetullah (2006), pp.53–55
- Kobeisy (2004), pp.22–34
- Momen (1987), p.178

50. See:
- Qur'an 2:177
- Esposito (2004), p.90
- Momen (1987), p.179
- "Zakat". Encyclopaedia Britannica Online.
- "Zakat". Encyclopaedia of the Qur'an Online.

51. See:
- Qur'an 2:184
- Esposito (2004), pp.90,91
- "Islam". Encyclopaedia Britannica Online.
- "For whom fasting is mandatory". Compendium of Muslim Texts. USC-MSA. Retrieved on 2007-04-18.

52. See:
- Farah (1994), pp.145–147
- Goldschmidt (2005), p.48
- "Hajj". Encyclopaedia Britannica Online.

53. "Shari'ah". Encyclopaedia Britannica Online.
54. See:
- Menski (2006), p.290
- B. Carra de Vaux; J. Schacht, A.M. Goichon. "Hadd". Encyclopaedia of Islam Online.
- N. Calder; M. B. Hooker. "Sharia". Encyclopaedia of Islam Online.

55. Weiss (2002), pp.xvii,162
56. See:
- Esposito (2004), p. 84
- Lapidus (2002), pp. 502–507,845
- Lewis (2003), p. 100

57. See:
- Qur'an 5:5

- Curtis (2005), p.164
- Esposito (2002b), p.111
- Ghamidi (2001): Customs and Behavioral Laws
- Ghamidi (2001): The Dietary Laws
- Ghamidi (2001): Various types of the prayer
- Ersilia Francesca. "Slaughter". Encyclopaedia of the Qur'an Online.

58. Esposito (2003), p.93
59. Firestone (1999) pp. 17-18
60. Reuven Firestone (1999), The Meaning of Jihād, p. 17-18
61. Britannica Encyclopedia, Jihad
62. See:
    - Brockopp (2003) pp. 99–100
    - Esposito (2003), p.93
    - "jihad". Encyclopaedia Britannica Online.
63. See:
    - Firestone (1999) p.17
    - "Djihad", Encyclopedia of Islam Online.
64. Firestone (1999) p.17
65. [a] [b] "Djihād". Encyclopaedia of Islam Online.
66. Knowing the Enemy: Jihadist Ideology and the War on Terror, Mary R. Habeck, Yale University Press, p.108-109, 118
67. Seyyed Hossein Nasr The Heart of Islam, Enduring Values for Humanity (April., 2003), pp 72
68. cf. Sachedina (1998) p. 105 and 106
69. See:
    - Lapidus (2002), pp.50,112,197,380,489,578,817
    - Lewis (2004), pp.29,51–56
70. See:
    - Holt (1977a), p.57

- Hourani (2003), p.22
- Lapidus (2002), p.32
- Madelung (1996), p.43
- Tabatabaei (1979), p.30–50

71. See
- Holt (1977a), p.74
- L. Gardet; J. Jomier. "Islam". Encyclopaedia of Islam Online.

72. Holt (1977a), pp.67–72
73. Waines (2003) p.46
74. Donald Puchala, ''Theory and History in International Relations,'' page 137. Routledge, 2003.
75. See:
- Lapidus (2002), pp.90,91
- "Sufism". Encyclopaedia Britannica Online.

76. Hawting (2000), p.4
77. Lapidus (2002), p.56; Lewis (1993), pp. 71–83
78. See:
- Holt (1977a), pp.80,92,105
- Holt (1977b), pp.661–663
- Lapidus (2002), p.56
- Lewis (1993), p.84
- L. Gardet; J. Jomier. "Islam". Encyclopaedia of Islam Online.

79. See:
- Lapidus (2002), p.103–143
- "Abbasid Dynasty". Encyclopaedia Britannica Online.

80. Lapidus (2002), p.86
81. See:
- Lapidus (2002), p.160
- Waines (2003) p.126,127

82. See:
- Esposito (2004), pp.44–45
- Lapidus (2002), pp.90–94

○ "Sufism". Encyclopaedia Britannica Online.

83. Tolan (2002) xv, xvi, 41

84. See:

○ Novak (February 1999)

○ Sahas (1997), pp.76–80

85. Lapidus (2002), pp.288–290,310

86. See:

○ Lapidus (2002), p.292

○ "Islamic World". Encyclopaedia Britannica Online.

87. Islamic Medicine Part III: Diseases of the Middle Ages

88. Black Death, Great Moments in Science, ABC Science

89. The Islamic World to 1600: The Mongol Invasions (The Black Death)

90. See

○ Holt (1977a), p.263

○ Lapidus (2002), p.250

○ "Istanbul". Encyclopaedia Britannica Online.

91. Esposito (2004), pp.104,105

92. "Islamic Art". Encyclopaedia Britannica Online.

93. Esposito (2004), p.65

94. See:

○ Lapidus (2002), pp.198,234,244,245,254

○ L. Gardet; J. Jomier. "Islam". Encyclopaedia of Islam Online.

95. Ikram, S. M. 1964. Muslim Civilization in India. New York: Columbia University Press

96. Lapidus (2002), pp.358,378–380,624

97. See:

○ Lapidus (2002), p.572

○ Watt (1973), p.18: Wahhabism should not be confused with the early Kharijite sect of

Wahabiyya, which was named after Abd-Allah ibn-Wahb ar-Rasibi, who opposed Ali at Nahrawan.

98. Lapidus (2002), pp.380,489–493

99. [4] New Turkey

100. Lapidus (2002), pp.281–282,380,489–493,556,578,823,835

101. Muslim Minorities in the West: Visible and Invisible By Yvonne Yazbeck Haddad, Jane I. Smith, pg 271

102. Bulliet, Richard, Pamela Crossley, Daniel Headrick, Steven Hirsch, Lyman Johnson, and David Northrup. The Earth and Its Peoples. 3. Boston: Houghton Mifflin, 2005. ISBN 0618427708

103. Organization of the Islamic Conference

104. See:

- Esposito (2004), pp.118,119,179
- Lapidus (2002), pp.823–830

105. See:

- Rippin (2001), p.288
- Timothy Garton Ash (10-05-2006). "Islam in Europe", The New York Review of Books, NYRB.

106. For example see Major Themes of the Qur'an by Fazlur Rahman Malik in which he argues against the treatment of the Qur'an as either a piecemeal or an evolutionary progression of ideas. See review by William A. Graham (1983), p.446.

107. For example see The Spirit of Islam by Syed Ameer Ali (1849-1928). It is described by David Samuel Margoliouth (1905) as "probably the best achievement in the way of an apology for Mohammed". See Margoliouth, preface Mohammed and the Rise of Islam.

108. Westerlund (2003)

109. Elizabeth Omara-Otunnu (2003-11-17). "Ramadan Awareness Event Designed To Debunk Negative Images", Advance, University of Connecticut.

110. Bernstein, Richard. "Experts on Islam Pointing Fingers At One Another", The New York Times. Retrieved on 14 May 2007.

111. See:

- Seibert (1994), pp.88–89
- Watt (1974), p.231

112. Ernst (2004), p.11

113. Berman, Paul (June 4 2007). "Who's Afraid of Tariq Ramadan?: The Islamist, the journalist, and the defense of liberalism.". The New Republic.
http://www.tnr.com/politics/story.html?id=fd52e6a4-efc5-42fd-983b-1282a16ac8dd.

114. [a] [b] "Number of Muslim by country". nationmaster.com. Retrieved on 2007-05-30.

115. "International Religious Freedom Report 2006—China (includes Tibet, Hong Kong, and Macau)". U.S. department of State, Bureau of Democracy, Human Rights, and Labor (2006). Retrieved on 2007-05-30.

116. See:

- Esposito (2004) pp.2,43
- "Islamic World". Encyclopaedia Britannica Online.

"Major Religions of the World Ranked by Number of Adherents". Adherents.com. Retrieved on 2007-01-09.

- "Muslims in Europe: Country guide". BBC News. BBC (2005-12-23). Retrieved on 2006-09-28.
- "Religion In Britain". National Statistics. Office for National Statistics (2003-02-13). Retrieved on 2006-08-27.

117. See:

- J. Pedersen; R. Hillenbrand, J. Burton-Page, et al.. "Masdjid". Encyclopaedia of Islam Online.

- "Mosque". Encyclopaedia Britannica Online.

118. "al-Mar'a". Encyclopaedia of Islam
119.
   - Waines (2003) pp. 93–96
   - The Oxford Dictionary of Islam (2003), p.339
   - Esposito (1998) p. 79
120. *"Talak". Encyclopaedia of Islam
121. Esposito (2004), pp.95,96,235–241
   - Harald Motzki. "Marriage and Divorce". Encyclopaedia of the Qur'an.
   - Lori Peek. "Marriage Practices". Encyclopedia of Women & Islamic Cultures.
122. See:
   - Adil (2002), p.288
   - F. E. Peters (2003), p.67
   - B. van Dalen; R. S. Humphreys, Manuela Marín, et al.. "Tarikh". Encyclopaedia of Islam Online.
123. Ghamidi (2001): Customs and Behavioral Laws
124. Friedmann (2003), pp. 14–16
125. Friedmann (2003), pp. 18–19
126. Friedmann (2003), p. 18
127. Friedmann (2003), p. 35
128. See:
   - Friedmann (2003), p. 35;
   - Lewis (1984), p. 39
129. See:
   - Lewis (1984), pp.9, 27, 36;
   - Friedmann (2003), p. 37;
130. Ernst (2005), Following Muhammad, p.46
131. Lewis (2001), p.273
132. Friedmann (2003), p. 55
133. "Aman", Encyclopaedia of Islam

134. A woman who apostasizes is to be executed according to some jurists, or imprisoned according to others.
135. "Murtadd", Encyclopedia of Islam
136. Encyclopedia of Islam, "Sikhs"
137. See:
- Esposito (2002b), p.2
- "Sunni and Shia Islam". Country Studies. U.S. Library of Congress. Retrieved on 2007-01-09.

138. See:
- Esposito (2003), pp.275,306
- "Shariah". Encyclopaedia Britannica Online.
- "Sunnite". Encyclopaedia Britannica Online.

139. See
- Lapidus (2002), p.46
- "Imam". Encyclopaedia Britannica Online.
- "Shi'ite". Encyclopaedia Britannica Online.

140. [http://www.al-shia.com/html/eng/p.php?p=shia'&url=Introduction Imamat, by Naser Makarem Shirazi
141. See:
- Ahmed (1999), pp.44–45
- Nasr (1994), p.466

142. See:
- Kramer (1987), Syria's Alawis and Shiism pp.237–254
- Shia branches

143. Trimingham (1998), p.1
144. See:
- Esposito (2003), p.302
- Malik (2006), p.3
- B. S. Turner (1998), p.145
- "Afghanistan: A Country Study". Country Studies 150. U. S. Library of Congress

(Federal Research Division). Retrieved on 2007-04-18.

145. See:

- IBADI ISLAM: AN INTRODUCTION
- J. A. Williams (1994), p.173.
- "al-Ibādiyya". Encyclopaedia of Islam Online.

Monotheistic religion: دينٌ توحيديّ

A 7th century Arab religious and political figure: شخصية دينية وسياسية عربية من أهل القرن السابع الميلادي

Restorer: مصلح

Rulings: أحكام

To touch on all aspects of life and society: يَمَسّ جميع جوانب الحياة والمجتمع

Dietary laws: أحكام تتعلق بالطعام

Warfare and welfare: الحرب والرخاء

Predominant: غَالِب، مُسَيْطِر

Immigrant: مُهَاجِر، مُغْتَرِب

The Indian subcontinent: شبه القارة الهندية

Etymology: اشتقاق

Verbal: لَفْظِيّ، كلامي

An internal conviction: اقتناع داخلى

Today، I have perfected your religion (dīn) for you; I have completed My blessing upon you; I have approved Islam for your religion: اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورَضِيتُ لكم الإسلام دينا

Sects: فِرَق، طوائف

Predestination: القضاء والقدر

Divine decree: القضاء الإلهي

The archangel Gabriel: جبريل كبير الملائكة

A decade: عِقْد (عشر سنوات)

To perform miracles: يصنع المعجزات

The recipients of divine revelation: متلقّو الوحى الإلهي

To depict: يصوّر

Contraction: إدغام

A deity: إله

Beyond all comprehension: لا يمكن إدراكه

To adore: يعبد

Polytheism: الشّرْك

God، the One and Only; God، the Eternal، Absolute; He begetteth not، nor is He begotten; And there is none like unto Him: الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولَد ولم يكن له كُفُوًا أحد

Textual evidence: دليلٌ نَصّيّ

Chronological: مرتَّب زمنيا

Primarily concerned with ethical and spiritual topics: مَعْنِيٌّ أولاً وقبل كل شيء بالموضوعات الأخلاقية والروحية

Muslim jurists: الفقهاء المسلمون

To supplement: أكمل

Qur'anic commentary and exegesis: تفسير القرآن

To speak in the abstract: يتكلم كلاما مجردا

Deficient: مَعِيب، ناقص

Messengers with wings— two، or three، or four (pairs): He [God] adds to Creation as He pleases: رُسُلاً ذوِي أجنحةٍ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ. يزيد في الخلق ما يشاء

Normative: معياريّ

Crucial to: شديد الأهمية لـ . . .

Trials and tribulations: الابتلاءات والمحن

To condemn: يدين

Pre-ordained: مقدَّر سَلَفاً

To deemphasize: يقلل من أهمية. . .

TO overlap with: يتداخل مع . . .

Accumulated wealth: ثروة متراكمة

Mindful of: مُتَنَبِّه لـ. . .، وَاعٍ بـ. . .

To atone for: يكفّر عن. . .

Obligatory: إجْباريّ، إلْزَامِيّ، مُلْزِم

Governance: سَيْطَرَة، حُكْم

Prescriptions and prohibitions: الأوامر والنواهي

Circumcision: الختان

Permissible: حلال

Highway robbers: قطّاع الطرق

Vested with authority: في يده سلطة

Suspended: معلّق، متوقف

Occultation: استتار، اختفاء

Dynasties: أسر حاكمة

A task: مهمة

Wars of Apostasy: حروب الردة

Renunciation of bodily desires: يتجاهل شهوات الجسد

Discontented: ساخط

To inaugurate: افْتَتَحَ، دَشَّن

A cosmopolitan city: مدينة عَالِمِيّة

Autonomy: حُكْم ذاتيّ

Proselytism: اهتداء، هِدَايَة

The Malay archipelago: أرخبيل الملايو

Ecclesiastical: إكليركي، كَنَسِيّ

To follow suit after: يقتفي أثر . . .

Polygamy: تعدد الزوجات

A pact: معاهدة

To refrain from: يكفّ عن . . .

The progeny of Ali ibn Abi Talib: ذرية علي بن أبي طالب

Having final say in: له الكلمة الأخيرة في . . .

To focus on: يركّز على . . .

To stipulate that: ينصّ على

Piety: تقوى

الدراسة

أول ما نتوقف عنده فى مقال "الويكيبيديا" عن الإسلام هو الملاحظة الخاصة بعدد المسلمين فى العالم، وهى الملاحظة التى أشرت إليها فى فصل آخر من هذا الكتاب، إذ نقرأ هنا أنه يتراوح ما بين المليار وبين المليار وثمانين فى المائة من المليار. وأغلب الظن أنهم إلى العدد الأخير أقرب، على خلاف ما هو موجود فى بعض الموسوعات المشابهة من أنه مليار فقط. وهذا هو قول الكاتب فى أصله الإنجليزى بالحرف الواحد:

"There are between 1 billion and 1.8 billion Muslims, making Islam the second-largest religion in the world, after Christianity".

بعد هذا يتعرض الكاتب إلى الأصل الاشتقاقى لكلمة "الإسلام" قائلا إنه من مادة "س ل م"، ويعنى الاستسلام لمشيئة الله والالتزام بأوامره ونواهيه. ثم يخرج من ذلك إلى رصد بعض استعمالات تلك الكلمة فى القرآن المجيد مبينا أن لها عدة معان. وهنا أود أن أسوق بضع فقرات من الفصل الرابع من كتاب الإمام أبى حامد الغزالى: "قواعد العقائد"، الذى كنت قرأته فى شبابى الأول وأنا لا أزال طالبا فى الجامعة فى مرحلة الليسانس، إذ لم أجد أدق منها ولا أشد توضيحا لموضوعها، وهى فى التفرقة بين استعمالات مصطلحَىِ "الإسلام" و"الإيمان" فى كتاب الله. وهذه هى: "الفصل الرابع من قواعد العقائد في الإيمان والإسلام وما بينهما

من الاتصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه، وفيه ثلاث مسائل: مسألة– اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره. وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه؟ فقيل إنهما شيء واحد، وقيل إنهما شيئان لا يتواصلان، وقيل إنهما شيئان، ولكن يرتبط أحدهما بالآخر.

وقد أورد أبو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل، فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول: في هذا ثلاثة مباحث: بحث عن موجب اللفظين في اللغة، وبحث عن المراد بهما في إطلاق الشرع، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة. والبحث الأول لغوي، والثاني تفسيري، والثالث فقهي شرعي. البحث الأول في موجب اللغة، والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق. قال الله تعالى: "وما أنت بمؤمن لنا"، أي بمصدق. والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد. وللتصديق محل خاص، وهو القلب، واللسان ترجمان. وأما التسليم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الإباء والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح. فموجب اللغة أن الإسلام أعم، والإيمان أخص، فكان

الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام. فإذن كل تصديق تسليم، وليس كل تسليم تصديقا .

البحث الثاني عن إطلاق الشرع، والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل. أما الترادف ففي قوله تعالى:"فأخرجْنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد . وقال تعالى: "يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين" . وقال صلى الله عليه وسلم: "بُنيَ الإسلام على خمس" . حديث "بني الإسلام على خمس" أخرجاه من حديث ابن عمر . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة عن الإيمان، فأجاب بهذه الخمس. حديث "سئل عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس" أخرجه البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس: تدرون ما الإيمان؟ شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام. والحديث في الصحيحين، لكن ليس فيه ذكر الحج. وزاد: "وأن تؤتوا خُمُسًا من المغنم" . وأما الاختلاف فقوله تعالى: "قالت الأعراب: آمنّا . قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا"، ومعناه: استسلمنا في الظاهر . فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح.

وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره، فقال: فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس. حديث "جبريل لما سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته. . . الحديث" أخرجاه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب، فرواه البيهقي في البعث، وقد تقدم. فعبَّر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل. وفي الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء، ولم يعط الآخر، فقال له سعد: يا رسول الله، تركت فلانا لم تعطه، وهو مؤمن. فقال صلى الله عليه وسلم: أو مسلم. فأعاد عليه، فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم. حديث سعد "أعطى رجلا عطاء، ولم يعط الآخر، فقال له سعد: يا رسول الله، تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن. فقال: أو مسلم. . . الحديث" أخرجاه بنحوه. وأما التداخل فما روي أيضا أنه سئل فقيل: أي الأعمال أفضل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الإسلام. فقال: أي الإسلام أفضل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الإيمان. حديث "سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الإسلام، فقال: أي الإسلام أفضل؟ فقال: الإيمان" أخرجه أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عنبسة بالشطر الأخير: "فقال: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان"، وإسناده صحيح. وهذا دليل على الاختلاف

وعلى التداخل، وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لأن الإيمان عمل من الأعمال، وهو أفضلها، والإسلام هو تسليم: إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، وأفضلها الذي بالقلب، وهو التصديق الذي يسمى: إيمانا. والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف، كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة. أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط، وهو موافق للغة، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا، وهو أيضا موافق للغة، فإن التسليم ببعض محالّ التسليم ينطلق عليه اسم التسليم. فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محلٍّ يمكن أن يوجد المعنى فيه، فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى: لامسا، وإن لم يستغرق جميع بدنه. فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان. وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى: "قالت الأعراب: آمنّا. قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا"، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد: "أو مسلم" لأنه فضّل أحدهما على الآخر. ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين. وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الإيمان، وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام، وهو التصديق بالقلب، وهو الذي عنيناه بالتداخل. وهو موافق للغة في خصوص الإيمان، وعموم الإسلام للكل. وعلى هذا

خرج قوله: "الإيمان" في جواب قول السائل: أي الإسلام أفضل؟ لأنه جعل الإيمان خصوصا من الإسلام فأدخله فيه. وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا، فإن كل ذلك تسليم، وكذا الإيمان. ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه، وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول، والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته. وقد يطلق اسم الشجر، ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح، فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص. وعليه خرج قوله: فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. . . ".

وهنا ينوه الكاتب مشكورا بأن الإسلام ليس دينا للعبادة والدعوة إلى الأخلاق الحميدة فحسب، بل هو دين واسع تشمل تشريعاته كل شيء ابتداء من الأمور العملية مثل ألوان الطعام التى يحل للمسلم تناولها إلى التشريعات الخاصة بالمصارف المالية والحروب ورفاهية المجتمع وما إلى ذلك، وهذا من شأنه تمتين الروابط التى تضم المسلمين بعضهم إلى بعض وتجعل منهم أمة واحدة:

"Islam includes many religious practices. Adherents are generally required to observe the Five Pillars of Islam, which are five duties that unite Muslims into a community. In addition to the Five Pillars, Islamic law (sharia) has developed a tradition of rulings that touch on virtually all aspects

of life and society. This tradition encompasses everything from practical matters like dietary laws and banking to warfare and welfare".

وفى كلام الكاتب عن انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة يذكر أن نسبتيهما على التوالى هما ٨٥٪ و١٥٪، كما يبرز الفرق الحاسم بينهما، ذلك الفرق المتمثل فى اختلاف عدد أصول الدين عند أحد الفريقين عنه عند الآخر، إذ بينما نجدها عن أهل السنة خمسة هى الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج، نراها لدى أهل التشيع ستة هى هذه الخمسة مضافا إليها الإمامة. فالسنّة يَرَوْنَ أن الإمامة ينبغى أن تكون شورى بين المسلمين يقررون بأنفسهم من يرونه أصلح لخلافتهم، على حين يعتقد الشيعة أن الإمامة ليست لجماعة المسلمين يدبرونها على النحو الذى يَرَوْنَه أصلح لهم، بل هى أمر إلهى عليهم أن يتقبلوه دون مناقشة. فالله سبحانه وتعالى قد اختار عليًّا ثم ذريته من بعده لتولى خلافة المسلمين، ومن لم يؤمن بهذا فهو غير مسلم. صحيح أن أهل السنة فى الواقع الحى قلما أعملوا مبدأ الشورى لدن اختيار حكامهم، إذ تولت حكمهم على مدى التاريخ إما أسر أرستقراطية كالأمويين والعباسيين، أو قادة نالوا الإمارة بقوة الذراع والسلاح كالمماليك والحكم العسكرى المنتشر حاليا فى كثير من بلادهم. إلا أن الواقع، كما نعرف، قد يكون شيئا، بينما المبدأ شىء آخر. ومع هذا كله فإن وجود ذلك المبدإ لدى أهل التسنن كفيل

بإرجاعهم إلى حضنه يوما ، بخلاف الشيعة، الذين يَرَوْن أمر الولاية على النحو الذى ذكرناه دينًا لا فَكاك منه .

وفى التفرقة بين المسلمين وأهل الكتاب يشير كاتبنا إلى ما يؤمن به المسلمون من أن أصحاب الكتاب قد حرفوا كتبهم، كما يشير إلى أن الله فى العقيدة الإسلامية واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قائلا إن المسلمين لا يؤمنون ببنوة عيسى عليه السلام لله رب العالمين، بل بأنه نبى من الأنبياء ليس إلا، فلا ثالوث من ثم لديهم. كذلك يشير إلى إيمانهم بأن القرآن هو كتاب الله معنى ولفظا لا يُستثنى من ذلك حرف واحد من حروفه، فقد تكفل الله بحفظه أبد الدهر بحيث لا يلحقه تغيير أو تحريف. وكان المسلمون يكتبونه أوّلاً بأوّل نزولا على أمر الرسول، وإن كانت وسيلة حفظه الأولى هى الذاكرة. ثم يضيف قائلا إن علماء المسلمين قد خرجوا من مقارناتهم بين نسخة المصحف كما هى فى أيديهم الآن وبين نسخه القديمة بأنه لم يلحقه تغيير يذكر طوال ذلك التاريخ. وهى عبارة غير دقيقة، إذ الواقع أنه لم يلحقه أى تغيير قليلا كان ذلك التغيير أو كثيرا . فهذا ما يؤمن به المسلمون، وإن لم يمنع هذا من قولهم بأنه قد كانت هناك حروف سبعة كان بمستطاع المسلمين الأوائل القراءة بها فى مبتدإ الأمر تخفيفا على من لا يستطيع القراءة إلا بالطريقة التى شب عليها

فى قبيلته، إلى أن جاء عثمان فجمع المسلمين على حرف واحد بعدما انتفت الحاجة إلى تلك الأحرف.

ويستطرد الكاتب فيتعرض لما يؤمن به المسلمون من إعجاز القرآن، ذلك الإعجاز الذى يقول إنه لا يتحقق إلا فى النص العربى، بخلاف الترجمة، فإنهم لا يعدونها قرآنا، بل بالأحرى: تفسيرا لمعانيه: Translations are therefore regarded only as " commentaries on the Qur'an, or "interpretations of its meaning", not as the Qur'an itself ". ولكن فاته أن يتنبه إلى أن الإعجاز القرآنى ليس وجها واحدا بل عدة وجوه، وأن الصياغة اللغوية ليست هى كل شىء، بل هناك الإعجاز العلمى مثلا، والنبوءات التى ذكرها القرآن وصدقت كلها . . . وما إلى ذلك مما لا يضيع فى الترجمة. وبالمناسبة فما قاله عن ترجمة القرآن يصدق فى الواقع على كل ترجمة، وإن كان لترجمة القرآن خصوصيتها الفريدة لأنه نص إلهى وليس كلاما من كلام البشر، إذ مترجم النصوص العادية إنما ينقل إلى لغته ما فهمه من النص الذى يترجمه، وهذا الفهم يقابل عملية التفسير بالنسبة إلى القرآن. وبالمناسبة أيضا فليست هناك ترجمة سليمة مائة فى المائة، بل كل المطلوب من المترجمين هو أن يسددوا ويقاربوا. أما أن يصيبوا الهدف فى سوائه فأمر بعيد المنال جدا. ومن هنا نسمع من يقول: إن المترجم خائن.

وهى خيانة غير متعمَّدة عادة، وإن لم يمنع هذا من أن يكون ثمَّ مترجمون خائنون بالعمد والقصد لهذا الغرض أو ذاك. وسبب تلك الخيانة المجازيّة هو أن اللغات لا تتطابق ولا تتوازى، بل تتقارب أحيانا، وتختلف بل تتباعد وتتخاصم أحيانا أخرى. كما يستحيل أيضا أن يستطيع المترجم التدسس إلى ضمير الكاتب الأصلى وعقله وقلبه بحيث يعرف ماذا يريد بالضبط. وفضلا عن هذا هناك الضعف اللغوى الذى يعانى منه كل عارف بلغة من اللغات، إذ يستحيل أن يقبض قابض على أَزِمَّة لغةٍ ما بالغةً ما بلغت عبقريته حتى لو كانت لغته الأم، فما بالنا باللغات الأجنبية التى يترجم المترجمون منها؟ وهذا بعضٌ من كلٍّ ليس إلا.

وللقضاء والقدر يخصص الكاتب فقرة طويلة بعض الشىء يجول بنا خلالها سريعا بين مذاهب أهل السنة والشيعة والاعتزال. وسوف تظل هذه المسألة مثارا للجدال بين الطوائف والعلماء والمفكرين والفلاسفة لأنها تتصل بعالم الغيب ولأنها متعددة الأوجه والزوايا: وإذا كان لى أن أدلى هنا بدلوى فإنى أود أن ألفت الانتباه إلى أن كل شىء هو من خَلْق الله سبحانه وتعالى، وعلى رأسه الإنسان جسما وعقلا ونفسا وضميرا وإرادة واختيارا. أى أن الإرادة والاختيار الإنسانيين هما من عطاء الله وتفضله على عبده، فهما إذن ممنوحان له وليسا من صنعه. كما أن تلك الإرادة وذلك الاختيار ليسا مطلقين، بل ليس هناك شىء مطلق فى حياة الإنسان

أو المخلوقات بعامة. ذلك أن المطلق الوحيد هو الله سبحانه، إن جاز استخدام هذه الكلمة فى الحديث عنه جل وعز، إذ لا أجد كلمة أخرى تفى بالمراد.

وعَوْدًا إلى ما قلته عن الإرادة والاختيار البشريين من أنهما نسبيان لا مطلقان أنبه إلى أن الإنسان ليس وحده فى هذا الكون، كما أن إرادته ليست مطلقة السراح، بل تصطدم بما لا يحصى من الإرادات والقوانين والموانع، سواء من دنيا أمثاله من البشر أو من دنيا الحيوانات أو من دنيا الجماد: فمثلا يريد الإنسان أن يصطاد سمكا يأكله أو يزين به حوضه، فيهرب منه السمك ويتقيه، وقد ينجح أو لا ينجح فى عملية الاصطياد. كذلك ما من واحد منا إلا ويتمنى ألا تعوقه المسافات أو الجبال أو الأنهار أو البحار من بلوغ غايته سريعا، لكن لا بد له مع ذلك من الخضوع لكل هذه العوامل. فإذا أراد أن يفرد ذراعيه مثلا ويطير من فوق سطح بيته فإنه لا بد أن يسقط إلى الأرض وتندقّ عنقه بفعل قانون الجاذبية. . . وهكذا. فكيف يتسنى له مع هذا كله أن يبلغ ما يريد؟ إنه ينجز ذلك بمحاولة الاستفادة من عقبات أو قوانين أخرى لتجنب الاصطدام بما يعوقه ويمنعه، وتارة ينجح، وتارات يخفق. ونتيجة هذا كله هو القضاء والقدر. إنه إرادة الله سبحانه وتعالى المتمثلة فى قوانينه وفى إرادات البشر وتفاعل ذلك كله بعضه مع بعض، والمحصلة النهائية لهذا التفاعل.

ورغم ما يبدو من محدودية الحرية الإنسانية كما نرى فإنها قد مكنت البشر من تحقيق ما يشبه المعجزات، وإن لم يعن هذا أنه ليس هناك فساد وشر وألم، فهذا هو الجانب الآخر من الحياة لا انعتاق منه، وبعضه من صنع الإنسان جهلا منه أو عجزا أو هوى وحمقا كالغرور والكسل والاستبداد والتآمر وأكل الحقوق والادعاءات الفارغة والحسد والحقد، وبعضه الآخر جزء لا يتجزأ من تركيب الكون كالأمراض والأعاصير والزلازل والبراكين والحيوانات المتوحشة والآفات المؤذية وشدة الحرارة والبرودة. وبقدر وسع الإنسان فى التحرك والاجتهاد والإنجاز سوف يكون حسابه، إذ لا يمكن أن يؤاخذه الله سبحانه على ما يتجاوز منه الوسع والطاقة. ولا أقول هذا من عندى فقط، بل يقوله الله ويقوله الرسول من قبلى حينما يبين لنا القرآن والحديث أنه جل وعلا لا يكلف نفسا إلا وسعها. هكذا أفهم الأمر، وأرجو ألا أكون قد شطحت أو انزلقت قدمى.

ذلك، وقد وَقَع الكاتب لدن حديثه عن صلاة المسلم فى خطإٍ مَرَدُّه إلى عدم الدقة، إذ زعم أن الصلاة تتكون من آيات القرآن، رغم ما هو معروف أن قراءة القرآن لا تشكل إلا عنصرا واحدا من عناصر الصلاة: فثَمَّ النية والتكبير والأدعية والقيام والركوع والتسبيح والقعود والتشهد والتسليم. أى أن هناك طائفة من الحركات والأقوال والأفعال،

وليست قراءة القرآن إلا شيئا واحدا فقط من تلك الأشياء . وهذا كلام الكاتب:

"The prayers are recited in the Arabic language, and consist of verses from the Qur'an".

وفى خطإ مشابه وقع الكاتب لَدُنْ حديثه عن فريضة الحج ومواقيت إحرامه المكانية، إذ يعمم القول بأن الميقات شىء واحد للجميع وأنه يقع على مبعدة عشرة كيومترات من مكة. وهذا خطأٌ بَوَاحٌ، إذ من المعلوم تماما أن الميقات يختلف حسب الجهة التى يفد منها كل حاج أولا، كما أنه لا يوجد أى ميقات يقل إلى ذلك الحد الذى ذكره الكاتب ثانيا، اللهم إلا بالنسبة إلى الحجاج المقيمين بمكة ذاتها كما سيأتى بيانه: فمثلا الحاج القادم من المدينة ميقاته ذو الحُلَيْفَة، وهى على مبعدة أكثر من أربعمائة كيلومتر من مكة جهة الشمال. أما أهل الشام فيُحْرِمون من ذى الجُحْفَة، وهى تقع شمال غرب مكة على مبعدة مائة وسبعة وثمانين كيلومترا . وميقات أهل اليمن هو يَلَمْلَم، التى تبعد عن مكة من جهة الجنوب أربعة وخمسين كيلومترا . . . وهكذا . ويبقى الحاج المكى، وله وضع خاص، إذ ميقات إحرامه هو منزله ذاته. و يرى ابن حزم أن "من كان طريقه لا تمرّ بشيء من هذه المواقيت فلْيُحْرِمْ من حيث شاء: برًّا أو بحرًا" كما جاء فى كتاب "فقه السنّة" للشيخ السيد سابق، الذى نقلت عنه المواقيت آنفة الذكر. كذلك لم يتعرض كاتب المادة من شعائر الحج إلى

الوقوف بعرفات رغم أن "الحج عرفة" كما نص على ذلك حديث رسول الله، و لا إلى المبيت بمزدلفة أو ذبح الأضاحى مثلا.

ومرة أخرى أرانى أشعر بوجوب الوقوف لتأكيد حقيقة يتغافلها الكثيرون هذه الأيام، بل يروّجون عكسها، وهى أن الإسلام لا يقتصر على العبادات والأخلاق الطيبة فحسب، بل هو نظام للحياة شامل لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويعطى حكمه فيها كالأطعمة وقواعد السلوك والآداب والجنازات والعبادات والمواريث والزواج والطلاق والإجارة والربا والبيع والشراء والعقوبات والحكومة والشورى والحرب والتعليم والسياسة الداخلية والخارجية . . . إلخ، وعلى المسلم التزام ذلك. فالإسلام لم يأت لينحصر داخل المساجد بل ليقود الحياة ويطرح موقفه من كل شيء فيها لا لمجرد التبليغ ثم ينتهى الأمر عند ذلك وكأنه لم يكن، بل للتنفيذ والتطبيق. ذلك أن الإسلام لا يفرق بين أمور الدنيا وأمور الدين، أو بين ما هو تابع للمسجد وما هو تابع للدولة، وهو ما قاله الكاتب، وإن كان استخدم مصطلح "الكنيسة" بدلا من "المسجد" جريا على الأسلوب الأوربى فى ذلك السياق. وهذه عبارته:

"Islamic law covers all aspects of life, from matters of state, like governance and foreign relations, to issues of daily living. The Qur'an defines hudud as the punishments for five specific crimes: unlawful intercourse, false accusation of unlawful intercourse, consumption of alcohol, theft,

and highway robbery. The Qur'an and Sunnah also contain laws of inheritance, marriage, and restitution for injuries and murder, as well as rules for fasting, charity, and prayer… Mainstream Islamic law does not distinguish between "matters of church" and "matters of state"…".

كذلك أوافق الكاتب فى توسيعه لمعنى "الجهاد" بحيث لا يقتصر على الجهاد العسكرى كما يظن كثير منا، بل يشمل كل جهد يبذله المسلم لترقية حياته والقيام بواجبه نحو الآخرين. ومن ثم فطلب العلم عندى مثلا هو من أرفع ألوان الجهاد، وكذلك نهوض الموظف بواجبه نحو أصحاب المصالح الذين يقصدون مؤسسته، وفصل القضاة فى القضايا التى يعهد بها إليهم بأقصى ما عندهم من اهتمام وتجرد ودون إبطاء وتكاسل، وعكوف كل صاحب مهنة على مهنته يجوّدها ويطبقها على أحسن وجه وبكل ما يملك من قدرة على الإتقان والترقية والتحسين: يستوى فى ذلك الزارع والصانع والطالب والمدرس والطبيب والممرض والفنان والعامل والتاجر والعالم والوزير والخفير والحاكم والكناس والفراش والمهندس والمدير والضابط والجندى... إلخ، بدلا مما يلاحَظ على أداء المسلم بوجه عام من الميل إلى الوقوف عند الحد الأدنى فى كل شىء أو ما هو أقل إذا ما كان الأمر يتعلق بواجبه فى عمله، والمطالبة بكل شىء وعلى أكمل وجه إذا انقلبت الآية وأصبح هو صاحب المصلحة، وهو سر من أسرار تخلفنا فى كل المجالات تقريبا وفى هزائمنا التى تَتْرَى منذ قرون دون أن تلوح فى

الأفق بادرة حقيقية تدل على أن تلك الأوضاع المخزية المزرية مصيرها إلى تحسن حقيقى بعيدا عن الشعارات والطنطنات التى لا تؤكّل خبزا حافيا . على أنْ ليس معنى هذا إهمال الجهاد الحربى، بل لا بد أن يأتى على رأس الأولويات، وبخاصة مع حروب التحطيم السياسى والحضارى والاجتماعى التى يشنها الغرب علينا منذ قرون، فى الوقت الذى لا تكف فيه آلات إعلامه الشيطانية عن اتهامنا بالإرهاب والعدوان.

ولقد ورد "الجهاد" فى القرآن الكريم بمعانٍ مختلفةٍ مما يدل على أنه لا يعنى ضربة لازب وفى كل الأحوال والظروف محاربة الآخرين: فمنها مثلا قوله تعالى فى سورتى "العنكبوت" و"لقمان" على التوالى يوصى المسلم بأبويه خيرا ويشدد عليه فى الإحسان لهما حتى لو حاولا بكل ما عندهما من جهد أن يصداه عن دينه ويعيداه إلى الشرك الذى لا يقبله عقله ولا يرتاح إليه ضميره: "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)"، "وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)" . ولا أظن أن هناك عاقلا يقول إن "الجهاد" هنا هو

الجهاد الحربى، بل المعنى هو بذل الوالدين كل ما عندهما من جهد فى التأثير على ابنهما وصده عن دين الله. وصيغة "فاعَلَ" هنا تعنى أن كلا الطرفين يبذل جهده فى مواجهة الآخر: المشرك لفتنة المسلم عن دينه، والمسلم للاستمساك بدينه والحفاظ عليه وعدم الضعف أمام ضغط والديه، مع إحسان صحبتهما رغم ذلك كله. والآيات السابقة على آية سورة "العنكبوت" مباشرة تشير إلى مدى النَّصَب والمعاناة اللذين كان المسلمون يتعرضون لهما آنذاك: "الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)". والمعنى أن للإيمان ضريبته المكلفة، وأن الأمر ليس مجرد شقشقة باللسان، بل هناك الفتن الفادحة. والمؤمن الحقيقى هو الذى يصبر ويجاهد ويتمسك بإيمانه لا يفرّط فيه مهما تكن شدة تلك الفتن.

وفى سورة "العنكبوت" أيضا نقرأ قول الحق تبارك وتعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)". وهذه السورة، كما هو معلوم، سورة مكية. أى نزلت قبل أن يكون هناك قتال بين المسلمين والكفار، ومن ثم فالجهاد هنا لا يعنى إلا صبر المسلم على ما

كان يلقاه على أيدى المشركين من أذى وضر، والاستمساك بدينه فى وجه هذا البلاء وعدم التفريط فيه تحت أى ظرف من الظروف. ولقد كان الصحابة يشكون للنبى أحيانا ما ينزل بهم من جهد، يريدون أن يردوا على الإساءة بمثلها، لكنه صلى الله عليه وسلم كان ينصحهم بالصبر والتحمل إلى أن يجعل الله لهم من ذلك العناء فرجا ومخرجا. ومن نفس الوادى الآية الثانية والخمسون من سورة "الفرقان": "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) . . . وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) . . . وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)".

وواضح هنا أيضا أن الجهاد لا يعنى القتال، إذ "الفرقان" هى إحدى سور القرآن المكى، ولم يكن المسلمون قد سُمِح لهم بَعْدُ أن يردوا العدوان بمثله، بل كان الشعار آنذاك هو الصبر والإغضاء على الأذى كما تَقَدَّم بيانه. لكن لما زاد الأمر عن حده ولم يعد هناك مفر من المواجهة بعد أن قدموا كل ما يمكنهم تقديمه من التسامح والعفو ولم يأت شىء من ذلك بثمرة، كان لا بد لهم من قتالِ مَنْ قاتلهم وضَرْبِ من يضربهم. فالعين بالعين، والسن بالسن، والبادئ أظلم. وهذه هى الحياة، وإلا أكل القوىُّ الوقحُ الحيىَّ المسالم.

كما أن قوله عز شأنه فى آخر سورة "الحج": "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)" لا يمكن أن يكون معناه شيئا آخر غير بذل الوسع لإرضاء الله فى كل أمر يستطيعه الإنسان. والأمور التى يستطيعها الإنسان ويرضى ربه بها لا تنتهى، لأنها تشمل كل أمور الحياة من زراعة وتجارة وصناعة وتعليم ودراسة وقراءة وكتابة وسياسة وسفارة وطِبَابة ونجارة وسباكة

وخراطة وحدادة، وكذلك قتال العدو المغير بطبيعة الحال كأمريكا وبريطانيا ودول الغرب التى تعاونهما الآن. . . فعلى المسلم أن يجاهد فى ترقية حياته وحياة أمته وحياة الإنسانية كلها . ولا شك أن كسل المسلم الآن وعدم تنبهه إلى قيمة الجهاد هو الذى أدى به إلى هذا المأزق العسير المؤلم الذى يئن منه فى هذه الأيام النَّحِسات، وهو يستحقه إلى حد كبير لأنه أضاع الفرصة تلو الفرصة على مدى قرون كاملة حتى انتهى به الأمر إلى وضعه البائس الحالى الذى جَرّأ عليه أعداءه تلك الجرأةَ المهينةَ التى نبلوها ونذوق كأسها المرة كاملة كل يوم والتى سيكون حساب الأمة عنها فى غاية العسر يوم القيامة، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

فإذا تحولنا بوجوهنا إلى أحاديث سيد المرسلين ألفينا النصوص الشريفة التالية: ففى صحيح البخارى نقرأ هذا الحديث الذى ترويه عائشة ويجيب فيه الرسول الكريم على سؤال يتعلق بحكم اشتراك النساء فى القتال مع الرجال: "قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حج مبرور . فقالت عائشة: فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم" . فها هنا نراه صلى الله عليه وسلم يعد الحج من الجهاد، بل أحسن الجهاد وأجمله. وفى صحيح البخارى أيضا: "قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد؟ قال: لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهِدْ" .

وهنا كذلك يعدّ النبى عليه السلام قيام الابن بحاجة والديه جهادا فى سبيل الله. وفى مسند أبى دواود: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"، وهو ما يدل على أن جهاد الأعداء لا يكون بالقتال فقط، بل بالمال وبالكلمة أيضا كالذى كان يفعله حسان بن ثابت، فإنه كان يجاهد بشعره وفنه. وفى ابن عساكر: "قيل لابن عباس: قد قَدِم حسّان اللعين. قال ابن عباس: ما هو بِلَعِينٍ! قد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ولسانه". أى أن ما يفعله واحد مثلى الآن بقلمه (أو بالأحرى: بـ"كاتوبه"، إذ لم أعد أكتب بالقلم بل بالكاتوب مباشرة)، يدخل فى باب الجهاد، وإن كان الأجر متوقفا على أن أكون مخلصا فى علمى لا أبتغى فيه السمعة ورئاء الناس وأن أكون قد بذلت أقصى جهدى حتى تبين لى أن هذا الأسلوب هو الأسلوب السليم وليس مجرد حماسة هوجاء لا عقل لها ولا هدف واضح أمامها، وهذا أمر لا يبت فيه إلا الله سبحانه.

وفى صحيح الترمذى: "المجاهد من جاهد نفسه"، أى كف عن الشهوات وقام بواجب الطاعة لله سبحانه وبذل وسعه فى عمله وشمر عن ساعد الجِدّ فى ساح العمل والإنتاج، ولم يركن إلى الكسل أو الغش أو الاحتكار أو أسلوب سلق البيض، بل صبر على تكاليف الإتقان والتدقيق والإبداع والسعى فى طلب العلم، فإن كل هذه مشقات تكرهها

النفس عادة ولا تريد أن تتجشم فيها شيئًا من التعب لو أمكن، فبيّن النبى عليه السلام أن الجهاد الحقيقى هو جهاد النفس بصَبْرها على تأدية الواجب، ومَنْعها من مقارفة المعصية. وما أكثر الواجبات، وما أكثر المعاصى! ومما رواه ابن تيمية من الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه لله". فقد جعل النبى الجهاد هو جهاد النفس، وهذا ما قلناه ونقوله، وهو لا يلغى الجهاد الذى هو قتال العدو بالسيوف والبنادق والمدافع والصواريخ والدبابات وما أشبه، بل يشمله فيما يشمل، إذ هو لون من مجاهدات النفس قد يكون أفضلها فى بعض الأحيان، وقد يكون غيره أفضل منه، وقد تكون ألوان الجهاد كلها متساوية، وكل ذلك حسبما تقتضيه الظروف، إلا أنه ليس اللون الوحيد على أية حال. ومثله ما رواه الحافظ العراقى من قوله عليه السلام: "المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه". وفى الصحيح الجامع للألبانى: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويقتدون بأمره. ثم إنها تَخلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل".

وفى صحيح الترمذى: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"، وهو مما ينقص أمة الإسلام اليوم إلى حد كبير، إذ كلنا (إلا من رحم الله، وقليل ما هم) نخشى السلطان الجائر، وكثير منا ينافقونه ويُوردونه ويُوردون أنفسَهم والأمة كلها معهم موارد الهلكة كالذى نحن فيه الآن.

إذن فالجهاد ليس هو القتال ضربة لازب، كما أنه لا يمكن أن يعنى قتال الآخرين بغية إكراههم على اعتناق الإسلام. لكن أين الدليل على هذا الذى نقول؟ الدليل هو قوله سبحانه وتعالى من سورة "البقرة": "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)". فمن البيّن الذى لا يمكن الجدال فيه أن الإسلام ينهى المسلمين عن العدوان،

ويقيم تعامله مع المشركين على أساس من مواقفهم: فإن قاتلوا المسلمين فعلى المسلمين مقاتلتهم، وإن كفوا أيديهم عنهم سكت المسلمون كذلك. . . وهكذا.

وفي قوله جل جلاله من سورة "الأنفال": "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)" نبصر بكل وضوح واطمئنان أن المشركين إذا غدروا بالمسلمين ولم يوفوا بما عقدوه معهم من عهد كان للمسلمين أن يقاتلوهم ويقتلوهم، فإذا جنحوا للسلم وجب على المسلمين الجنوح إليها والتوكل على الله، وإذا شعروا أن هناك نية غدر فأقصى ما

يستطيعونه أن يعالنوهم بأنه لا معاهدة بينهم منذ اليوم: هكذا بكل وضوح.

وبنفس العين ينبغى أن نقرأ قوله عز شأنه فى مفتتح سورة "التوبة":

"بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ

سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ
عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
(١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
(١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(١٥)".

فالكلام هنا أيضا عن المشركين الذين كانت بينهم وبين المسلمين عهود فنقضوها ولم يَرْعَوْا فيها ولا فيهم إلاًّ ولا ذمةً، فكان على المسلمين أن يعاملوهم بذات اللغة التى لا يفهمون سواها، وذلك بعدما جرب المسلمون معهم ألوان التسامح حتى باخت المسألة ولم يعد لها من معنى. ورغم ذلك ينبغى ألا يفوتنا الأمر القرآنى فى هذه الآيات بإجارة المشرك الذى يستجير فى هذه الظروف المتوترة بالمسلمين، إلى أن يسمع كلام الله فى جو هادئ فلا تكون له أية حجة بعدها فى غدره بما بينه وبينهم من معاهدات، ثم عليهم فوق هذا أن يوصلوه إلى مضارب قبيلته آمنا مطمئنا . فما الذى يراد من المسلمين بعد ذلك كله؟ أيجب عليهم أن

يضربوا للخائن الغادر تعظيم سلام ويقيموا له تمثالا ويجعلوا من غدره مثالا أعلى وذكرى ينبغى أن تُحْتَرَم؟

ومن ثمرات الحرب المعنوية التى تشنها القوى الغربية على الإسلام أيضا ما يكتبه بعض الغربيين من صحافيين ومستشرقين ومبشرين اتهاما للمسلمين ودينهم بما هو فيهم من إرهاب وقمع وعدوانية وظلم للمرأة ومعاداة للسامية. ولنستمع إلى الفقرة التالية التى يُلمّ فيها الكاتب إلماما سريعا ببعض ما قيل فى هذا الصدد قبل أن نُلِمّ نحن بدورنا بشىء من الرد على ذلك الكذب المفضوح:

"Modern critique of Islam includes accusations that Islam is intolerant of criticism and that Islamic law is too hard on apostates. Critics like Ibn Warraq question the morality of the Qu'ran, saying that its contents justify the mistreatment of women and encourage antisemitic remarks by Muslim theologians. Such claims are disputed by Muslim writers like Fazlur Rahman Malik, Syed Ameer Ali, Ahmed Deedat, and Yusuf Estes. Others like Daniel Pipes and Martin Kramer focus more on criticizing the spread of Islamic fundamentalism, a danger they feel has been ignored. Montgomery Watt and Norman Daniel dismiss many of the criticisms as the product of old myths and polemics. The rise of Islamophobia, according to Carl Ernst, had contributed to the negative views about Islam and Muslims in the West".

فهم يدعون أن الإسلام يسىء معاملة المرأة ولا يسمح بالرِّدَّة ويعادى السامية، أى اليهود، وأن الإسلام يفرّخ الحركات الأصولية التى تنشر الرعب فى العالم بين الآمنين. وهى وغيرها من الاتهامات التى تلوكها تلك الألسنة الإجرامية مجرد ألفاظ لا حقيقة وراءها . ولنبدأ بتهمة الإرهاب ونتساءل: من من الطرفين يُرْهِب الآخر؟ نحن أم هم؟ من الذى يشن الحروب المحطّمة المبيدة على الآخر منذ قرون؟ نحن أم هم؟ من الذى كان يحتل بلاد الآخر على مدى عقود وعقود، ثم عاد فى الفترة الأخيرة إلى احتلالها بعدما كان قد خرج منها ولو خروجا صوريا؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يعقد المعاهدات المجحفة مع الآخر؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يستولى على النفط الخام بأرخص الأسعار ويصدر سلعه إلى الطرف الآخر بأفحش الأسعار؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يفرض على الآخر مبيعات السلاح بالمليارات، وهو يعرف أنه لن يستطيع استعماله بل لا يسمح له بذلك، وهذا إن أعطاه السلاح فعلا ولم يكتف بالإيصالات الورقية التى لا تعنى شيئا؟ نحن أم هم؟ ومن الذى أنشأ دولة إسرائيل من العدم وفرضها على الآخر فرضا وشتّت أهلها وشن عليهم حرب إبادة ما زالت فصولها تجرى فى أيامنا السود هذه؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يخطط لتفكيك دول الآخر ويعمل طول الوقت على تحطيمها؟ نحن أم هم؟ ثم من الذى يحيك المؤامرات للقضاء على دين الآخر ويتدخل

عنوة وإكراها وإذلالا فى وضع المقررات الدراسية فى مؤسسات التعليمية؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يخطط دائما للحفاظ على الفجوة الفاصلة بين الحكام والشعب فى بلاد الآخر؟ نحن أم هم؟ ومن الذى يدمر بلاد الآخر ومساجده وبيوته ومدارسه وجامعاته ويغتصب نساءه وييتّم أطفاله وينشر الرعب والألم فى قلوبهم؟ نحن أم هم؟

أما بالنسبة إلى الردة فلن أطيل القول فى التنبيه إلى أن هناك علماء مسلمين لا يرون أن ثمة موضعا لشىء اسمه حد الردة فى الإسلام، وإن كان عدد المنكرين لهذا الحد قليلين بالنسبة لمن يَرَوْن وجوده، لكنى سأحيل صاحبنا المتنطس المنافق (الذى يذكّرنا بالفرّيسيّين على عهد السيد المسيح حسبما تروى الأناجيل أخبارهم ومشاغباتهم له عليه السلام) إلى النصوص التالية المتعلقة بالردة فى الكتاب المقدس حتى يخرس المنافقون ولا يفتحوا فمهم بكلمة تشنيع كاذبة عن الإسلام، نعم الإسلام الذى يرى عدد من علمائه أنه لا حد للردة فيه بناء على أنه لا نص فى القرآن لعقوبة المرتد فى الدنيا، بل الذى فيه هو ألاّ إكراه فى الدين بأى حال وأنه من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، أما ما ورد فى الحديث مِنْ أَمْرٍ بقتله فالمقصود به تبديل الولاء والركون إلى الأعداء، أى الخيانة العظمى. ومن هؤلاء العلماء الذين لا يَرَوْن حدا للمرتد (المرتد فكريًّا لا المرتد الخائن لدولته وأمته) الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ محمد عبده

والشيخ رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المتعال الصعيدى. . .

يقول كاتب سفر "التثنية" فى بداية الإصحاح الثالث عشر: "إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا، وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً، ٢وَلَوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ الَّتِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا، ٣فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذلِكَ الْحُلْمَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِكَيْ يَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. ٤وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ، وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ، وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ، وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ. ٥وَذلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذلِكَ الْحُلْمَ يُقْتَلُ، لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، لِكَيْ يُطَوِّحَكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا . فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ. ٦وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلاً: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ ٧مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ، الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ الْبَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، ٨فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ تَسْمَعْ لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، ٩بَلْ قَتْلاً تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا . ١٠تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ

حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. ١١فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ. ١٢إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلاً: ١٣قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا . ١٤وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ، ١٥فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٦تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاً إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ . ١٧وَلاَ يَلْتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَرَّمِ، لِكَيْ يَرْجِعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً. يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ" .

ومعروف أن السيد المسيح عليه الصلاة السلام قد أكد أنه ما جاء لينقض ناموس موسى، ومنه هذا الحكم الذى من الواضح أنه أشد كثيرا من حكم الإسلام عند القائلين من فقهائه بحدٍّ للمرتدين، إذ لا بد عندهم من استتابة المرتد أوّلاً وإعطائه الفرصة لمراجعة نفسه وإعادة النظر فيما شك فيه وأدى به إلى الارتداد، بخلاف الحكم هنا فى سفر "التثنية"، الذى ليس فيه أى كلام عن استتابة أو ما يشبهها، بل القتل

الوَحِىّ. وهذا الحكم لم ينسخه السيد المسيح فيما نظر فيه من أحكام العهد القديم البتة حسبما نقرأ فى الأناجيل الموجودة حاليا ما دام قد أكد أنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله، فهو إذن لا يزال ساريا لم يُنْسَخ بعد طبقا لما فى الكتاب المقدس: لا على يد عيسى بن مريم ولا على يد بولس.

إن حكم المرتد كما أورده كاتب المقال، وكأن القتل هو الحكم الوحيد الذى لا حكم سواه وينطبق على كل حالات الردة، هذا الحكم يحتاج إلى تعقيب. ذلك أن القتل، كما رأينا، ليس هو الحكم الشامل فى هذه الحالة، بل هو حكم جمهور الفقهاء القدماء فى المرتد الرجل، أما المرأة فلا تُقْتَل إذا ارتدّت، علاوة على أن الرجل، طبقا لهذا الحكم، لا يُقْتَل فورا، بل بعد أن يستتاب لمدة تختلف فيها تقديرات الفقهاء. أما فى العصر الحديث فثمة اتجاه يقول بأن العقيدة أَمْرُها إلى الشخص وضميره، وأنها لا تعنى إلا صاحبها، فلا يحق لأحد أن يتدخل بينه وبين ربه، اللهم إلا إذا صاحَبَها انحياز إلى الأعداء وشكلت خيانةً للوطن أو الأمة، فعندئذ يُضْحِى للأمر وضع آخر. وقد فسر أصحاب هذا الرأى ما ورد من أحاديث تنص على القتل بأن المقصود هو تغيير الولاء السياسى والحربى والوقوع فى الخيانة العظمى أو ما إلى ذلك، وليس مجرد تغيير العقيدة. وفى رأيهم أنه لو كان هناك عقوبة للردة لما أهمل القرآن النص

عليها . وإننا لننظر فى القرآن من أوله إلى آخره فلا نجده قد تعرض لتلك العقوبة بشىء رغم تكرار الحديث عن الردة فى مواضع مختلفة منه، فضلا عن أن آياته صريحة تمام الصراحة فى تأكيد الحرية الدينية والتنديد بالإكراه الدينى كما هو معروف. هذه كلمة سريعة وددت أن أعقب بها على ما قاله الكاتب.

وننتقل إلى قضية النساء . وفى القرآن فعلا كلام عن ضربهن، وهذا هو النص الذى يتناول ذلك الموضوع، وهو من سورة "النساء": "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)" . ولكن علينا أن نتنبه إلى أن هذا العلاج لا يأتى إلا فى نهاية المطاف وبعد أن تفشل كل الحلول الأخرى، ويتضح أن المرأة لا تريد سلاما ولا صلحا وتعمل كل ما فى وسعها للتنكيد على البيت دون أن يكون لها عذر فى ذلك ودون أن ترعى الله فى زوجها، الذى جشّمه القرآن واجب الإنفاق عليها وعلى كل أفراد الأسرة وتوفير

كل ما يحتاجونه، فى الوقت الذى تعيش هى فيه آمنة مطمئنة معززة مكرمة ثم تأبى إلا أن تقابل الإحسان بالسوء !

وهذا أولا، أما ثانيا فلنقرإ الآيات التالية أيضا، وهى من ذات السورة التى نقلنا منها النص السابق: "وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)"، "لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧)"، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)"، "وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)"،

"وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)".

ثم لدينا هذه الآيات التى تحرّم وتجرّم قتل الأنثى الوليدة خوفا من الفقر أو العار: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (الأعراف/ ١٥١)، "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (النحل/ ٥٩)، "وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ

وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا" (الإسراء/ ٣١)، "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)" (الزخرف)، "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)" (التكوير) . فهل هذا كتاب يمكن وصفه بأنه يكره النساء ويقلل من شأنهن؟

ودعنا من الدرر العجيبة النفيسة التى أُثِرَتْ عن النبى عليه الصلاة والسلام فى الدفاع عن المرأة وتبويئها مكانة عالية لا تشغلها فى أى دين أو نظام اجتماعى آخر قديم أو حديث بما فى ذلك الحضارة الغربية ذاتها، تلك الحضارة التى تتخذ من جسد المرأة الجميلة سلعة ثم تلفظها إذا ما كبرت أو قبحت دون أدنى وازع من ضمير، وليس للأم ولا للأخت فيها أى اعتبار . وبالمناسبة فضرب النساء فى الغرب موجود وعلى نطاق واسع كما تطالعنا الصحف والكتب وما تنشره من إحصاءات، إلا أنهم بارعون فى إحداث الضجيج على النحو الذى يريدون، وضد الطَّرَف الذى على تشويهه يعملون، وفى إشاعة الهدوء والصمت فى الوقت الذى يحبون، وبالنسبة إلى المسائل التى عنها الطَّرْفَ يَغُضّون. ومن هذه الدرر النبوية التى لا تقدر بثمن ما ورد فى مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كُنَّ له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة. قال: قيل: يا رسول

الله، فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا له: واحدة، لقال: واحدة" . وفى مسند الإمام أحمد عن الصّدّيقة بنت الصديق رضى الله عنها: "جاءت امرأة ومعها ابنتان لها تسألني فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فشقتها اثنين بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت هي وابنتاها . فدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ابتُلِيَ من البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له سترا من النار" .

وفى الوقت الذى يجعل الكتاب المقدس من المرأة السبب فى الخطيئة الأصلية التى أهبطت البشرية من السماء إلى الأرض نرى الإسلام يحمّل تلك المسؤولية للطرفين جميعا . بل إنه ليَذْكُر آدم وحده عند الإشارة إلى العصيان الذى أدى إلى نزوله هو وامرأته الأرض: "فَعَصَى آدَمُ رَبَّه وغَوَى"، وإن كنت رغم ذلك أفهم من إيراد اسم "آدم" هنا أن المقصود هم البشر جميعا، فـ"آدم" فى الآية يعنى "الإنسان" ذكرا وأنثى، أو آدم وحواء معا على اختلاف "الآدَمِين" كلهم و"الحَوّاءات" كلهن منذ بدء الخليقة إلى يوم الميعاد .

وأنا لا أدرى كيف يجرؤ عاقل على قذف الإسلام بأنه يعادى القوارير، إذ الإسلام هو الدين الذى أبدى من ضروب العطف على المرأة

والتألم لحالها والعمل بكل سبيل لمساواتها بالرجل بل وتفضيلها أحيانا عليه ما لا يوجد له نظير بين الأديان الأخرى. لقد جعل تربية الرجل ابنته وتزويجه إياها بابًا مُشْرَعًا إلى الجنة كما وضحنا آنفا، وجعل حقها فى اختيار شريك حياتها أو رفضه حقا مقدسا لا جدال فيه، وقدم الأم على الأب فى كل مناسبة، وأوصى بالنساء دائما خيرا، ودعا إلى الرفق بهن والصبر على ما قد يبدو فيهن من عيوب، وخص المرأة بنصيب فى الميراث خالص لها على عكس نصيب الرجل الذى ألزمه فيه بعدد من الواجبات كما نعرف جميعا، وأسقط عنها الصلاة والصيام فى فترات الحيض والنفاس، وإن لزمها أن تعيد الصوم (الصوم فقط) بعد تطهرها، وأعفى المرأة الذّمّيّة من الجزية، وأوجب على الزوج المسلم احترام حقوق امرأته الكتابية تمام الاحترام وعدم إلزامها بما لا تلتزم به فى دينها ما لم يكن أمرا متعلقا بالفضائل الإنسانية العامة التى لا يختص بها دين دون دين. لكن الإسلام، مع ذلك كله، قد أعطى الرجل على المرأة درجة هى درجة القِوَامة لقاء قدرته على ضبط الأمور الأسرية على نحو أفضل، وكذلك لقاء الواجبات المالية والأخلاقية التى كلفه بها دونها.

وهذا كله ليس إلا غَيْضًا من فَيْضٍ، وهو متاح لمن يريده فى كتاب الله وأحاديث الرسول. ومثيرو تلك الشبهات يعرفون أين يجدون تلك النصوص وأمثالها، بَيْدَ أنهم يحرصون على إشعال الفتن وترويج الأكاذيب

والبهتانات. ولقد وضّح الرسول أنْ ليس المقصود بالضرب فى مثل تلك الأحوال الملجئة هو الإهانة، بل إشعار المرأة أنها مخطئة. سيقال: وهل لا بد من العقاب أصلا؟ والجواب: لا ليس شرطا، لكن إذا ضمن لنا الضامنون أن تتغير الطبيعة الإنسانية فتعرف الصراط المستقيم وتلتزمه من تلقاء نفسها وتتخلى عن النكد والشغب وتخلد إلى عرفان الجميل وتحرص على السلام والسكينة. أما قبل ذلك فلا. كذلك لا بد لكل مؤسسة من رئيس، ولا بد أن يكون فى يد الرئيس من السلطات ما ينزل به الجزاء والعقوبة على من يستحقها متى احتاج الأمر مجازاة وعقابا، وإلا تفسَّخ النظام ولم يعد هناك شىء اسمه الضبط والربط. صحيح أن الضبط والربط قد يستتّبان بالتفاهم والحسنى. فإن كان الأمر كذلك فبها ونعمت، ولكن هل هناك ضمانة بأن هذا ممكن فى كل وقت؟ الجواب أيضا هنا هو: كلا.

أما الزعم بأن العرب ذوو نزعة تبغض السامية فهو زعم مضحك، إذ إن العرب قوم ساميون، بل ربما كانوا أعرق من اليهود فى السامية إذا أخذنا بما يفترضه علماء اللغات من أنه كان هناك يوما لغة أصلية أطلقوا عليها: "اللغة السامية" تفرعت عنها العربية والعبرية والأكادية والحبشية والآرامية والفينيقية والسريانية، وقلنا من ثم إن هناك أمما سامية وإن أصحاب هذه اللغات هم ممثلو تلك الأمم السامية. ذلك أن من علماء

اللغات السامية من يؤكدون أن العربية هى اللغة السامية الأم، أو هى على أقل تقدير: أقرب تلك اللغات إلى اللغة السامية الأم. ثم كيف يكون العرب ظالمين لليهود، وقد فتح العرب قديما بلادهم وصدورهم لليهود فتوطنت طوائف كثيرة منهم فى الجزيرة العربية، وبخاصة فى يثرب وبعض مدن اليمن، فرارا من الاضطهاد الرومانى الرهيب فى فلسطين حيث كانوا يعيشون ويثيرون كعادتهم القلاقل والاضطرابات أينما حلوا دون أن يقدّروا ما يصنعه الآخرون معهم من جميل؟ لقد كانوا يثيرون الفتن فى يثرب مثلا، وظلوا على عادتهم هذه البشعة حتّى بعدما هاجر الرسول الكريم من مكة إلى المدينة وساواهم بالمسلمين وأعطاهم الحرية كاملة فى تأدية شعائرهم والجهر بعقائدهم وجعل لهم على المسلمين ذات الحقوق التى للمسلمين عليهم فى النصرة والتضامن فى الديات وما إلى ذلك، فكانوا شوكة سامة فى خاصرة الإسلام وتكررت منهم الخيانات والمؤامرات حتّى أجلاهم الرسول عن يثرب ثم أخرجهم عمر من بلاد العرب. ثم ها نحن أولاء فى العصر الحالى نشاهد بأم أعيننا ما يفعله اليهود بأهل البلاد فى فلسطين بعد أن أقام لهم الغربيون دولة فى تلك البلاد على حساب حقوق الفلسطينيين ومعاناتهم التى ليس لها مثيل فى التاريخ الحديث على الأقل. فكيف يأتى بعض المزورين الملفقين بعد ذلك كله ويتباكَوْن على اضطهاد العرب أو المسلمين لليهود؟ أو يستكثر هؤلاء علينا مجرد الكلام فى الوقت الذى

يشنّ فيه اليهود فى فلسطين حرب إبادة وتدمير على رؤوس أهل البلد العُزْل جهارا نهارا، وأمام العالم أجمع، وبمساعدة دول الغرب كلها ؟ والآن من يا ترى يعادى السامية؟ نحن أم هم؟ والجواب بكل تأكيد: هم! ليس ذلك فحسب، بل إنهم هم الذين اضطهدوا اليهود فى كل مكان كانوا يحلونه فى أرجاء أوربا، وحين أرادوا أن يكفروا عن ذنبهم كما يزعمون لم يجدوا إلا أن يظلموا العرب كى ينصفوا اليهود. ومع هذا نراهم يملأون الدنيا صياحا وضجيجا يتهموننا بالعيوب التى فيهم دون خجل أو حياء!

وقد سبق أن أشرنا إلى أن مصطح "الإسلام" ينطبق على كل أديان السماء عامة، وإن كان ينطبق بوجه خاص على الإسلام الذى أتى به محمد عليه الصلاة والسلام، فهو الدين الوحيد الذى ظل سليما نقيا على نفس الحال الذى نزل به من السماء دون أن يناله تحريف أو تبديل. وإلى هذا يومئ الكاتب قائلا:

"According to Islamic doctrine, Islam was the primordial religion of mankind, professed by Adam. At some point, a religious split occurred, and God began sending prophets to bring his revelations to the people. In this view, Abraham, Moses, Hebrew prophets, and Jesus were all Prophets in Islam, but their message and the texts of the Torah and the Gospels were corrupted by Jews and Christians. Similarly, children of non-Muslim families are born Muslims, but are converted to another faith by their parents".

وبالمثل يشير الكاتب إلى ما يؤمن به المسلمون من أن "الإسلام يعلو ولا يُعْلَى عليه". وهذا الشعور هو أحد الأمور المستهدَفة فى العقود الأخيرة بتلك الهجمة الصليبهيونية التى تضع بين أهدافها إفقاد المسلمين إيمانهم بتفوق دينهم. ومن هنا كثرت ألوان الهجوم على الإسلام وعلى رسوله وعقائده وشريعته ونَسَقه الأخلاقى وكتابه وكل شىء فيه بغرض تشكيك المسلمين فى كل ما يعتزون به. وهل هناك ما يعتز به المسلمون أكثر من اعتزازهم بدينهم؟ ثم تأتى الخطوة التالية بعد الفراغ من هذه الخطوة، وتتمثل فى سلخ المسلم تماما عن دينه لا مجرد شكه فيه. إنه صراع الحضارات، ومعروف أن الدين أقوى وأكبر مكون من مكونات الحضارة، والانتصار فى ذلك الميدان يؤمّن إلى حدٍّ كبيرٍ الانتصارَ فى سائر الميادين. وقد بلغ القوم فى مجال التزييف والكذب فى هجومهم ضد الإسلام مدى لا يصدَّق لبشاعته وشناعته ومجافاته لكل منطق وعقل. وهم يعتمدون فى هذا على عامل التكرار والجرأة الوقحة إلى أن يملّ الخصم ويسلّم للمتكلم بما يقول أو يترفع عن الرد عليه فيستغل ذلك الموقف منه بإيهام الآخرين أنه تعبير عن عجزه وضعفه وأنه ليس فى جَعْبته ما يمكن أن يقدمه.

كذلك ينبغى التنبيه إلى ما قاله الكاتب عن عقائد غُلاَة الشيعة فى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزعم بأنه معصوم. ذلك أن هذا

الاعتقاد يخالف مخالفة تامة تأكيده صلى الله عليه وسلم أن "كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" وقَسَمه قائلا: "والذي نفسي بيده لو لم تُذنِبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم" . كما أنه يناقض مناقضة بلقاء ما نعرفه من تجارب الحياة وواقعها الذى يفقأ عين كل مغفل ساذج أو ماكر خبيث يبيع الوهم للأغفال الأغرار . ليس هناك عصمة إلا للرسل والأنبياء، وهذه العصمة خاصة بتبليغهم الرسالة التى نيط بهم تبليغها وبالتزامهم قيم الخلق الرفيع التى كُلِّفوا بدعوة غيرهم إليها وبالتمسك بها أول واحد، لكنها لا تنسحب على أمور الحياة اليومية التى تتعلق بالتذكر والنسيان وبخبرات الحياة العلمية والعملية وما إلى ذلك، إذ من الممكن جدا أن تفوت النبى كيفية تأدية بعض الأعمال العاديّة على وجهها الصحيح مثلا أو ينسى أمرا عمله، كما وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم حين اقترح على بعض أصحابه ألا يؤبّروا النخل، أى يلقّحوه، ظنا منه أنه ليس شرطا لإثماره، فكانت النتيجة أن النخل لم يثمر، وكما ظن ذات مرة أنه صلى الظهر (أو العصر، على اختلاف فى الرواية) أربع ركعات فسلَّم متصورا أنه انتهى من الصلاة، على حين أنه لم يكن صلى سوى ركعتين اثنتين ليس إلا، فنبهه أحد المأمومين فلم يجد فى ذلك التنبيه غضاضة، بل عمل على تبين الأمر، ولما تحقق أنه قد سها فعلا نهض فأكمل الصلاة. وليس من المعقول، بعد هذا وبعد قراءتنا لمعاتبات الله

لنبيه فى القرآن المجيد على بعض الأفعال التى لم يرضها منه سبحانه، أن نتقبل دعوى عصمة علىٍّ أو غير علىٍّ. لقد كان علىٌّ رضى الله عنه مقاتلا شجاعا وفقيها عظيما، لكنه فى نهاية المطاف لم يكن سوى بشر يخطئ ويصيب، وإن كانت مزاياه بطبيعة الحال تغلب تقصيره.

ونصل إلى آخر شىء أحب أن أعلق به على هذا المقال، وهو أن الخوارج لا يعتبرون فى اختيارهم للحاكم إلا علمه وتقواه. وهذه نظرة تقدمية لا بد أن نُذكِّر لهم رغم ما نأخذه عليهم فى غير هذا المجال من ضيق أفق وتهور وغرور دينى وأخلاقى سوّل لهم أن يحكموا على صحابى عظيم كعلى بن أبى طالب بالمروق من الدين، ومن ثم الحكم عليه بقتله غيلة. ذلك أننا نحن المسلمين قد شبعنا استبدادا وعسفا من الحكام الذين تَوَلَّوْا أمرنا وكانت وسيلتهم إلى الوصول لسُدَّة الحُكْم هى الانقلابات العسكرية، لا فى العصر الحديث فقط، بل منذ زمن طويل. ولا شك أن منصب الحاكم، سواء كان على المستوى القُطْرِىّ الضيق أو على مستوى الأمة الإسلامية كلها، هو من المناصب الخطيرة الشأن، بل لعله أخطر المناصب طُرًّا. ولا بد، إلى جانب العلم والتقوى اللذين نص عليهما الخوارج، من توفر عدد من الشروط الهامة الأخرى فيمن يتولاه، والتى يمكن تلخيصها فى أن يكون قادرا قدرة عظيمة على إدارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا واجتماعيا،

يعاونه فى ذلك المتخصصون الممتازون كل فى مجاله، وأن يؤمن بأنه إنما تولى منصبه ليخدم الأمة، وأنه ينبغى توسيع صدره وعقله لاستماع آراء من حوله، ومنهم ممثلو الشعب، رغبة فى أن يصل بالشعب الذى يحكمه إلى أرقى درجات الفلاح والنجاح، وأن تكون هناك ضوابط تحكم عمله، وقيود تمنعه من التهور والعناد والاستبداد، ومؤسسات تضمن هذا كله.

Islam

(Jewish Encyclopedia)

Arabic word denoting "submission to God"; the name given to the religion of Mohammed and to the practises connected therewith. This religion was preached first to Mohammed's follow citizens in Mecca, then to all Arabia; and soon after his death it was spread to distant lands by the might of the sword. Its followers are called "Moslems" (Arabic,"Muslimin"). The word "Islam" represents the infinitive, the noun of action, of the factitive stem of the Arabic root "salam," and is rightly compared (Zunz, "Literaturgesch." p. 641; comp. Steinschneider, "Polemische und Apologetische Literatur," p. 266, note 56) with the use of the "hif'il" of "shalam" in later Hebrew; e.g., Pesik. 125a ("mushlam"); Tan., ed. Buber, Gen. p. 46 ib. (where "hishlim" is used of proselytes).

Motive Principles.

The preaching of Mohammed as the messenger of God ("rasul Allah") owed its origin to the prophet's firm conviction of the approach of the Day of Judgment ("Yaum al-Din") and to his thorough belief in monotheism. The former was primarily a reaction against the conduct of the Meccan aristocracy of his time, which in his eyes was sensual, avaricious, proud, oppressive, and wholly indifferent to things spiritual; the latter was a protest against the polytheistic traditions of the Arabs. Mohammed was led to both through Jewish and Christian influences, to which he was subjected in his immediate surroundings as well as during the commercial journeys undertaken by him in his youth. Only in the second period of his activity, after the Hegira—the departure of himself and his most faithful followers to Medina (formerly Yathrib) in

622—did he undertake a practical organization of his prophetic work, and, by making concrete laws, give a definite form to the general religious feeling which had been aroused by his preaching. These laws dealt both with social relations and with religious worship. It was only then that the religious tendency which had arisen out of a reaction against the heathenism of Arabia took on the form of a real, positive institution.

Mohammed's conception of his own calling and the fate which his efforts had to endure at the hands of the infidels ("kafir"= "kofer") appeared to his mind as a reflection of the prophets of the Bible, whose number he increased by a few characters (e.g., Hud and Salih) borrowed from an old tradition. The persecutions which were suffered at the hands of their fellow citizens by those whose work he had now taken up were repeated in his own career. There was the same obstinate refusal, the same appeal to ancestral traditions, the resigning of which for the sake of a Godsent message heathen nations had ever opposed. In the conduct of the Meccans toward Mohammed were repeated the actions of earlier peoples toward the messengers and prophets sent from time to time by Allah to mankind. Mohammed himself was the last link in the prophetic chain; the conclusion, the "seal of the prophets" ("khatam al-anbiya'"; comp. parallels in "J. Q. R." xiv. 725, note 5).

Relation to Predecessors.

In reality this confession or practise which he sought to establish was nothing new: it was only a restoration of the ancient religion of Ibrahim, to which God had called him (Mohammed) through the medium of Gabriel, the angel of revelation, whom he identified with the Holy Ghost. He claimed that he was to continue the mission of the earlier

prophets from Adam to Jesus, and demanded for all of them faith and recognition; he would have their revealed books recognized as Holy Scriptures, viz., the Torah ("Taurat"), the Psalms ("Zabur"), and the Gospel ("Injil"). In addition, certain other prophets had written the will of God on rolls. As to his personal valuation, he made the most modest demands: he did not wish to be regarded as being above the sphere of humanity; he was only a man, of the same flesh and blood as those to whom his speech was directed; and he even declined with consistent firmness the suggestion to perform miracles, the one and only miracle being God's inimitable, unsurpassable word ("kur'an"), as the instrument of which he was called by God. Hence he emphatically denied the claims which Christianity made in regard to the character of its founder—a character which he held to be in contradiction not only to that of a prophet sent by God, but also to that of the transcendental monotheism which he (Mohammed) preached: "He is Allah, one alone; he begets not, and is not born; and no one equals him in power" (sura cxii.).

Since he claimed to be a restorer of the ancient, pure religion revealed to Abraham, he connected his teaching with that of the Holy Scriptures of the Jews and Christians, of whose contents, however, he had in many particulars only a very imperfect knowledge—his teachers having been monks or half-educated Jews—and this knowledge he often repeated in a confused and perverted fashion. What he received from the Jews was mixed with haggadic elements current orally among Arabian Jews or existing in written form [—probably preserved in Ethiopic translations of Hebrew pseudepigraphic writings.—K.]; and his conception of Christian teachings was sometimes that of the heretical sects

(Collyridians, Docetæ) scattered throughout the Orient, and not recognized in the canonical doctrines of Christianity. As has recently been shown, Mohammed himself not only borrowed from Jews and Christians, but was influenced also by Parseeism, with the professors of which ("majus," "magian") he came into direct contact (I. Goldziher, "Islamisme et Parsisme," in "Actes du ler Congrès Internat. d'Histoire des Religions," i. 119-147, Paris, 1901).

The Koran.

The first and most ancient document of Islam is naturally the Koran ("Proclamation"), which, containing God's revelations to Mohammed, forms the foundation of his religion. The doctrine of faith and practise preached by Mohammed is unfolded gradually with the succession of stages in the growth of the Koran. In the first period of his activity (at Mecca) he was occupied chiefly with his inspirations in regard to the truths of the faith, the monotheistic idea, the divine judgment, and his prophetic calling. The monotheistic conception of God, which he opposes to Arabian heathendom, agrees in substance with that of the Old Testament; he emphasizes, however, as Nöldeke has pointed out, "more the universal power and the unhindered free will of God than His holiness." Mohammed connects the idea of omnipotence with the attribute of mercy, which forms an essential element in the exercise of God's omnipotence and which is expressed in the name for God taken from the mother religion, "al-Rahman" ("Rahmana"), usually joined with "al-Rahim" (="the Compassionate"). The formulation of the social and ritualistic laws was revealed to him principally after the Hegira, during his sojourn in Medina; while the most essential elements of the ritual ordinances had been

evolved during the Meccan period. In Medina he had counted much on the support of the influential Jews, by whom he expected to be regarded as the final messenger of God promised in the Scriptures. He accordingly at first made them various concessions. He pointed to Jerusalem as the direction ("qiblah") toward which they should turn when praying, and he established the tenth day of the first lunar month ('Ashura) as the great annual fast-day. The prohibition against eating swine's flesh was also taken from Judaism, and, like that against drinking wine, was accepted, since it was difficult in those days for Arabs to procure that beverage; whereas the adoption of the Biblical prohibition against camel's flesh would have encountered great opposition, because such meat formed an integral part of the national food (Fränkel, "Aramäische Fremdwörter im Arabischen," iii.). Circumcision, a custom preserved from old Arabian heathendom, does not possess in Islam the fundamental character peculiar to it among the Jews.

Opposition to Judaism.

In view, however, of the obstinate opposition maintained by the Jews, Mohammed soon annulled some of these concessions. The kiblah was directed toward Mecca (sura ii. 136); the month Ramadan became the great period of fasting, in place of the tenth day of the first month; and in other cases also he opposed some of the principal details of Jewish practise. He set aside the restrictions of the dietary laws (retaining only those in regard to swine's flesh and animals which die a natural death or are offered as heathen sacrifices); and he protested against the Jewish conception and observation of the Sabbath. Instead of the day of rest in commemoration of God's resting, he appointed Friday ("Jum'ah") as a day of assembly for divine worship ("Die Sabbath-

Institution in Islam," in "Kaufmann Gedenkbuch," pp. 86-101). In the abolition of such Biblical ordinances he laid down the principle of Abrogation which forms the basis of Islamic theology.

Institutions of Islam.

The fundamental obligations of Islam, called "pillars of religion," in their most complete systematic form are five in number: (1) The "shahadah," the confession of faith: "There is no God but Allah; and Mohammed is his apostle." This twofold confession ("kalimata al-shahadah") is amplified into the following creed: "I believe in Allah, in his angels, in his [revealed] Scriptures, in his Prophets, in the future life, in the divine decree [in respect to] the good as well as [to] the bad, and in the resurrection of the dead." (2) "Salat" (divine worship), to be performed five times a day; viz., at noon ("zuhr"), in the afternoon ("'asr"), in the evening ("maghrib"), at the approach of night ("'isha'"), and in the morning between dawn and sunrise ("subh"). The institution of these five times of prayer developed gradually; to the three daily prayers which Mohammed himself appointed after the Jewish pattern were soon added the other two, in imitation of the five "gah" of the Parsees. (3) "Zakat," the levying of an annual property-tax on all property, the sum coming into the state treasury from this source to be used for the public and humanitarian objects enumerated in the Koran (sura ix. 60). (4) "Al-qiyam" (= Hebr. "qom"), fasting from morning till evening every day during the month Ramadan (the severity of this law was lightened by certain indulgences). (5) "Al-hajj" (the pilgrimage) to Mecca, imposed on every one for whom the performance of this duty is possible. The ceremonies incident to this pilgrimage Mohammed preserved from the traditional practises followed

during the period of heathendom, although he reformed and reinterpreted them in a monotheistic sense (C. Snouck Hurgronje, "Het Mekkaansche Feest," Leyden, 1880). Dozy's theory, based on I Chron. iv. 39-43 (see his "De Israelieten te Mekka," Haarlem, 1864; German transl., Leipsic, 1864), that the pilgrimage ceremonies of olden times in Mecca were instituted by Israelites, more particularly by Simeonites who had been scattered thither, and that even the nomenclature of the rites may be etymologically explained from the Hebrew, has found little favor (comp. Geiger, "Jüd. Zeit." iv. 281; "Z. D. M. G." xix. 330).

In addition to the religious duties imposed upon each individual professing Islam, the collective duty of the "jihad" (= "fighting against infidels") is imposed on the community, as represented by the commander of the faithful. Mohammed claimed for his religion that it was to be the common property of all mankind, just as he himself, who at first appeared as a prophet of the Arabs, ended by proclaiming himself the prophet of a universal religion, the messenger of God to all humanity, or, as tradition has it, "ila al-ahmar wal-aswad" (to the red and the black). For this reason unbelief must be fought with the force of weapons, in order that "God's word may be raised to the highest place." Through the refusal to accept Islam, idolaters have forfeited their lives. Those "who possess Scriptures" ("ahl al-kitab"), in which category are included Jews, Christians, Magians, and Sabians, may be tolerated on their paying tribute ("jizyah") and recognizing the political supremacy of Islam (sura ix. 29). The state law of Islam has accordingly divided the world into two categories: the territory of Islam ("dar al-Islam") and the territory of war. ("dar al-harb"), i.e., territory against which it is the duty of the commander of the

faithful ("amir al-mu'minin") to lead the community in the jihad.

For the exercise of the ritual duties certain ceremonies are appointed (e.g., the preliminary ablutions and the definite number of bows and prostrations in the case of the salat), the forms of which were, however, still variable during the first century of Islam. The early dispersion of the Moslems into distant lands, in which they conducted wars of conquest, made it difficult to establish a fixed practise. The most varying opinions arose concerning the regulations which the prophet had ordained in regard to these forms and the manner in which he had himself performed the ceremonies—in a word, concerning what was the "sunna" (traditional custom) in these matters. The claim as to the validity of each opinion was based on some alleged report ("Hadith") either of a decree or of a practise of the prophet or of his companions ("ashab"). In regard to these questions of detail, as indeed in regard to questions of law in general—which latter embraces both jurisprudence and matters of ritual—it was only in the second century after the establishment of Islam that fixed rules were adopted. These were founded partly on what was recognized as tradition, partly on speculative conclusions, and partly on the generally acknowledged and authenticated consensus of opinion in the community ("ijma'"). These legal regulations were worked up systematically, and furnished material for the activity of those theological schools in which was developed the Mohammedan law that to-day is still recognized as authoritative.

The study of law is one of the most important of Mohammedan sciences, "fiqh" (lit. "reasonableness" ="juris prudentia"; Hebr.

"hokmah"). Its students are the "fuqaha" (sing. "faqih"; i.e., "prudentes" ="hakamim"). On the development of this science Roman and Talmudic law, especially the former, has exercised a great influence. The studies of the oldest law schools have led to different results in the regulation of many details of the law according to the varying application of the data and of the fundamental principles. Hence arose the differences in the ritualistic practises and in the verdicts of the various legal sects ("madhahib") of Islam. Many of these sects have since disappeared; but the Hanafites, the Shafiites, the Malikites, and the Hanfalites have survived to the present day, and are distributed over large tracts of the extensive Islamic world.

Sects.

By far the largest sect is that of the Hanafites, founded in the school of the Imam Abu Hanifah (d. 150 A.H.=767 C.E.); it predominates in Turkey, in middle Asia, and in India. The Shafiites, named after the Imam Al-Shafi'i (d. 204=819), prevail in Egypt, southern Arabia, the Dutch colonies, and in German East-African territory. The Malikites, named after Malik ibn Anas, the great Imam of Medina (d. 179=795), include those who profess Islam in northern Africa and some in Upper Egypt. The Hanbalites, distinguished for their rigor and intolerance, and for a strict adherence to tradition, are named after the Imam Ahmad ibn Hanbal (d. 241=855). This sect suffered a serious decline after the fifteenth century; but it revived in the eighteenth century in the Wahabite movement of central Arabia, where the general adoption of its point of view led to the foundation of the Wahabitic dynasty. These four sects stand on the common basis of the sunna.

The Mohammedan schismatic movement was in origin not religious, but political. Its central point is the question as to the rightful successor to the prophet in the government of the Islamic community. While the Sunnites recognize the right of election to the califate, the Shiites refuse to accept the historical facts, and recognize as legitimate rulers and successors ("khalifah") to the prophet only his direct blood relations and descendants in the line of his daughter Fatima, the wife of Ali. But they are again divided among themselves according to which branch of the prophet's descendants they recognize. The Shiitic High Church, represented by the sect of the Ithna-ashariyyah (="Twelvers"), also called "Imamites," derive the legitimate succession in the califate (they prefer the term "Imam" to "Khalifah") from Ali, and transmit it from father to son until the twelfth Imam, Mohammed b. Hasan al-'Askari. This Mohammed is said to have disappeared mysteriously in the year 266 A.H. (=879 C.E.), when he was but eight years old; and the "Twelvers" hold that since then he has lived in concealment, and will appear again at the last day as Imam Mahdi. Another branch of the Shiites, the so-called "Isma'iliyyah," known in history as "the Fatimites," founded a dynasty which was powerful for some time in North Africa and in Egypt (909-1171 C.E.). As a result of the veneration paid by the Shiites to the family of Ali and Fatima (belief in the infallibility of the Imams is obligatory on all Shiites), doctrines of incarnation have sprung up within these sects, which join to the theory of the legitimate imamate the belief that the possessor of this dignity becomes super human; and this belief is even carried to the point of recognizing the existence of "God-men."

Liberal Movement in Islam.

The Gnostic teachings that have developed in Islam have exercised an influence on its cosmogonic and emanational theories, plainly evidencing the effect of Babylonian and Parsee ideas. To this day

the stunted remains of these old tendencies survive in the Druses, Nosairians, and the other sects scattered through Persia and Syria; and the history of Islam as well as a not inconsiderable literature bears testimony to the extent of their influence (comp. Dussaud, "Histoire et Religion des Nosairis," Paris, 1900; Seybold, "Die Drusenschrift 'Das Buch der Punkte und Kreise,'" Tübingen, 1902). An acquaintance with the dogmatic movement in Islam and with the sects that have proceeded from it is of great importance for the study of the history of religious philosophy in Judaism, and of its expression in the Jewish literature of the Middle Ages. As early as the second century of Islam, through the influence of Greek philosophy a rationalistic reaction took place in Syria and Mesopotamia against a literal acceptance of several conceptions of orthodox belief. This reaction touched especially upon the definition of the attributes of God, the doctrine of revelation, and the conceptions of free will and fatalism. While the strictly orthodox party, represented for the greater part by the followers of Ibn Hanbal (see above), clung in all questions to a literal interpretation of the Koran and tradition, the Motazilites introduced a more reasonable religious view, one more in keeping with the essence of monotheism (see Arabic Philosophy).

Its Spread.

Wholly without parallel in the history of the world was the rapid and victorious spread of Islam, within scarcely a century after the death of its founder, beyond the boundaries of Arabia, over Asia Minor, Syria, Persia, middle Asia to the borders of China, the whole coast of North Africa (ancient Mauritania and Numidia), and Europe as far as Spain. It subdued the Sudan as well as India; it

flooded the Malayan islands; and it has not yet finished its propaganda among the negroes of Africa, where it is steadily gaining ground. Starting from Zanzibar, it has spread to Mozambique, to the Portuguese colonies on the coast, to the negro tribes of South Africa, and it has even penetrated Madagascar. Islam is represented in America also, in some of the negroes who have immigrated to the western hemisphere. The slight Islamic propaganda of modern times among the Christians of North America is a peculiar one. It finds its expression in an English-Mohammedan service, in an Islamic literature, as well as in a newspaper ("The Moslem World"). In England, also, a Mohammedan community has recently been founded (Quilliam; comp. "Islam in America," New York, 1893).

The total number of professors of the Mohammedan faith in the world has been variously estimated. Two computations of modern times should especially be mentioned: that of the Mohammedan scholar Rouhi al-Khalidi, who gives the total number as 282, 225, 420 ("Revue de l'Islam, "1897, No. 21), and that of Hubert Jansen ("Verbreitung des Islams," etc., Friedrichshagen, 1897), whose estimate, in round numbers, is 260,000,000.

Relation to Judaism:

In connection with the general sketch given above it is of especial importance from the Jewish standpoint to note the relations between Jews and Mohammedans. In the Koran many a harsh word is spoken against the Jews, probably as the immediate effect of the difficulties which people in Arabia offered to the fulfilment of Mohammed's hopes and of the obstinate refusal with which they met his appeal to them. They are characterized as those upon whom "God's anger rests" (suras v. 65, lviii. 15, and,

according to the traditional exegesis of Mohammedans, i. 7). They are taxed with having a special hatred for the faithful (v. 85); hence friendships with them should not be formed (v. 56). This sentiment is presupposed to a still greater degree in the old hadith. It was a general conviction that the Jew who seems to salute a Moslem with the usual salaam greeting, instead of saying the word "salam" (health) says "sam" (death), which has a similar sound. One instance of this is related as having taken place even as early as the time of the prophet (Bukhari, "Isti'dhan," No. 22; idem, "Da'awat," No. 56). "Never is a Jew alone with a Moslem without planning how he may kill him" (Jaḥiẓ, "Bayan," i. 165). In this way a fanatical rage against the Jews was infused into the minds of the Mohammedans. On the last day the faithful will battle with the Jews, whereupon the stones will say to the believers: "Behind me lurks a Jew, oh Moslem! Strike him dead!" (Musnad Ahmad, ii. 122, 131, 149; Bukhari, "Jihad," No. 93).

Treatment of Jews.

But, in spite of the continuance of this malevolent disposition in single cases, one gathers from the old literature of Islam the general impression that after the foundation of the Mohammedan community a milder sentiment in respect to the Jews was introduced. Even Mohammed had already proclaimed toleration of the "Ahl al-Kitab" in consideration of their paying a certain tax ("jizyah") into the state treasury; although, to be sure, a certain humiliation for the unbelievers attached to the collection of this tax (sura ix. 29). In the following generation, under the calif Omar, the details were fixed for the execution of this general law. One might say that side by side with the harshness shown by Mohammed and Omar

toward the Jews settled in Arabia itself (they were, in fact, all driven out), there existed a more tolerant disposition toward those who were brought under the Mohammedan yoke through the extensive conquests of Islam. This disposition is expressed in many old hadiths, of which the following may serve as an illustration: "Whoever wrongs a Christian or a Jew, against him shall I myself appear as accuser on the Judgment Day." A number of current decrees emphasize the duties toward the "mu'ahad" (those with whom a compact has been made to protect them), or the "dhimmi" (those recommended to protection)—such are the names given to the professors of other faiths who are granted protection—and whenever mention is made of protection of the "persecuted," the commentators never omit to add that this is obligatory in regard to Moslems and also in regard to the "ahl al-dimmah." It is probable that the influence of the old Arabic conception of the duty of caring for whomsoever the tribe had taken under its protection is to be seen here; according to that conception, difference in religion was not sufficient ground for making an exception (an example of this may be found in "Kitab al-'Aghani," xi. 91).

Pact of Omar.

In the instructions which Omar gave to the generals as they set forth to spread the supremacy of Islam by the power of the sword, and to the officials to whom he entrusted the administration of the conquered lands, the injunction to respect and guard the religious institutions of the inhabitants of such lands who profess other faiths often occurs; e.g., in the directions given to Mu'adh ibn Jabal for Yemen, that no Jew be disturbed in the exercise of his faith ("Baladhuri," ed. De Goeje, p. 71). Omar likewise directed that some of the money and food due to the

poor from public revenues be given to non-Moslems (ib. p. 129). Characteristic of this attitude toward the Jew is a story—somewhat fabulous, it is true—told of a house in Busrah. When Omar's governor in this conquered city desired to build a mosque, the site of a Jew's house appeared to him to be suitable for the purpose. In spite of the objections of the owner, he had the dwelling torn down, and built the mosque in its place. The outraged Jew went to Medina to tell his grievance to Omar, whom he found wandering among the graves, poorly clad and lost in pious meditation. When the calif had heard his complaint, anxious to avoid delay and having no parchment with him, he picked up the jaw-bone of an ass and wrote on it an urgent command to the governor to tear down his mosque and rebuild the house of the Jew. This spot was still called "the house of the Jew" up to modern times (Porter, "Five Years in Damascus," 2d ed., p. 235, London, 1870). To Omar, however, is likewise ascribed the origin of a pact ("'ahd 'Omar"; See Omar) whose provisions were very severe.

Whatever may be true as to the genuineness of these "pacts" (see in this connection De Goeje, "Mémoire sur la Conquête de la Syrie," p. 142, Leyden, 1900; T. W. Arnold, "The Preaching of Islam," p. 52), it is certain that not until the science of Mohammedan law had reached its full development in the Fiqh school and the canonical law had been definitely codified after the second century of the Hegira, was the interconfessional law definitely established. A chapter dealing with the social and legal position of those "possessing Scriptures" may be found in every Mohammedan legal code. There is a regular gradation in respect to the degree of tolerance granted by the various legal sects ("madhahib"). On the whole, the attempt was

made in these codes to adhere in theory to the original fundamental laws. The adherence was modified, however, by a certain amount of increased rigor, corresponding to the public feeling of the age in which the codes came into existence—that of the Abbassids. The most intolerant were the followers of Ahmad ibn Hanbal. The codification of the laws in question has been given in detail by Goldziher in "Monatsschrift," 1880, pp. 302-308.

Anti-Jewish Traditions.

The different tendencies in the codifications are shown in divergences in the decrees attributed to the prophet. While one reads, "Whoever does violence to a dhimmi who has paid his jizyah and evidenced his submission—his enemy I am" ("Usd al-Ghaba," iii. 133), people with fanatical views have put into the mouth of the prophet such words as these: "Whoever shows a friendly face to a dhimmi is like one who deals me a blow in the side" (Ibn Hajar al-Haitami, "Fatawi Hadithiyyah," p. 118, Cairo, 1307). Or: "The angel Gabriel met the prophet on one occasion, whereupon the latter wished to take his hand. Gabriel, however, drew back, saying: 'Thou hast but just now touched the hand of a Jew.' The prophet was required to make his ablutions before he was allowed to take the angel's hand" (Dhahabi, "Mizan al-I'tidal," ii. 232, 275). These and similar sayings, however, were repudiated by the Mohammedan hadith critics themselves as false and spurious. They betray the fanatical spirit of the circle in which they originated. Official Islam has even tried to turn away from Jews and Christians the point of whatever malicious maxims have been handed down from ancient times. An old saying in regard to infidels reads: "If ye meet them in the way, speak not to them and crowd them to the wall." When Suhail, who relates this saying of the prophet,

was asked whether Jews and Christians were intended, he answered that this command referred to the heathen ("mushrikin"; "Musnad Ahmad," ii. 262).

Under the dominion of the Ommiads the followers of other religious faiths were little disturbed, since it was not in keeping with the worldly policy of those rulers to favor the tendencies of fanatical zealots. Omar II. (717-720) was the only one of this worldly-wise dynasty who trenched upon the equal privileges of unbelievers; and he was under the pietistic influence. Intolerance of infidels and a limitation of their freedom were first made a part of the law during the rule of the Abbassids (see Abbassid Califs), who, to bring about the ruin of their predecessors, had supported theocratic views and granted great influence to the representatives of intolerant creeds (comp. "Z. D. M. G." xxxviii. 679; "R. E. J." xxx. 6). Under them also the law was introduced compelling Jews to be distinguished by their clothing ("ghiyar"; Abu Yusuf, "Kitab alKharaj," pp. 72-73, Bulak, 1302). At a later period such distinguishing marks became frequent in the Mohammedan kingdoms, especially in North Africa, where the badge was known as "shaklah" (Fagnan, "Chroniques des Almohades et des Hafçides Attribué à Zerkechi," p., 19, Constantine, 1895).

Influence of Judaism on Islam.

The debt of Islam to Judaism is not limited to the laws, institutions, doctrines, and traditions which Mohammed himself borrowed from the Jews and incorporated in his revelations (see Koran). For its later development, also, Islam made use of much material presented to its teachers through direct association with Jews, through the influence of converted Jews, and through contact with the surrounding Jewish life. Many a Jewish tradition has

thus crept into Islam and taken an important place there. It is related that 'Ayisha, the wife of the prophet, owned to having received the idea of the torments of the grave ("'adhab al-qabr" = Hebr. "hibbut ha-keber") from Jewish women, and that Mohammed incorporated it in his teaching. Other eschatological details of Judaism served to embellish the original material, much of which goes back to Parsee sources (e.g., the leviathan and "shor ha-bar" as food = preserved wine as a drink in paradise; the "luz"="'ujb" out of which men's bodies will be reconstructed at the resurrection, etc.; see Eschatology). From the very beginning Jews versed in the Scriptures ("habr" [plural, "ahbar"] =Hebr. "haber") became of great importance in providing such details; and it was from the information thus supplied that the meager skeleton of the teachings of the Koran was built up and clothed.

These ahbar hold an important position also as sources for information concerning Islam. It will be sufficient here to refer to the many teachings in the first two centuries of Islam which are recorded under the names Ka'b al-Ahbar (d. 654) and Wahb ibn Munabbih (d. circa 731). In the first place, Islam owes to this source its elaborations of Biblical legends; many of these elaborations are incorporated in the canonical hadith works, and still more in the historical books (e.g., Tabari, vol. i.); and they early developed into an important special literature, a compilation of which is found in a work by Tha'labi (d. 1036) dealing exhaustively with these subjects and entitled "'Ara'is al-Majalis" (frequently printed in Cairo). Here belong the many tales current in Islamic legendary literature under the name "Isra-'iliyyat" (= "Jewish narratives"; comp. "R. E. J." xliv. 63 et seq.). According to the researches of F. Perles and Victor Chauvin, a large number of the

tales in the "Thousand and One Nights" go back to such Jewish sources (see Arabian Nights).

The system of genealogy, so important among the Arabs, connecting early Arabian history with that of the Biblical patriarchs, also goes back to Jewish sources. In particular a Jewish scholar of Palmyra is mentioned who adapted the genealogical tables of the Bible to the demands of Arabic genealogy (comp. references in Goldziher, "Muhammedanische Studien," i. 178, note 2). It was likewise such Jewish converts who offered the material for certain theories hostile to Judaism; for example, the view, not generally accepted by Mohammedans (ib. i. 145), but which is nevertheless very widely spread, that it was Ishmael, not Isaac, who was consecrated as a sacrifice ("dhabih") to God, originates from the teaching of a crafty convert who wished to ingratiate himself with his new associates (Tabari, i. 299).

Influence of Jewish on Mohammedan Law.

Islam in the course of its development borrowed also a large number of legal precepts from the Jewish Halakah. The importance attached to the "niyyah" (= "intentio") in the practise of law is at first glance reminiscent of the rabbinical teaching concerning "kawwanah," even though all the details do not coincide. The Mohammedan regulations appertaining to slaughtering, those relating to the personal qualifications of the "shohet" (Arabic, "dhabih") as well as those in regard to the details of slaughtering, show plainly the influence of the Jewish Halakah, as a glance into the codes themselves will prove. These are easily accessible, in the original as well as in European translations (Nawawi, "Minhag al-Talibin," ed. Van den Berg, iii. 297, Batavia,1882-84; "Fath al-Qarib," edited by the same, pp. 631 et seq., Leyden, 1894; Tornaw,

"Das Muslimische Recht," p. 228, Leipsic, 1855). For example, the Mohammedan law in regard to slaughtering ordains expressly that the "hulq um" (Hebr. "kaneh") and the "mari'" (Hebr. "weshet") must be severed, and forbids killing in any other manner. On the other hand, the law, peculiar to Islam, that the slaughterer in the performance of his duty must turn the animal toward the "qiblah," has given material for halakic reflections on the part of Jews (Solomon ben Adret, Responsa, No. 345; "Bet Yosef," on Ṭur Yoreh De'ah iv., end). The rule that God's name be mentioned before slaughtering is probably a reflection of the Jewish benediction, as are also in general the eulogies ordained by Islamic tradition at the appearance of certain natural phenomena (Nawawi, "Adhkar," p. 79, Cairo, 1312), which may be traced back to the influence of Jewish customs. Mohammedan law has adopted literally the provision "ka-makhol ba-she-poperet" in the case of the precept concerning adultery, and it betrays its source through this characteristic form of speech ("R. E. J." xxviii. 79), which is not the only one that teachers of Islam have taken over from rabbinical linguistic usage (ib. xliii. 5).

The attempt has been made by Alfred von Kremer ("Culturgesch. des Orients Unter den Chalifen," i. 525, 535) to show by many examples that the codifiers, of Mohammedan civil law were influenced by Talmudic-rabbinical law. There is, however, legitimate doubt in the case of many of such coincidences whether Roman law, the influence of which on the development of Mohammedan law is beyond question, should not be considered as the direct source from which Islamic teachers borrowed. Such a question must arise from a consideration of the legal principle of the

"istishab" (= "præsumptio"), the meaning and application of which coincide fully with that of the rabbinical principle of the חזקה קמייתא ("Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes," i. 239). Likewise the rules אין לו לדיין אלא מה שעיניו רואות and אין ספק מוציא מידי ודאי, and the fundamental principle of the תקון העולם ("istislah") are found literally among the cardinal juridical principles of Islamic law (ib. p. 229; "Muhammedanische Studien," ii. 82, No. 6). In spite of the fact that it is a principle of Islamic tradition to avoid all imitation of the usages and customs of the ahl al-Kitab and that the disapproval of many usages of religious as well as of secular life is specifically ascribed to such a cause ("R. E. J." xxviii. 77), still many religious practises of Judaism have been incorporated into Islam; for example, many details in the ceremony of burying the dead, as "taharah" (washing the dead), holy texts being recited during the washing of the various parts of the body (Al-'Abdari, "Madkhal," iii. 12, Alexandria, 1293). Such intrusive customs are not seldom censured by the purists of Islam as being "bid'a" (unorthodox innovations), in opposition to the "Sunnah" (old orthodox usage). Those elements of Mohammedan religious literature which correspond to the Jewish Haggadah offer a large field for derivation; in this connection See hadith.

Islam is regarded by Mohammedans, as may be easily conceived, not only as the final stage of the divine revelation, but also as being quantitatively richer than either Judaism or Christianity. More ethical demands are made by it than by the older religions. This idea found expression in an old hadith which even at a very early period was misinterpreted to read: "Judaism has 71, Christianity 72, and Islam 73 sects." The word which was taken to mean "sects" denotes literally "branches," and

should be interpreted "religious demands," "the highest of which is the acknowledgment of God and Mohammed, and the lowest the removal of offense from the way" (on the original meaning of this saying see Goldziher, "Le Dénombrement des Sectes Mohametanes," in "Revue de l'Histoire des Religions," xxvi. 129-137).

Polemics.

The theological relation of Islam to Judaism is presented in an extensive polemical literature on the part of Mohammedan scholars. The subject-matter of this literature is closely related to the attacks and accusations already directed against Judaism by the Koran and the hadith. In the Koran (ix. 30) the Jews are charged with worshiping Ezra ("'Uzair") as the son of God—a malevolent metaphor for the great respect which was paid by the Jews to the memory of Ezra as the restorer of the Law, and from which the Ezra legends of apocryphal literature (II Esd. xxxiv. 37-49) originated (as to how they developed in Mohammedan legends see Damiri, "Hayat al-Hayawan," i. 304-305). It is hard to bring into harmony with this the fact, related by Jacob Saphir ("Eben Sappir," i. 99), that the Jews of South Arabia have a pronounced aversion for the memory of Ezra, and even exclude his name from their category of proper names.

More clearly still does this literature bring forward an accusation, founded on suras ii. 70, v. 15, that the Jews had falsified certain portions of the Holy Scriptures and concealed others (iii. 64, vi. 91). Even in Mohammed's time the rabbis were said to have misrepresented to the prophet the law in regard to adulterers ("R. E. J." xxviii. 79). In later times the details as to these falsifications were continually augmented. It was said, for example, that in order to rob the Arabs of an honor done to

their ancestors the Jews wrongly inserted in the Pentateuch the choice of Isaac as the child whose sacrifice God demanded of Abraham and which the patriarch was willing to make, whereas in reality it was Ishmael (comp. "Muhammedanische Studien," i. 145, note 5). But the accusation of misrepresentation and concealment is most emphatic in connection with those passages of the Pentateuch, the Prophets, and the Psalms in which the adherents of Islam claim that Mohammed's name and attributes, his future appearance as "seal of the prophets," and his mission to all mankind were predicted.

Mohammedan, theologians divide these charges into two classes: they hold (1) that in some cases the original text itself has been falsified, while (2) in others it is the interpretation of a genuine text that has been wilfully perverted. Whereas in the earlier period of the controversy these accusations were made against the "ahbar" as a class, who were represented as leading the Jewish people astray, lateron the personal nature of the charge was accentuated, and the fault ascribed to Ezra "the writer" ("al-warraq"), who in his restoration of the forgotten writings was said to have falsified them ("Z. D. M. G." xxxii. 370). Abraham ibn Daud ("Emunah Ramah," p. 79) combats this accusation. According to tradition, Ibn Ḳutaiba (d. 276 A.H. = 889 C.E.) was the first to bring together the Biblical passages supposed to refer to the sending of Mohammed. His enumeration of them has been preserved in a work by Ibn al-Jauzi (12th cent.), from which it has been published in the Arabic text by Brockelmann ("Beiträge für Semitische Wortforschung," iii. 46-55; comp. Stade's "Zeitschrift," 1894, pp. 138-142). These passages recur with more or less completeness in the works of

all Moslem apologists and controversialists (comp. the enumeration of the Biblical names of the prophet and the Biblical verses relating to him in "Z. D. M. G." xxxii. 374-379), and are usually combined with similar New Testament prophecies supposed to refer to him (Παράκλητος, confused with Περικλυτός, is taken to mean Mohammed). Of the Biblical names supposed to allude to Mohammed, Jewish apologists have been compelled most often to refute the identification of מאר מאר with the name of the prophet of Islam.

With this portion of the polemic directed against the Bible is often connected an exposition of the contradictions and incongruities in the Biblical narrative. The first to enter this field was the Spaniard Abu Mohammed ibn Hazm, a contemporary of Samuel ha-Nagid, with whom he was personally acquainted (see Bibliography below). He was the first important systematizer of this literature; and his attacks upon Judaism and its Scriptures are discussed by Solomon ben Adret in his "Ma'amar 'al Yishmael" (Schreiner, in "Z. D. M. G." xlviii. 39).

Restriction of Recognition of Islam.

One of the earliest points of controversy was the contention of the Jews that, although Mohammed was to be regarded as a national prophet, his mission was to the Arabs only or in general to peoples who had had as yet no revealed Scriptures ("ummiyin"; Kobak's "Jeschurun," ix. 24). In opposition to this, Mohammedan theologians and controversialists declared that Mohammed's divine mission was universal, hence intended for the Jews also. Abu 'Isa Obadiah al-Isfahani, founder of the 'Isawites (middle of the 8th cent.), admitted that Mohammedanism as well as Christianity was entitled to recognize its founder as a prophet, whose

mission was intended for "its people"; he thus recognized the relative truth of Islam in so far as its followers were concerned (Kirkisani, ed. Harkavy, § 11).

The turning-point in this controversy was the question of abrogation of the divine laws, inasmuch as a general acceptance of Islam presupposed the abolition of the earlier divine revelations. Otherwise the abolition of the Sabbath law (see "Kaufmann Gedenkbuch," p. 100), of the dietary laws, and of other Biblical precepts and regulations given by God would lose all claim to validity. Consequently the Mohammedans, while maintaining the authority of the ancient prophets, had to demonstrate the provisional and temporary nature of such of the earlier divine laws abrogated by Mohammed as they did not claim to be out-and-out inventions. So much the more vigorously, therefore, did the Jewish dogmatists (Saadia, "Emunot we-De'ot," book iii.; Abraham ibn Daud, "Emunah Ramah," pp. 75 et seq.) oppose from a philosophical standpoint this view, which attacked the essential principles of the Jewish religion.

The anti-Jewish controversialists of Islam assumed as an established fact that the Jews were required to hold an anthropomorphic, corporeal conception of God ("tajsim," "tashbih"). Judaism is even held responsible for the anthropomorphic conceptions found in other confessions (see "Kaufmann Gedenkbuch," p. 100, note 1). The Biblical passages brought forward as proof (among the earliest of them is Gen. i. 26-27) are counted with those which it is claimed were falsified by the Jews. Besides the Biblical passages, references from the Talmud in which extremely anthropomorphic statements are made concerning God ("God prays, mourns," etc.) are also brought forward to support

these charges. The material for the last-named class of attacks was probably furnished by the Karaites, who are treated respectfully by the Mohammedan controversialists, are characterized as standing closer to Islam, and in general are exalted at the expense of the Rabbinites.

Ibn Hazm extends the attack against the Jews to the rabbinical amplifications of the laws, to the "bonds and chains" with which the Jews have, with unjustifiable arbitrariness on the part of the Rabbis, been bound. Since the time of the Jewish, apostate Samuel. b. Yahya, the polemic has taken the form of satire, directed most often against the minutiæ of the precepts on slaughtering and on the order of procedure in connection with the "bedikat ha-re'ah." The same controversialist also began to criticize the text of certain prayers (which he cites in Hebrew) and to hold up the conduct of the Rabbis to ridicule. Later Islamic controversialists have copied extensively from this convert from Judaism.

To denote: يعني

by the might of the sword: بِحَدّ السيف

Thorough belief in monotheism: الإيمـان المطلـق بالوحدانية

A reaction against: . . . رد فعل ضد

Conduct: تَصَرُّف، سُلوك

Avaricious: بَخِيل، جَشِع، حَرِيص

Oppressive: بَاغٍ، ظَالِم، مُسْتَبِدّ

Indifferent to things spiritual: غير مبالٍ بالأمور الروحانية

Heathenism: الوَثَنِيَّة، عبادة الأوثان

To endure: . . . ثَبَتَ، صَمَدَ، تَحَمَّلَ، صَبَرَ على

Persecutions: اضطهادات

Predecessors: الأسلاف

The Holy Ghost: روح القدس

Mission: مهمة

Holy Scriptures: الكتب المقدسة

He even declined with consistent firmness the suggestion to perform miracles: بل لقد رفض رفضا قاطعا ما طُلِب منه من الإتيان بمعجزة

Unsurpassable: لا يُعْلَى عليه، لا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ

Monks: رهبان

The heretical sects: المذاهب المنحرفة

Unhindered: طليق، لا يعوقه عائق

Omnipotence: القدرة المطلقة، القدرة الإلهية

Swine's flesh: لحم الخنزير

To procure: حَصَلَ على

An integral part of: . . . جزء لا يتجزأ من

In view of: . . . نظرا لـ

Obstinate: حَرُون، عَنِيد

To annulle: أبطل، ألغى

Concessions: تَنَازُلات

A sacrifice: تَضْحِيَة، أُضْحِيَّة، قُرْبَان

Abolition: إلغاء

An ordinance: مرسوم، طقس ديني

Twofold: ثُنَائِيّ، مُضَاعَف

Humanitarian: خَيِّر

Indulgences: تسهيلات

Nomenclature: مجموعة مصطلحات

Etymologically: من الناحية الاشتقاقية

Dispersion: تناثر

Validity: صلاحية

Jurisprudence: فقه، تشريع

Partly: جزئيا

Speculative conclusions: استنتاجات تخمينية

Rigor: صَرَامَة، شِدَّة

Adoption: تَبَنٍّ، اعتناق

Descendants: ذُرِّيَة

The caliphate: الخلافة

In concealment: مختفيا، بعيدا عن العيون

The veneration paid by the Shiites to the family of Ali and Fatima: الإجلال الذى يظهره الشيعة تجاه أسرة على وفاطمة

Incarnation: التجسد

The Gnostic teachings: التعاليم الغنوصية

Emanational theories: نظريات الفيض

Stunted: متوقف عن النمو

Acquaintance with: . . . التعرف إلى

The Middle Ages: العصور الوسطى

Mesopotamia: بلاد الرافدين

In keeping with: . . . بالتطابق مع

Wholly: تماما

To subdue: يُخضِع

Steadily gaining ground: يكسب أرضا باطراد

The western hemisphere: النصف الغربي للكرة الأرضية

Pact of Omar: العهدة العمرية

Instructions: تعليمات

Administration: إدارة

Fabulous: خرافي

Grievance: مظلمة

A parchment: رَق

On the whole: بوجه عامّ

Divergence: اِخْتِلاف، تَبَاعُد

Fanatical: مُتَعَصِّب

Whereupon: ومن ثَمَّ

A zealot: شخص شديد التعصب

Theocratic views: آراء نظرية

Versed in the Scriptures: على علم واسع بالكتب المقدسة

Exhaustively: على نحو شامل

Legendary: خرافي

Genealogical tables: قوائم خاصة بالأنساب

Genealogy: علم الأنساب

To ingratiate oneself with: يتقرب، يتحبب إلى . . .

Slaughtering: الذبح

Benediction: منح البركة، مباركة

Rabbinical: حاخامي، أحباري

Innovations: بِدَع

Acknowledgment: اعتراف بالجميل

Polemics: المجادلات الفكرية

Apocryphal literature: الكتابات الزائفة

To pervert: يُفْسِد

Unjustifiable arbitrariness: تحكُّم لا داعي له

To hold up the conduct of the Rabbis to ridicule:
جعل من سلوك الأحبار مثارا للسخرية

الدراسة

تبدأ مقالة "الإسلام" فى "الموسوعة اليهودية" بتفسير هذا المصطلح بأنه "الخضوع لله"، وليس فى هذا ما يحتاج إلى تعقيب، فالمسلم يعمل فعلا على أن يخضع لأوامر الله ويبتعد عن نواهيه. بَيْدَ أن قول الكاتب بعد ذلك إن لفظ "إسلام" هو مصدرُ فعلٍ ينصب مفعولين (factitive) هو قول يحتاج إلى تعقيب. فهذا المصدر بالمعنى الذى بين أيدينا الآن مصدرُ فعلٍ لازمٍ. ذلك أن هذا الفعل فى قولنا مثلا: "أسلمتُ"، أى دخلت فى الإسلام، أو "أسلمتُ لله رب العالمين"، أى خضعت له سبحانه، لا يأخذ مفعولا به، فضلا عن أن يأخذ مفعولين اثنين. ولقد استخدم الكاتب الكلمة على النحو التالى: "submission to God"، بما يفيد أن الفعل لازم. صحيح أن الفعل فى قولنا: "أسلمتُ الطفلَ إلى أمه" يتعدى إلى مفعول، وأننا إذا أسقطنا حرف الجر فقلنا: "أسلمتُ الطفلَ أمَّه" تعدَّى إلى مفعولين، إلا أن معناه هنا يختلف عن معناه الذى نحن بصدده كما هو بَيِّن.

ثم يتحدث الكاتب عن بداية الدعوة الإسلامية قائلا إن الرسول بدأ بدعوة أهل مكة، ثم انتقل من ذلك إلى دعوة بلاد العرب كلهم، ثم بعد وفاته انتشر الإسلام على نطاق واسع خارج حدود الجزيرة. وهذا أيضا

لا تعليق لنا عليه، اللهم إلا قوله فى خلال ذلك إن الإسـلام قد حقق هـذا الانتصار بفضل السيف. ذلك أنه كانت هناك فتوح، لا نكران لذلك، وهذه الفتوح قد وسّعت الأرض الخاضعة للدولة الجديدة، بيد أن هـذا القول شىء، والقفز منه إلى أن الإسـلام قد انتشر بالسيف شـىء مختلف تماما . لكن الكاتب لا يبالى بهذه التفرقة التى من المؤكد أنه على وعى تام بها . ولو كان الأمر كما زعم لرأينا الشعوب التى فتح العرب بلادها تُكْرَه إكراها على اعتناق دين محمد عليه الصلاة والسلام كما حدث للمسلمين على يد النصارى فى بلاد الأندلس غِبَّ انتصارهم عليهم وقضائهم على دولتهم التى كانت موئلا للحرية الدينية، وكما حدث فى الأمريكتين حيث لم يعد هناك إلا النصرانية الوافدة بعد أن كان للهنود الحمر دينهم المختلف.

لكننا ننظر فنجد أن دخول تلك الشعوب فى الإسـلام لم يكن فوريا، كما لم يتم تحت تهديد السيف، بل تم بمطلق حريتها، وأَخَذَ وقتا . فالإسلام لا يعرف الإكراه فى الدين، وقد نصت آياته على ذلك وأعلنتها صريحة مدوية: "لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" (آل عمران/ ٢٥٦)، "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (يونس/ ٩٩)، "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ" (يونس/ ١٠٨)، "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" (هود/ ١١٨)، "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" (الكهف/ ٢٩)، "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)" (الغاشية) . . .

ولو كان هذا الذى يقوله الكاتب صحيحا لما قبل النبى من اليهود والنصارى الذين كانوا يساكنونه بلاد العرب إلا اعتناق دينه أو إعمال السيف فى رقابهم. بالعكس لقد كتب صلى الله عليه وسلم غداة وصوله إلى يثرب ما يسمى بـ"الصحيفة" بينه وبين يهود معطيا إياهم ذات الحقوق التى أعطيت لأتباعه، وموجبا عليهم نفس الواجبات التى حُمّلها هؤلاء الأتباع. كما أنه لم يجبر على اعتناق الإسلام نصارى نجران حين أَتَوْا إلى المدينة ودخلوا معه فى مفاوضات وجدالات انتهت بتركه إياهم على ما هم عليه من دين وشعائر، وعادوا إلى بلادهم على هذا الوضع دون أن يتعرضوا منه لما يمس دينهم فى جليل أو حقير. وكان كل ما فعله معهم أنْ دعاهم إلى المباهلة، فلم يستجيبوا وخافوا أن ينزل الله عليهم عقابا من لدنه، مع إيثارهم فى ذات الوقت البقاء فى مناصبهم والمزايا التى تستتبعها هذه المناصب، فأقرهم النبى عليه السلام على ما أرادوا .

بل إن المسلمين مأمورون بحكم دينهم ونصوص كتابهم أن يكون جدالهم مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن ما داموا لا يتعرضون لهم بظلم:

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (النحل/ ١٢٥)، "وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (العنكبوت/ ٤٦) . ويوصى الرسول أتباعه قائلا: "ألا من ظلم معاهَدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"، "من آذى ذِمّيًّا فأنا خَصْمُه". على أن الأمر لا يقف هنا، بل يعلن القرآن أنه لا ينهى المسلمين عن بر الكفار والإقساط والإحسان إليهم ما داموا لا يقاتلوننا فى الدين ولم يخرجونا من ديارنا: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)" (الممتحنة) .

بل إن الكافر ذاته إذا استجار بالمسلمين فعليهم أن يجيروه حتى يسمع كلام الله ثم يبلغوه مأمنه معزَّزا مكرَّما: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ" (التوبة/ ٦) . صحيح أننا نقرأ فى القرآن المجيد مثل قوله تعالى: "فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" (التوبة/ ٥)، لكننا ينبغى أن نعلم أن هذه الآية وأمثالها إنما تتعلق بالمشركين الذين كانت بينهم وبين المسلمين عهود ثم غدروا بها، فهى إذن حالة حرب، وليس فى الحرب إلا غالب أو مغلوب، أو قاتل أو مقتول. ورغم هذا كان الإسلام أكثر من كريم معهم، إذ أعطاهم مهلة أربعة أشهر يسيحون خلالها فى الأرض براحتهم التامة قبل أن يعاملهم المسلمون بما يستحقونه بغدرهم وخيانتهم وتقتيلهم الأبرياء منهم. ورغم هذا أيضا كان الإسلام معهم أكثر جدا جدا من كريم لأنه لم ينفذ تهديداته هذه، بل كان قصده من ورائها التخويف أكثر منه التطبيق. وكانت النتيجة أنْ غزا الإسلام القلوب الجاسية وليّن من قساوتها وكسبها لقضيته مكسبا عبقريا. أما الذين لم يخونوا العهود والمواثيق فعلى المسلمين أن يُوَفُّوهم عهودهم إلى مدتها: "إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (التوبة/ ٤)، "كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (التوبة/ ٧).

ولست أظن أن المسلم يمكن أن يفكر فى إكراه أحد على اعتناق الإسلام، إذ إن دين محمد يقوم على خلوص النية، ولا يعتد بمظاهر

الأشياء . نعم لا بد من استصحاب النية فى كل عمل يقوم به الواحد منا كى يكون مقبولا ومأجورا: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"، و"رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر" . وعلى هذا فليس من المفيد إجبار أحد على اعتناق الإسلام فى الوقت الذى نعرف أنه غير مخلص فى هذا الإسلام. بل لقد أتى على المسلمين حينٌ من الزمن كان بعضهم لا يرحب باعتناق غير المسلمين دينهم لتأثير هذا على دخل الخزينة كما حدث فى عصر عمر بن عبد العزيز، وهو ما أثار ثائرة الخليفة الورع على هذا الموقف القبيح من بعض رجال دولته، إذ كتب إليه حيّان عامله على مصر: إن الناس قد أسلموا فليس جزية. فكتب إليه عمر: أبعد الله الجزية! إن الله بعث محمدًا هاديًا، ولم يبعثه جابيًا للجزية.

وحين يتناول كاتب المقالة مهمة النبى والدوافع التى حملته على الدعوة للدين الجديد نراه يقول: " The preaching of Mohammed as the messenger of God ("rasul Allah") owed its origin to the prophet's firm conviction of the approach of the Day of Judgment ("Yaum al-Din") and to his thorough belief in monotheism". فمرجع

الأمر، حسبما يقول الكاتب، هو اقتناعه عليه الصلاة والسلام باقتراب يوم القيامة وإيمانه بالوحدانية فقط لا أنه اختير من الله سبحانه وتعالى لهذه المهمة اختيارا . فكأن الأمر أمر اقتناع شخصى بعد تفكير فى الأمر وتخطيط للدعوة. وهذا طبعا، رغم ما يبدو على ظاهره من مديح له صلى الله عليه وسلم، هو تكذيب لنبوته. ويمضى الكاتب فى عزف هذه النغمة التى تلح على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن نبيا، بل مصلحا ساءته الأوضاع التى كان يراها من حوله فنهض يدينها ويدعو إلى تغييرها . وهذا كل ما هنالك، فلا نبوة إذن ولا يحزنون. وأنا، حين أقول هذا، لا أصادر حق الكاتب فى أن يقول ما يشاء أو يعتقد ما يشاء، بل أريد أن أبين للقارئ المسلم كيف يفكر ذلك الرجل ومن أين يأتيه الخطأ، أو كيف نكشف زيف كلامه للناس ونبين ثغرات المنطق فيه وتنكبه للمنهج العلمى.

ولا يكتفى الكاتب بهذا، بل يمضى خطوة أبعد تكشف ما فى نفسه، إذ يزعم أن محمدا قد استمد دعوته من اليهودية والنصرانية، من بيئته المحيطة به ومن أسفاره خارج بلاد العرب على السواء: " through Jewish and Christian influences, to which he was subjected in his immediate surroundings as well as during the commercial journeys undertaken by him in his youth"، ليضيف بعد قليل أن معلميه من أهل هاتين الديانتين هم

رهبانٌ ويهودٌ نصفُ متعلمين، ومن ثم جاءت معرفته بهما ناقصة ومشوشة فاسدة.

وعبثا نسأل عن الدليل الذى يعتمد عليه الكاتب فى هذه الدعوى، إذ لا دليل البتة. ولو كان هذا الدليل موجودا لساق لنا الكاتب وقائع معينة بما دار فيها من حوارٍ ومَنْ حضَرها من شهود وما رُوِىَ عنها من حكايات. لكنه لم يورد لنا شيئا من ذلك. والسبب ببساطة شديدة أنه لم يحدث على الإطلاق شىء من ذلك. كما أن الوحدانية فى دين الإسلام هى وحدانية صافيةٌ نقيةٌ بِكْرٌ لم تمتد إليها يد بالعبث، وليس فيها شىء مسىء إلى الله ورسوله مما يحتويه العهد القديم فى كثير من المواضع.

لقد أسلمت الجزيرة العربية كلها والشام والعراق وفارس، وكان من بين من دخلوا فى الإسلام آنذاك، ولا يزال، كثير جدا من القساوسة والأحبار، وهو ما يعنى أنهم لم يجدوا عليه ريبة، وإلا ما أسلموا. وحتى الذين كانوا يكذّبونه ويتهمونه فى البداية قد أثبتوا بإسلامهم هذا أن الرسول صادق أمين تمام الصدق والأمانة. كذلك كان هناك منافقون ويهود ونصارى فى كل مكان من بلاد العرب، بالإضافة إلى المرتدين بعد وفاته وعلى رأسهم الأنبياء الكذبة وقوادهم العسكريون، ومع هذا لم نسمع من أحدهم كلمة يتيمة تقول عنه ما يقوله الكاتب المضلِّل. لقد كان كل ما قدَر عليه اليهود فى عصره أنْ وضعوا أيديهم فى أيدى الوثنيين قائلين لهم:

إن دينكم خير من دينه. وهكذا يكون الإخلاص اليهودى لقضية التوحيد الذى يزعم كاتبنا أن محمدا قد استقاه من يهود! كما نَكَلَ زعماء نصارى نجران عن مباهلة النبى حين طلب منهم ذلك حسما للخلاف بينه وبينهم، مُؤْثِرين دفع الجزية، إذ خافوا أن يعاقبهم الله جزاء كفرهم بمحمد، الذى كانوا يعرفون أنه نبى حقيقى، لكنهم لم يشاؤوا رغم ذلك أن يتنازلوا عن الامتيازات التى كانوا يرفلون فى نعيمها بسبب رئاستهم الدينية.

ثم لماذا لم يظهر أى شخص رغم توفر كل الدواعى التى تلح على ظهوره من هؤلاء الذين تعلم محمد على أيديهم ويقول: إننى أنا الذى علمته ما كان يجهل، أو إننى أنا الذى كان كثيرا ما يسألنى فأجيبه. الواقع أنه ليست هناك إلا رواية واحدة عن لقائه وهو صبى صغير ببحيرا الراهب على حدود بلاد العرب، وكل ما جرى حسب تلك الرواية هو تحذير الراهب لأبى طالب من غدر يهود بالطفل ونصيحته إياه أن يعود به أدراجه إلى مكة تجنبا لشرهم لو عرفوا أنه هو النبى المنتظر. ولقد أذكر أن توماس كارلايل كتب فى كتابه: "عن الأبطال وعبادة الأبطال: On Heroes and Hero Worship" يسخر من الأمر كله، إذ كيف لصبى لا يزيد عمره عن أربع عشرة سنة أن يتعلم دينا من الأديان كالإسلام فى مثل ذلك اللقاء العابر القصير، وبخاصة أنه لم تكن هناك لغة مشتركة بين الصبى ومعلمه المزعوم يمكن أن يتفاهما بها؟ وإنى لأهدى هذا السؤال

إلى كاتبنا، وإن كنت أعرف الجواب سلفا، وهو أنه ليس لديه أى جواب!

وهذا نص ما قاله كارلايل فى أصله الإنجليزى:

"I know not what to make of that "Sergius, the Nestorian Monk," whom Abu Thaleb and he are said to have lodged with; or how much any monk could have taught one still so young. Probably enough it is greatly exaggerated, this of the Nestorian Monk. Mahomet was only fourteen; had no language but his own".

وها نحن أولاء قد مر علينا حتى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ولم نسمع إلا السخافات التى لا تقنع طفلا، مثل أن محمدا لم يكن إلا راهبا تمرد على الكنيسة بسبب من طموحه الشديد للزعامة واخترع مذهبا نصرانيا جديدا سماه: "الإسلام"، أو أنه صلى الله عليه وسلم مات فى نَوْبة سُكْرٍ بَيِّنٍ وأن جسده وُجِد مُلْقًى على كوم من الرَّوْث وقد أكلت منه الخنازير. ولا يقلّ عن هذا وذاك سخفًا ورقاعةً ما قرأناه فى السنوات الأخيرة من أنه صلى الله عليه وسلم لا وجود تاريخى له، بل هو مثل شرلوك هولمز، وكما أن هولمز ليس سوى نتاج قصصى خيالى فكذلك محمد، أو أن تعبير "الحور العين" المشهور ليس معناه النساء الجميلات اللاتى سيفوز بهن المؤمنون فى الجنة ويَفُزْنَ بهم، بل معناه "الزبيب الأبيض". يريد قائل هذا الكلام المضحك أن يشمت بالمجاهدين الذين يحاربون أمريكا وأتباعها من القوى الغربية فى بلاد العرب والمسلمين وأن

يقول لهم إنهم سوف يأخذون مقلبا سخنا بعد أن يكونوا قد فقدوا حياتهم دون أن يحصلوا على شىء مما كانوا يتطلعون إلى الفوز به.

أما ما يدّعيه الكاتب على النبى الكريم من أن معرفته باليهودية والنصرانية مشوشة وفاسدة وناقصة لاستمداده إياها من أنصاف المتعلمين من رهبان ويهود فهى جرأة منقطعة النظير، إذ ما من شىء خالف فيه القرآن الكتاب المقدس إلا وكان الحق فى جانبه هو: خذ مثلا تصوير الكتاب المقدس لله على أنه قد خلق الكون فى ستة أيام شمسية وكأنه سبحانه وتعالى يعيش على الأرض معنا، أو كأن الشمس والقمر كانا قد خُلِقا وقتذاك، وهو ما لم يكن قد حدث، وأنه عز وجل يحتاج إلى الاستراحة بعد التعب الذى شعر به جَرّاء هذا الخلق، وأنه يندم وأن له أبناء وأنه يتجسد وأنه يتصارع مع عباده، أو أن أنبياءه يرتكبون جرائم الزنا ومضاجعة المحارم والقتل بدم بارد والغدر والحقد والدياثة وتسهيل عبادة الأصنام، ثم تعال إلى القرآن وانظر كيف يصحح هذا كله، وغيره كثير، بناءً على ما يقتضيه العقل والحق، ثم قل لنفسك: أى الكتابين يعطيك الصورة الصحيحة؟ وليس هذا كله سوى غَيْضٍ من فَيْض!

ومما يقوله الكاتب من أباطيل أيضا زعمه أن الرسول عليه الصلاة والسلام عند هجرته إلى المدينة قد بدأ بالتودد إلى اليهود طمعا فى إسلامهم، إلا أنه انقلب عليهم حين لم يستجيبوا لهذا التودد على النحو

الذى كان يأمله. ومن مظاهر التودد المزعوم اتخاذه بيت المقدس قبلة للصلاة وصومه يوم عاشوراء. والواقع أن الكاتب يهرف بما يعرف أنه أكاذيب. ذلك أن الاتجاه إلى بيت المقدس فى الصلاة يرجع إلى ما قبل الهجرة. كل ما فى الأمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يجعل الكعبة بينه وبين ذلك البيت.

وأما صوم عاشوراء فهو لم يفعله توددا إليهم، وإلا ما قال إن المسلمين أحق بصيامه منهم، وإن موسى لو كان حيًّا ماوسعه إلا اتباعه، وهو كلام يعبر بكل وضوح وحسم عن لامبالاته بهم: "لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون، ونحن نصومه تعظيما له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن أولى بموسى منكم. ثم أمر بصومه"، "والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا اتباعي". كذلك فالقرآن يعجّ فى المرحلة المكية بالهجوم على اليهود ويفضح خزيهم، فكيف يقول الكاتب إن الرسول بدأ حياته فى يثرب بالتودد إليهم؟ ترى ما الذى كان يمثله اليهود للنبى عليه الصلاة والسلام حتى يقال إنه كان يتودد إليهم؟

كذلك فالزعم بأنه صلى الله عليه وسلم جرى فى إثرهم وحرّم لحم الخنزير كما يحرمونه هو كذب مفضوح، إذ إن تحريم الخنزير يرجع إلى ما

قبل الهجرة، أى قبل اتصاله عليه السلام باليهود كما يدَّعِى الكاتب. وها هى ذى آيات سورتى "الأنعام" و"النحل" على التوالى تقول ذلك بلسان واضح لا يحتمل لبسا ولا شرحا، وهى من الوحى المكى: "قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨)"، "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥) وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)". وغنىٌّ عن البيان أن القرآن قد أعلن

أنه لا يوافق على ما يحرّمه اليهود على أنفسهم مما لم ينزل بتحريمه نص سماوى، بل يوافق فقط على ما حرمه الله سبحانه عليهم. أقول هذا لأن الكاتب يزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان فى بداية هجرته إلى المدينة يحرم ما يحرمه اليهود، لكنه انقلب عليهم حين وجد منهم عنادا ورفضا لنبوته. وهذا كله غير صحيح البتّة.

وبعد عدة فقرات سوف يعود الكاتب إلى هذا الموضوع فيزعم مرة أخرى أن الرسول قد استعار كثيرا من شعائر اليهودية وتشريعاتها، ثم يحيل القارئ إلى القرآن للتأكد من صدق ما يقول، لكن دون تحديد سورة أو آية معينة، بل القرآن بإطلاق. وهو يفعل هذا بثقة يُحْسَد عليها وكأن القرآن يقول فعلا إن الرسول كان يأخذ من اليهود أشياء يضعها فى دينه ثم يزعم أنها من عند الله! ومع هذا فنحن نوافقه على أن كثيرا من الروايات اليهودية قد تسربت فيما بعد إلى الكتابات الإسلامية عن طريق اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، وهو ما يسمى بـ"الإسرائيليات"، فلا أحد يُشَاحّ فى هذا. إلا أن علماء المسلمين يقفون لمثل تلك الروايات بالمرصاد فينصّون عليها ويوصون بإهمالها. على أنه لا بد من التنبيه رغم هذا إلى أن الإسلام لا يمكن أن يخالف العهد القديم فى كل شىء، إذ لم يقل أحد إنه لم يبق فى ذلك الكتاب شىء على أصله السماوى. وما دام الإسلام هو من عند الله فلا بد أن تكون هناك أشياء مشتركة بين الديانتين، وهى الأشياء

التى لم تمتد إليها يد التحريف من جهة، ولم تُنسخ فى شريعتنا من جهة أخرى.

كذلك تحدث الكاتب عن السبت فقال، ويا ليته ما قال، إن الرسول اعترض على مراعاة اليهود ليوم السبت. والحقيقة أن القرآن، على العكس، قد شن عليهم حملة تفضح نفاقهم ومراوغتهم وعدم التزامهم بحرمة السبت، وكان ذلك منذ المرحلة المكية. أقول هذا حتى لا يسارع الكاتب إلى الزعم كالعادة بأن الرسول إنما فعل ذلك ردا على كفر اليهود برسالته. وها هى ذى النصوص المكية تقول ذلك بأجلى بيان: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا
وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ
أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً
إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ
الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الارْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
(١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الادْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ
مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ
الاخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ
كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ (١٧١)" (الأعراف)، "إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (النحل/ ١٢٤).

صحيح أنه عليه السلام حين اختار يوما أسبوعيا للمسلمين قد اختار الجمعة، لكن هذه مسألة أخرى.

كذلك لا داعى للرد على زعم الكاتب أن الرسول قد استلهم صلوات اليهود الثلاث عندما شرع الصلوات الخمس بعد أن أضاف إليها صلاتين أخريين أخذهما من الفارسيين. ذلك أننى لو مضيت أرد على كل زعم يزعمه دون أدنى دليل فلن أنتهى. ويبقى قوله إن اليهود يعظمون السبت لأنه اليوم الذى استراح الله فيه من خلق الكون. ولا تعليق لى على هذا الكلام الذى لا يليق به جل وعلا، والذى يقوله العهد القديم ذاته، ودعنا من أنه لم يكن هناك سبت ولا أحد، لأن الأفق الإلهى لا يخضع للتقويم الأرضى كما يفهم ذلك كل عاقل، فضلا عن أن الواحد من الأيام الستة التى خلق الله فيها الكون لا يقاس بالساعات، بل يستغرق أحقابا متطاولة.

ومن العجيب أن ينسب الكاتب ما يقوله كثير من المسلمين من أن الذبيح الذى أراد إبراهيم أن يذبحه هو ابنه إسماعيل لا إسحاق، إلى يهودى ماكر دخل فى الإسلام وأراد التزلف إلى رفاقه الجدد. إى والله هكذا يقول الكاتب، وكأن الأمر بحاجة إلى مكر وتزلف، وليس موجودا فى العهد القديم ذاته، الذى نطالع فيه ما يلى: "[1]وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». [2]فَقَالَ:

«خُذِ ٱبنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا،
وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». ٣فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ
صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ ٱثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ٱبْنَهُ،
وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ. ٤وَفِي
الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، ٥فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
لِغُلاَمَيْهِ: «اجْلِسَا أَنْتُمَا ههُنَا مَعَ الْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ
وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا». ٦فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى
إِسْحَاقَ ٱبْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. ٧وَكَلَّمَ
إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!». فَقَالَ: «هأَنَذَا يَا ٱبْنِي». فَقَالَ:
«هُوَذَا النَّارُ وَالْحَطَبُ، وَلكِنْ أَيْنَ الْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» ٨فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:
«اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ٱبْنِي». فَذَهَبَا كِلاَهُمَا مَعًا. ٩فَلَمَّا أَتَيَا
إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ لَهُ اللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ الْحَطَبَ
وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ٱبْنَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ. ١٠ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ
يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ٱبْنَهُ. ١١فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ:
«إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» ١٢فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ
وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ٱبْنَكَ
وَحِيدَكَ عَنِّي». ١٣فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي
الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ

أبنه. [١٤]فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى»". فها نحن أولاء نقرأ أن الابن الذى يأمره الله سبحانه بأخذه وذبحه هو "وحيده". وهذه الكلمة لا يمكن أن تنطبق على إسحاق لأن إسحاق حين وُلِد كان هناك قبله إسماعيل ببضعة عشر عاما فلم يكن "وحيد" أبيه فى أى يوم من الأيام، بخلاف إسماعيل، الذى كان "وحيد" أبيه طيلة هذه المدة. فهو إذن الوحيد الذى ينطبق عليه القول بأنه هو "الذبيح".

وبالنسبة إلى "النسخ" الذى يَعْزُوه كاتبنا إلى ما يقول إنه مخالفة النبى لبعض تشريعات التوراة، أى نسخ الإسلام لها، نقول إن الأناجيل قد ذكرت أن المسيح سبق إلى هذا عندما قال: قد سمعتم أنه قيل للقدماء كذا وكذا، لكنى أقول كيت وكيت. بمعنى أن التشريعات الفلانية التى ورد النّصّ عليها فى التوراة قد أتى هو صلى الله عليه وسلم فبدّلها إلى تشريعات أخرى. لكن الكاتب كدَيْدَنه يتجاهل مثل تلك الحقائق التاريخية ظنا منه أن باستطاعته النيل من الرسول محمد ودينه. وبعد المسيح نرى بولس يعمل نفس الشىء فيبدل بعض التشريعات بدوره.

كذلك يتجاهل الكاتب حقائق التاريخ كما تسجلها آيات القرآن فنراه يدعى أن الرسول بدأ رسالته بوصفه نبيا عربيا، ثم انتهى فى المدينة بإعلان نفسه نبيا عالميا. ووجه الضلال فى هذا أن الآيات المكية تنص

على عالمية الرسالة المحمدية منذ وقت بعيد كما سبق بيانه، ومن ثم فلا لزوم لإيراد تلك النصوص التى لا أظنه إلا يعلمها تمام العلم، لكنه يتجاهلها ظنا منه أن بمستطاعه التشويش على الحقائق التى لا تقبل الجدال. وبالمثل لا لزوم لإعادة الاستشهاد بالآيات التى تدل دلالة قاطعة على أن الإسلام لا يعرف الحرب من أجل فرض العقيدة على أحد، بل للرد فقط على من يعتدون على المسلمين وبلادهم. ذلك أنه قد سبق أيضا الاستشهاد بعدد من تلك الآيات آنفا. ومما يضحك الثكالى قول الكاتب إن صورة الصلاة بعدد ما فيها من ركوع وسجود لم تستقر على هذا الوضع الذى نعرفه إلا بعد زمن طويل من وفاة الرسول يبلغ قرنا كاملا. وهو ادعاء لا أصل له ولا فصل.

وهناك أيضا زعمه أن الفقه الإسلامى قد تاثر تأثرا كبيرا بالفقهين الرومانى واليهودى. وهذا بدوره كلام مرسل لا دليل، أىّ دليل، عليه. ومن المعيب أن يكون هذا هو المستوى العلمى لمقالة على هذا النحو من الأهمية فى موسوعة عالمية كان ينبغى أن تُسْنِد كتابة تلك المقالة لعالم يضن بالمنهجية العلمية أن تُنْتَهَك بهذا الشكل المزرى. ولقد تعرضتُ بالنقد المفصَّل لدعوى تأثر الفقه الإسلامى بفقه الرومان فى كتابى: "دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل واباطيل"، فيمكن أن يرجع إليه من يشاء للوقوف على ما قلته فى تلك القضية.

ورغم ذلك كله نرى المؤلف يبدى دهشته الشديدة (المبطنة بشعور الإعجاب، أو بالأحرى: بشعور الحسد) لما يراه بحق شيئا لا مثيل له فى التاريخ، ألا وهو هذا الانتشار البَرْقِىّ للإسلام حتى لقد غطى المساحة الممتدة من أقصى شرق آسيا إلى أقصى الشمال الغربى من أفريقيا، فضلا عن شبه جزيرة أيبريا فى أوربا وغيرها من البلاد، فى بضع عشرات من الأعوام. إلا أن القلب ينفطر حين يتطلع الإنسان منا حوله فيجد هذا الخمول الضارب بأطنابه فى العالم العربى والإسلامى، والذى أغرى وما زال يغرى كلاب الاستعمار بالوثوب على بلاد المسلمين واحتلالها كلما واتتهم الفرصة واستذلالهم وتكبيلهم بالقيود المُشِلَّة. لكن ماذا نقول، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس كما يقول القرآن الكريم؟ ومع ذلك فإن هذا القانون الإلهى لا يعطى للمسلمين الحق فى العذر لأنه إنما يعكس نتائج عملنا أو خمولنا، وجِدّنا أو هزلنا، ولا يُفْرَض فرضا من قِبَل السماء. هذا، ولا أدرى السر فى أن الكاتب حين أراد أن يعطينا إحصائية عن عدد المسلمين فى العالم عاد القهقرى إلى عام ١٨٩٧م حيث لم يكونوا أزيد عن ربع المليار إلا قليلا. ومعروف أنهم فى الوقت الحالىّ لا يقصّرون كثيرا عن المليارين كما تم توضيحه فى غير هذا الموضع من الكتاب الحالىّ.

ومرة أخرى يعود كاتبنا إلى الحديث عن العلاقة بين الإسلام واليهودية فيقول إن القرآن كثيرا ما يصب لعنته على اليهود . وسبب ذلك فى نظره هو رفضهم الانضواء تحت رايته. وهذا غير صحيح، فإن القرآن المكى، أى قبل أن يتصل بهم الرسول فى المدينة بعد هجرته إليها، لا يعطينا أبدا صورة مشرقة عنهم. ومعنى ذلك أن هذا هو رأى الإسلام فى اليهود على الدوام. إنه رأى مبدئى لا صلة بينه وبين الأحداث التى وقعت بين الطرفين فى المدينة. كما أن لعن القرآن لهم إنما سببه تطاولهم على الله سبحانه لا مجرد كفرهم به، كقولهم: "إن الله فقير ونحن أغنياء"، أو "يد الله مغلولة"، أو قولهم عن كفار قريش وما هم عليه من وثنية: "هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا" . وإذا كان الشيء بالشيء يُذْكَر فلم يحدث قط أن حَمِدَ شعب من الشعوب أمة اليهود بعدما بَلاَ أخلاقها وسلوكها وعقيدتها فى نفسها وفى الآخرين. ويكفى أنهم ينظرون إلى غيرهم نظرتهم إلى حيوانات لا قيمة لها ولا حق، وأنهم يعدون الله ربا خاصا بهم دون سواهم من العالمين.

ولماذا نذهب بعيدا، وها هو ذا العهد القديم يجلجل فى كثير من صفحاته تقريبا بلعن بنى إسرائيل وسبهم ووصفهم بأشنع الصفات؟ ترى أكان لمحمد عليه السلاوة والسلام دخل فى ذلك؟ أبدا، ذلك أن اللاعنين أو موصّلى اللعنة الإلهية إلى بنى إسرائيل إنما هم أنبياء بنى إسرائيل

أنفسهم وليس أى شخص آخر. ثم جاء عيسى عليه السلام، فلم يكن حظهم معه أفضل من حظهم مع من سبقه من أنبياء، فها هى ذى الأناجيل الأربعة تدمدم بكلمات الغضب النارى المنصب من فمه الطاهر الشريف صلى الله عليه وسلم على يوافيخهم الصلبة المتمردة؟ أولا يعرف الكاتب ذلك كله؟ بلى يعرف ذلك وأكثر من ذلك، إلا أنه يظن بنفسه الذكاء واللوذعية والمقدرة على خداع الناس، ولكن هيهات، فحقائق التاريخ والحياة لا يمكن التعفية عليها مهما تكلف فى ذلك المتكلفون!

وهذه هى بعض النصوص التى ترينا ماذا يقول الكتاب المقدس ذاته بعهديه القديم والجديد عنهم: "٩فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هكَذَا (أى كما أمره ربه لاستنقاذهم من استعباد فرعون)، وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى مِنْ صِغَرِ النَّفْسِ، وَمِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْقَاسِيَةِ" (خروج/ ٦)، "٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. ١٠فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا»" (خروج/ ٣٢)، "٥وَكَانَ الرَّبُّ قَدْ قَالَ لِمُوسَى: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. إِنْ صَعِدْتُ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي وَسَطِكُمْ أَفْنَيْتُكُمْ. . .»" (خروج/ ٣٣)، "٢٣فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَيْضًا رَأَيْتُ الْيَهُودَ الَّذِينَ سَاكَنُوا نِسَاءً أَشْدُودِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَمُوآبِيَّاتٍ. ٢٤وَنِصْفُ كَلاَمِ بَنِيهِمْ بِاللِّسَانِ الأَشْدُودِيِّ، وَلَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ التَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ الْيَهُودِيِّ، بَلْ بِلِسَانِ شَعْبٍ وَشَعْبٍ. ٢٥فَخَاصَمْتُهُمْ

وَلَعَنْتُهُمْ وَضَرَبْتُ مِنْهُمْ أُنَاسًا وَنَتَفْتُ شُعُورَهُمْ" (نحميا/ ١٣)، "١رُؤْيَا
إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُوصَ، الَّتِي رَآهَا عَلَى يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ، فِي أَيَّامِ عُزِّيَّا وَيُوثَامَ
وَآحَازَ وَحِزْقِيَّا مُلُوكِ يَهُوذَا: ٢اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ،
لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. ٣اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ
قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ».
٤وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ
مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى
وَرَاءٍ. . .»" (إشعيا/ ١)، "١« قَائِلاً: إِذَا طَلَّقَ رَجُلٌ امْرَأَتَهُ فَانْطَلَقَتْ مِنْ
عِنْدِهِ وَصَارَتْ لِرَجُل آخَرَ، فَهَلْ يَرْجعُ إِلَيْهَا بَعْدُ؟ أَلاَ تَتَنَجَّسُ تِلْكَ الأَرْضُ
نَجَاسَةً؟ أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ زَنَيْتِ بِأَصْحَابٍ كَثِيرِينَ! لكِنِ ارْجِعِي إِلَيَّ، يَقُولُ
الرَّبُّ. ٢اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ إِلَى الْهِضَابِ وَانْظُرِي، أَيْنَ لَمْ تُضَاجَعِي؟ فِي
الطُّرُقَاتِ جَلَسْتِ لَهُمْ كَأَعْرَابِيٍّ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَنَجَّسْتِ الأَرْضَ بِزِنَاكِ وَبِشَرِّكِ.
٣فَامْتَنَعَ الْغَيْثُ وَلَمْ يَكُنْ مَطَرٌ مُتَأَخِّرٌ. وَجَبْهَةُ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ كَانَتْ لَكِ. أَبَيْتِ
أَنْ تَخْجَلِي. ٤أَلَسْتِ مِنَ الآنَ تَدْعِينَنِي: يَا أَبِي، أَلِيفُ صِبَايَ أَنْتَ؟ ٥هَلْ
يَحْقِدُ إِلَى الدَّهْرِ، أَوْ يَحْفَظُ غَضَبَهُ إِلَى الأَبَدِ؟ هَا قَدْ تَكَلَّمْتِ وَعَمِلْتِ
شُرُورًا، وَاسْتَطَعْتِ!»" (إرميا/ ٣).

"١وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: ٢«يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ نَحْوَ
جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهَا ٣وَقُلْ: يَا جِبَالَ إِسْرَائِيلَ، اسْمَعِي كَلِمَةَ السَّيِّدِ

الرَّبّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِلْجِبَالِ وَلِلآكَامِ، لِلأَوْدِيَةِ وَلِلأَوْطِئَةِ: هأَنَذَا أَنَا جَالِبٌ عَلَيْكُمْ سَيْفًا، وَأُبِيدُ مُرْتَفَعَاتِكُمْ. ٤فَتَخْرَبُ مَذَابِحُكُمْ، وَتَتَكَسَّرُ شَمْسَاتُكُمْ، وَأَطْرَحُ قَتْلاَكُمْ قُدَّامَ أَصْنَامِكُمْ. ٥وَأَضَعُ جُثَثَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُدَّامَ أَصْنَامِهِمْ، وَأُذَرِّي عِظَامَكُمْ حَوْلَ مَذَابِحِكُمْ. ٦فِي كُلِّ مَسَاكِنِكُمْ تُقْفَرُ الْمُدُنُ، وَتَخْرَبُ الْمُرْتَفَعَاتُ، لِكَيْ تُقْفَرَ وَتَخْرَبَ مَذَابِحُكُمْ، وَتَنْكَسِرَ وَتَزُولَ أَصْنَامُكُمْ، وَتُقْطَعَ شَمْسَاتُكُمْ، وَتُمْحَى أَعْمَالُكُمْ، ٧وَتَسْقُطُ الْقَتْلَى فِي وَسْطِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. ٨«وَأُبْقِي بَقِيَّةً، إِذْ يَكُونُ لَكُمْ نَاجُونَ مِنَ السَّيْفِ بَيْنَ الأُمَمِ عِنْدَ تَذَرِّيكُمْ فِي الأَرَاضِي. ٩وَالنَّاجُونَ مِنْكُمْ يَذْكُرُونَنِي بَيْنَ الأُمَمِ الَّذِينَ يُسْبَوْنَ إِلَيْهِمْ، إِذَا كَسَرْتُ قَلْبَهُمُ الزَّانِيَ الَّذِي حَادَ عَنِّي، وَعُيُونَهُمُ الزَّانِيَةَ وَرَاءَ أَصْنَامِهِمْ، وَمَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ الشُّرُورِ الَّتِي فَعَلُوهَا فِي كُلِّ رَجَاسَاتِهِمْ، ١٠وَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، لَمْ أَقُلْ بَاطِلاً إِنِّي أَفْعَلُ بِهِمْ هذَا الشَّرَّ" (حزقيال/ ٦).

"١وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: ٢«يَا ابْنَ آدَمَ، عَرِّفْ أُورُشَلِيمَ بِرَجَاسَاتِهَا، ٣وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِيٌّ وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ. ٤أَمَّا مِيلاَدُكِ يَوْمَ وُلِدْتِ فَلَمْ تُقْطَعْ سُرَّتُكِ، وَلَمْ تُغْسَلِي بِالْمَاءِ لِلتَّنَظُّفِ، وَلَمْ تُمَلَّحِي تَمْلِيحًا، وَلَمْ تُقَمَّطِي تَقْمِيطًا. ٥لَمْ تَشْفُقْ عَلَيْكِ عَيْنٌ لِتَصْنَعَ لَكِ وَاحِدَةً مِنْ هذِهِ لِتَرِقَّ لَكِ، بَلْ طُرِحْتِ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ بِكَرَاهَةِ نَفْسِكِ يَوْمَ وُلِدْتِ. ٦فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ

مَدُوسَةً بِدَمِكِ، فَقُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِي، قُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِي.
٧ جَعَلْتُكِ رَبْوَةً كَنَبَاتِ الْحَقْلِ، فَرَبَوْتِ وَكَبُرْتِ، وَبَلَغْتِ زِينَةَ الأَزْيَانِ. نَهَدَ
ثَدْيَاكِ، وَنَبَتَ شَعْرُكِ وَقَدْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً. ٨ فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ،
وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ
لَكِ، وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. ٩ فَحَمَّمْتُكِ
بِالْمَاءِ، وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ، وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ، ١٠ وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً،
وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ، وَكَسَوْتُكِ بَزًّا، ١١ وَحَلَّيْتُكِ بِالْحُلِيِّ،
فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِي يَدَيْكِ وَطَوْقًا فِي عُنُقِكِ. ١٢ وَوَضَعْتُ خِزَامَةً فِي
أَنْفِكِ وَأَقْرَاطًا فِي أُذُنَيْكِ وَتَاجَ جَمَالٍ عَلَى رَأْسِكِ. ١٣ فَتَحَلَّيْتِ بِالذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ، وَلِبَاسُكِ الْكَتَّانُ وَالْبَزُّ وَالْمُطَرَّزُ. وَأَكَلْتِ السَّمِيذَ وَالْعَسَلَ وَالزَّيْتَ،
وَجَمُلْتِ جِدًّا جِدًّا، فَصَلُحْتِ لِمَمْلَكَةٍ. ١٤ وَخَرَجَ لَكِ اسْمٌ فِي الأُمَمِ
لِجَمَالِكِ، لأَنَّهُ كَانَ كَامِلاً بِبَهَائِي الَّذِي جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.
١٥ «فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ، وَزَنَيْتِ عَلَى اسْمِكِ، وَسَكَبْتِ زِنَاكِ عَلَى كُلِّ
عَابِرٍ فَكَانَ لَهُ. ١٦ وَأَخَذْتِ مِنْ ثِيَابِكِ وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ مُرْتَفَعَاتٍ مُوَشَّاةٍ،
وَزَنَيْتِ عَلَيْهَا. أَمْرٌ لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَكُنْ. ١٧ وَأَخَذْتِ أَمْتِعَةَ زِينَتِكِ مِنْ ذَهَبِي
وَمِنْ فِضَّتِي الَّتِي أَعْطَيْتُكِ، وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ صُوَرَ ذُكُورٍ وَزَنَيْتِ بِهَا.
١٨ وَأَخَذْتِ ثِيَابَكِ الْمُطَرَّزَةَ وَغَطَّيْتِهَا بِهَا، وَوَضَعْتِ أَمَامَهَا زَيْتِي وَبَخُورِي.
١٩ وَخُبْزِي الَّذِي أَعْطَيْتُكِ، السَّمِيذَ وَالزَّيْتَ وَالْعَسَلَ الَّذِي أَطْعَمْتُكِ،

وَضَعْتِهَا أَمَامَهَا رَائِحَةَ سُرُورٍ. وَهكَذَا كَانَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.
٢٠«أَخَذْتِ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ الَّذِينَ وَلَدْتِهِمْ لِي، وَذَبَحْتِهِمْ لَهَا طَعَامًا. أَهُوَ قَلِيلٌ
مِنْ زِنَاكِ ٢١أَنَّكِ ذَبَحْتِ بَنِيَّ وَجَعَلْتِهِمْ يَجُوزُونَ فِي النَّارِ لَهَا؟ ٢٢وَفِي كُلِّ
رَجَاسَاتِكِ وَزِنَاكِ لَمْ تَذْكُرِي أَيَّامَ صِبَاكِ، إِذْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً وَكُنْتِ
مَدُوسَةً بِدَمِكِ. ٢٣وَكَانَ بَعْدَ كُلِّ شَرِّكِ. وَيْلٌ، وَيْلٌ لَكِ! يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ،
٢٤أَنَّكِ بَنَيْتِ لِنَفْسِكِ قُبَّةً وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ مُرْتَفَعَةً فِي كُلِّ شَارِعٍ. ٢٥فِي
رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ بَنَيْتِ مُرْتَفَعَكِ وَرَجَّسْتِ جَمَالَكِ، وَفَرَّجْتِ رِجْلَيْكِ لِكُلِّ
عَابِرٍ وَأَكْثَرْتِ زِنَاكِ. ٢٦وَزَنَيْتِ مَعَ جِيرَانِكِ بَنِي مِصْرَ الْغِلاَظِ اللَّحْمِ، وَزِدْتِ
فِي زِنَاكِ لإِغَاظَتِي" (حزقيال/ ١٦).

"٧فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ،
قَالَ لَهُمْ: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟
٨فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ٩وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا
إِبْرَاهِيمُ أَبًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَدًا
لإِبْرَاهِيمَ. ١٠وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ
تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ. ١١أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ
الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ
سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. ١٢الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ،
وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى الْمَخْزَنِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»" (متى/ ٣).

"١٣«لكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ
مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ
يَدْخُلُونَ. ١٤وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ
الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. ١٥وَيْلٌ لَكُمْ
أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا
دَخِيلاً وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا.
١٦وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ،
وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. ١٧أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ:
أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟ ١٨وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ
بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ. ١٩أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ!
أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ؟ ٢٠فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ
بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ! ٢١وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ
بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ، ٢٢وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللهِ وَبِالْجَالِسِ
عَلَيْهِ. ٢٣وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ
وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ
يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. ٢٤أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ
عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ. ٢٥وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!
لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا

وَدَعَارَةً. ٢٦أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ
يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا. ٢٧وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!
لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ
مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. ٢٨هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ
لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا. ٢٩وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا
الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ
الصِّدِّيقِينَ، ٣٠وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ.
٣١فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. ٣٢فَامْلأُوا أَنْتُمْ
مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. ٣٣أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ
جَهَنَّمَ؟ ٣٤لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ
وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ،
٣٥لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ
إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. ٣٦اَلْحَقَّ أَقُولُ
لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ! ٣٧«يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا
قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا
تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! ٣٨هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ
لَكُمْ خَرَابًا. ٣٩لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ

الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»" (متى/ ٢٣) . وأحسب القارئ قد استبان له الآن تماما مقدار ما فى كلام الكاتب من أباطيل.

وهذا يجرنا إلى ما عرفه الفكر السياسى باسم "المسألة اليهودية: The Jewish Question, La Question Juive"، تلك المسألة التى يعرّفها د. عبد الوهاب المسيرى فى "الموسوعة اليهودية" بقوله: "المسألة اليهودية مصطلح يتواتر في الكتابات الصهيونية وفي غيرها بصيغة المفرد، وهو مصطلح يفترض أن ثمة مشاكل محدَّدة ثابتة لا تختلف تقريبا باختلاف الزمان والمكان يواجهها اليهود وحدهم ولا يواجهها غيرهم من أعضاء الجماعات أو الأقليات الدينية أو الإثنية. ولذا تتم الإشارة إليها بعبارة "المسألة اليهودية" (الواحدة) لا "المسائل اليهودية" (المتنوعة بتنوع تجارب أعضاء الجماعات اليهودية عبر الزمان والمكان) . وحَلُّ هذه المسألة يكون عن طريق التخلص من اليهود: إما عن طريق تهجيرهم إلى وطنهم القومي اليهودي، وهذا هو (الحل الصهيوني)، أو عن طريق طردهم (الحل المعادي لليهود)، أو إبادتهم (الحل النازى)" .

صحيح أن د. المسيرى سرعان ما يضيف بعد قليل قوله: "لكل هذا يكون مصطلح "المسألة اليهودية" الذي يَفترض أن هناك مسألة يهودية واحدة، عالمية وعامة، مصطلحا منافيا تماما للحقائق المتعيِّنة للتاريخ، ومن ثم فإن قيمته التصنيفية والتفسيرية ضعيفة إلى أقصى حد . ومن

الأفضل استخدام صيغة الجمع والتحدث عن "مسائل يهودية" . وحين يُسْتَخْدَم المصطلح في صيغة المفرد فإنه يشير، في واقع الأمر، إلى المشاكل التي واجهها أعضاء الجماعات اليهودية (في القرن التاسع عشر) في أوربا، وبخاصة في شرقها، وبذلك تُستبعَد الجماعات اليهودية الأخرى كافة. وهذا التحديد الزماني المكاني يعطي المصطلح مضمونا حقيقيا ودلالة ومقدرة تفسيرية وتصنيفية عالية" . إلا أن هذا لا ينفى رغم ذلك أن تكون هناك مسألة يهودية واحدة عامة تصدق على اليهود أينما ومتى وُجِد اليهود، إذ هى ذات صلة فى المقام الأول بنفسيتهم الملتوية الشاذة أيا ما كانت الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة التى تحيط بهم. فهم دائما ما يثيرون القلاقل والفتن ويتلذذون بشقاء الآخرين متصورين أنهم شعب الله المختار مهما ارتكبوا من كفر وعصيان، وأن الله إلههم هم وحدهم، وأن بقية البشر حيوانات أوأقل من الحيوانات. وهم سريعو الخنوع إذا ما وجدوا ضعفا فى أنفسهم، لكنهم سرعان ما يتحولون وحوشا مفترسة حالما يأنسون من أنفسهم قوة وبأسا، وهما قوة وبأس مستعاران عادة، إن لم نقل: دائما . وهم لا يتعلمون الدرس أبدا، ولهذا يحيق بهم النكال كل حين من الدهر منذ أن كان لهم كيان فى التاريخ حتى وقت قريب، إذ لا يمكن لمن كان فى مثل ظروفهم وقلة عددهم وكراهيتهم للبشر وكراهية البشر من ثَمَّ لهم أن يحوز لفترة طويلة ود الآخرين، فضلا عن

إمكان حيازته أسباب الانتصار عليهم. وإذا كانوا الآن فى أوج قوتهم وبطشهم فلسوف يتغير الميزان آجلا أو عاجلا وتعود الأمور إلى ما كانت طول الدهر عليه فينتقم المظلومون من ظالميهم الجبناء الذين ينتفشون كلما شاموا من حولهم معونة وتعضيدا، ناسين أن ذلك كله إلى زوال وأن تصرفاتهم وأفكارهم البشعة التى تستفز الحقد فى النفوس لن تتأخر طويلا فى إعطاء ثمرتها السامة.

وقد يدلّ على صدق ما نشير إليه ذلك المقال الذى ترجمه ونشره "المركز الدولى لدراسات أمريكا والغرب" (ICAWS) بتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤٣٠هـ، وأعاد عدد من الجرائد العربية والمواقع المشباكية نشره، وهو بقلم دانيال شوفنتال، وهذا نصه: "اليهود في غرب أوروبا أصبحوا يتعرضون للمزيد من الهجمات بعد أن بدأت إسرائيل في شن هجومها العسكري على قطاع غزة المحاصَر الذي يعيش سكانه البؤس والشقاء. تركزت هذه الهجمات على المعابد اليهودية في بريطانيا وبلجيكا وألمانيا. وقد اعتقلت الشرطة البلجيكية عددا من المتظاهرين الذين أرادوا دخول الحي اليهودي في مدينة أنتويرب. وقد اعتذرت بعض المدارس الدنماركية عن تسجيل طلاب يهود قائلة إنها لا تضمن سلامتهم. وفي فرنسا هاجمت مجموعة من المراهقين فتاة يهودية تبلغ من العمر ١٥ عاما وأشبعوها ركلا ووصفوها بأنها «يهودية قذرة». وقد ارتفعت هتافات غير مألوفة في

ألمانيا وهولندا مثل «حماس، حماس. وليذهب اليهود إلى أفران الغاز». وفي أمستردام شارك عضوان في البرلمان الهولندي منهما زوجة أول رئيس للبيت المركزي الأوروبي في تظاهرة كانت تهتف باسم الانتفاضة الفلسطينية و«لفلسطين الحرة». وتعد هذه التظاهرة هادئة إذا ما قورنت بتظاهرات أخرى ارتفعت فيها هتافات تدعو إلى محرقة يهودية جديدة.

العداء لليهود في أوروبا بدأ يلفت الأنظار حيث أعدت محطة «سي. إن. إن» تقريرا حول تنامي هذه الظاهرة في أوروبا وفي الدول العربية والإسلامية. فرنسا أيضا لم تنج من هذه الظاهرة حيث شهدت مدينة تولوز حرق سيارة أمام معبد يهودي مما دعا الرئيس الفرنسي لإصدار بيان تطرق فيه للأوضاع المأساوية القائمة في قطاع غزة. وقد استنكر ساركوزي «الإرهاب» الذي تمارسه حماس والاستخدام المفرط للقوة الذي تقوم به إسرائيل ضد سكان القطاع. وأشار الرئيس الفرنسي إلى أن العنف في فرنسا ليس سببه المسلمون فقط بل اليهود أيضا. من بيان ساركوزي يمكن الاستنتاج أن ينسب تنامي المشاعر المقاومة للسامية في أوروبا إلى الصراع الدائر في الشرق الأوسط. وتفجرت مشاعر الكراهية لليهود في الشرق الأوسط مع قيام دولة إسرائيل وما صاحبه من تشريد وطرد للسكان الفلسطينيين.

مع تنامي الوعي الإسلامي ظهر إلى الوجود الكثير من المنظمات والحركات الإسلامية مثل حماس وحزب الله، وغيرهما الكثير. وهي حركات تستخدم الخطاب الديني ولا تخفي كراهيتها لإسرائيل على اعتبار أنها قامت على وطن لشعب عربي مسلم. الثورة الإعلامية ساهمت بدورها في توصيل الآراء المتعارفة إلى عامة الشعب الفلسطيني الذين يعانون بدورهم مشاكل حياتية لا عد لها من غلاء للمعيشة وبطالة وتضييق على الحريات المدنية. أصبح البث التليفزيوني ذو الخطاب الإسلامي يصل إلى كافة أرجاء المعمورة. وقد ردت بعض الدول الأوروبية بمنع بث قنوات مثل «المنار» التابعة لحزب الله وتلك التابعة لحماس على اعتبار أنها تعمل على بث المشاعر المعادية لليهود. ولا يزال باستطاعة المشاهدين العرب والمسلمين متابعة برامج هذه القنوات التي تبث عبر أقمار صناعية لا يسيطر عليها الأوروبيون. أوردت دراسة نشرها معهد «بيو» في سبتمبر الماضي مجموعة مذهلة من الحقائق التي لم تكن معروفة للكثيرين، فحوالي ٢٥٪ من الألمان و٢٠٪ من الفرنسيين يكنون مشاعر الكراهية لليهود. أما في إسبانيا فإن هذه النسبة تصل الى ٤٦٪.

وهناك جماعات يهودية تتهم الإعلام الإسباني الخاص والحكومي على حد سواء بالعداء لليهود. وكانت إسبانيا قد شهدت أكبر تظاهرة في أوروبا الأسبوع الماضي للاحتجاج على الهجمات الاسرائيلية على غزة،

وشارك فيها ما يزيد على ١٠٠ ألف متظاهر. ومع استمرار حرب غزة وما يصاحبها من طوفان من المناظر المؤلمة لمعاناة المدنيين استمرت المشاعر المقاومة لإسرائيل واليهود في التنامي. وسيواجه اليهود في أوروبا أوقاتا صعبة في المستقبل القريب. فهل تتعظ إسرائيل؟".

على أن كاتب الموسوعة اليهودية، بدلا من الإقرار بأن مسؤولية الكراهية التى يلقاها اليهود من المسلمين، مثلما يَلْقَوْنها من كل الشعوب فى كل زمان ومكان، إنما ترجع إليهم، يزعم أن المسلمين إنما يبغضون اليهود على الدوام دون أى سبب من جانبهم وأنهم مأمورون بنص القرآن ألا يوالوهم أبدا. وهو بهذا يتجاهل السياق الذى نزل فيه مثل ذلك النهى. ولو قرأنا الآيات التالية لاتضح لنا السر فى ذلك: "لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)" (آل عمران)، "وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ

الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)" (آل عمران)، "مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ

أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٤٩) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)" (النساء)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا

يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ
ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ
وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
(٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ
عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ
يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ
يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ
الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)
وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)" (المائدة)، "وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)" (الأحزاب) . وهو، كما نرى معا، سياق تآمرٍ وتطاولٍ على الرسول والمسلمين وتمادٍ فى الغىّ من جانب اليهود، الذين لا يعرفون شيئًا اسمه الارعواء أبدا . فكان لا بد أن يحذّر القرآن المسلمين من خطرهم ويلحّ على تجنب مودتهم. وليس فى هذا أدنى افتئات عليهم، وإلا فهل كان مطلوبا من القرآن أن يزين للمسلمين إهمال هذا الخطر الداهم الذى يريد اقتلاعهم هم ودينهم من الحياة؟

إذن فقول الكاتب إن محمدا قد أظهر بعض الليونة تجاه اليهود وأهل الكتاب عموما مقابل دفعهم الجزية هو كلامٌ ملتوٍ صوابه أنه عليه الصلاة والسلام قد بدأ بمعاملة اليهود معاملة راقية تقوم على تسويتهم بالمسلمين تمام التسوية ودون أن يكلفهم شيئًا البتة على ما هو واضح من بنود الصحيفة التى كتبها بين الفريقين غداة هجرته إلى يثرب. إلا أنهم، كعادتهم دائما فى مقابلة الخير بالشر، والجميل بالقبيح، قد شرعوا يتآمرون عليه وعلى دينه وأتباعه منذ اللحظة الأولى، فأعطاهم صلى الله عليه وسلم الفرصة تلو الفرصة دون أن يؤاخذهم على غدرهم المؤاخذة

الحاسمة المطلوبة، إلى أن زادت الأمور عن حدها ولم يعد فى قوس الصبر منزع، فكان لا بد من آخر العلاج، وهو البتر، حتى تستقيم الأمور، بعد أن اتضح أن القوم ليس لهم صلاح ولا لمرضهم النفسى والأخلاقى شفاء، وأن المشكلة تكمن فى شخصيتهم ذاتها، تلك الشخصية التى لا تنطوى على خير لأحد . واضح إذن أن الكاتب لا يريد أن يبصر الحقائق ويُؤْثِر أن يظل مغلقا عينيه. وهو فى هذا حر، إلا أننا أيضا أحرار كما هو حر، وملزمون بكشف الزيف الذى يريد تسويقه لقراء مقاله ووضع النقاط على الحروف حتى تستقيم الأمور .

أما إشارته إلى الصَّغَار الذى ينبغى أن يذيقه المسلمون أهل الكتاب لَدُنْ أخذهم الجزية منهم والذى نصت عليه الآية التاسعة والعشرون من سورة "التوبة" فهو غير عام، ولا يُقْصَد به إلا من كانوا يريدون بالمسلمين شرا وأمكن الله منهم، وإلا فماذا يريد الكاتب من المسلمين؟ أيريد منهم أن يصفقوا لمن يعمل على تدمير كيانهم السياسى ويقضى على دينهم؟ وهذا هو نص الآية: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" . والمقصود هنا هم الروم، الذين جيشوا على حدود العرب جيشا جرارا يريدون به

غزوهم والقضاء على دولتهم ودينهم، فأمر الله المسلمين بتأديبهم وعقابهم بالجزية والصَّغار، وهو أقل شيء يمكن عمله فى هذه الحالة.

وكيلا يستغرب مراميَ كلامى من لا يعرف الحقيقة أُحيله على ما جاء فى العهد القديم من التشريع الواجب على اليهود اتباعه فى الحرب مع الأمم المجاورة. ألا وهو الاستئصال التام لكل إنسان دون أى استثناء، ودون أية شفقة لشيخ أو امرأة أو طفل حتى لو كان طفلا رضيعا. هذه هى الحقيقة التى يتكتمها الكاتب ثم ينخرط فى فواصل متتالية من النصح والإرشاد لنا نحن المسلمين، مع أننا كنا ولا نزال أرحم مَنْ عامَل اليهود وأعطاهم الفرصة للعيش الآمن الكريم بين أَظْهُرنا رغم ماضيهم الغادر فى التعامل معنا منذ أيام النبى عليه السلام.

وهذا هو نص التشريع اليهودى فى الحروب، وما يهمنا منه هو ما يخص حروب اليهود مع الأمم المجاورة لهم لأننا من هذه الأمم بطبيعة الحال. وهو موجود فى الإصحاح العشرين من سفر "التثنية": "١٠«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، ١١فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ١٢وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ١٣وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا

لِنفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. [١٥]هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. [١٦]وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، [١٧]بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ". و"التحريم" هنا معناه الإبادة والاستئصال.

وفى تناول الكاتب لموضوع الكتابات الإسلامية الجدلية ضد اليهود حسب قوله نراه يشير أول ما يشير إلى ما جاء فى القرآن من أن بعض اليهود يقولون بأن عُزَيْرًا ابن الله، نافيا أن يكون الأمر كذلك، ومؤكدا أنهم إنما كانوا يبجّلونه ليس إلا. يريد أن يقول إن الرسول قد أخطأ فنسب إلى اليهود ما لم يقولوه. وإلى القارئ أولا ما قاله القرآن المجيد فى هذا الموضوع: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (التوبة/ ٣٠). ويُفهَم من النص أن من يهود المدينة من كان يقول ذلك عن عُزَيْر. ولو كان ما يقوله القرآن خطأً لسمعنا اليهود يردون عليه ويخطِّئونه ويسخرون منه ومن النبى الذى أتى به، وهم الذين كانوا يسخرون ويتهكمون من الإسلام والمسلمين بالباطل لا يكفون عن ذلك أبدا. فلماذا سكتوا هنا إذا لم يكونوا فعلا يؤلهون عزيرا مع أن السكوت

يثبت التهمة عليهم؟ إنهم لم يكونوا ليفلتوا هذه الفرصة لفضح النبى وكسره كسرة لا تقوم له قائمة بعدها لو كان ما قاله القرآن غير صحيح. وفى بعض الروايات أن ابن عباس باحث فى هذه المسألة ذات يوم عبد الله بن سلام، وهو صحابى يهودى الأصل، فأجابه ابن سلام بما كان من كتابة عزير التوراة من ذاكرته وقول بنى إسرائيل حينئذ: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا فى كتاب، أما عُزَيْر فقد جاء بها من غير كتاب. فغَلَتْ فيه طوائف منهم وقالوا إنه ابن الله. كذلك ذكر الجاحظ، فى "رسالة الرد على النصارى"، أنه كان فى عصره بقايا فى الشام واليمن وبعض بلاد الروم من اليهود القائلين ببنوة عزير لله. ثم هناك المناظرة التى انعقدت بين الفخر الرازى وأحد القساوسة الذى أقر بأن هناك فعلا يهودا يؤمنون بذلك، إلا أنه اعترض على ما ظنه تعميما من القرآن لهذا على اليهود جميعا، فبين له الرازى أن التعميم ليس بلازم. وما قاله الرازى صحيح، إذ قد يُطْلَق الكل ويُرَاد به الجزء فقط لغرض من الأغراض البلاغية كما هو معروف. ويجد القارئ هذا الكلام فى كتاب الرازى: "مناظرة فى الرد على النصارى". وفى "تفسير عثمانى" (باللغة الأوردية) للشيخ شبير أحمد عثمانى أن عالما هنديا هو الحاج أمير شاه خان لقى فى سفرته إلى فلسطين قبل بضعة عقود يهودا من "العُزَيْرِيّين" لا يزالون يعتقدون أن عزيرا ابن الله. وبالمثل أشار د. عبد المنعم الحفنى فى "الموسوعة النقدية

للفلسفة اليهودية" إلى جماعة من اليهود يزعمون أن عزيرا ابن الله. نخرج من هذا كله بأن الكاتب إنما يريد تخطئة القرآن بأى طريق ! وقد سبق أن عالجت هذه القضية بتفصيل أكثر فى كتابى: "مع الجاحظ فى رسالة الرد على النصارى" فى الفصل الموسوم بـ"عُزَيْر".

ثم يعود الكاتب إلى ما سبق أن تحدث عنه من أن المسلمين يقولون إن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، ولكنْ فى سياقٍ آخَرَ هو رده على اتهامهم لليهود بتحريف التوراة. وقد مَرَّ قبل قليل أن العهد القديم فى هذه النقطة، كما فى كثير غيرها، يرد على نفسه بنفسه ولا يحتاج إلى قول من المسلمين. وعلى كل حال هل يعقل مثلا أن يقول الله سبحانه وتعالى عن نفسه إنه استراح من عمله بعد أن خلق السماوات والأرض، وكأنه يجوز عليه التعب والإرهاق ويحتاج إلى التقاط أنفاسه وتجديد حيويته حسبما جاء فى الإصحاح الأول من سِفْر "التكوين"؟ أم هل يعقل أن يقول إن له أبناء مثلما للناس بنات، وإن أبناءه قد ذهبوا إلى بنات الناس واتخذوهن زوجات لهم كما جاء فى الإصحاح السادس من ذات السِّفْر: "١وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا "؟ أم هل يعقل أن يكون سِفْر "الخروج"، وهو عن موسى وبنى إسرائيل، قد كتبه ذلك النبى عليه السلام، على حين أن الضمير المستخدم فى السِّفْر كله من أوله إلى

آخره هو ضمير الغائب، فى الوقت الذى نجد السفر كثيرا ما يحكى أشياء وقعت قبل مجىء موسى إلى العالم وأشياء أخرى وقعت فى غيابه حينما كان فوق الجبل لميقات ربه مثلا، وأنه ينتهى بحكاية موت موسى ودفنه فى الموضع الذى دُفِن فيه؟ ترى هل يمكن أن أقص أنا مثلا خبر موتى ودفنى؟ كذلك هل يعقل أن يخطئ الوحى الإلهى فيقول إن أم موسى وضعته وهو رضيع فى سَفَطٍ كانت قد طَلّته بالحُمَر والزفت ثم أعطته إلى أخته، وإن تلك الأخت قد حملته طوال الطريق حتى بلغت قبالة قصر فرعون فوضعته بين الحلفاء هناك على شاطئ النهر؟ فلم إذن طلت أم موسى السَّفَط بالحُمَر والزفت إذا لم تكن النية متجهة إلى وضع السَّفَط فى النهر كما يقول القرآن المجيد؟ ولكيلا ينبرى أحد فيزعم أن النية قد تكون شيئا ثم تأتى الأحداث فتفرض شيئا آخر أقول إن ابنة فرعون، التى يذكر كاتب السِّفْر أنها هى التى التقطت السَّفَط من بين الحلفاء، قالت إنها انتشلته من الماء. ترى كيف تكون انتشلته من الماء فى الوقت الذى يقول الكاتب إنها وجدته بين نبات الحلفاء حيث وضعته أخته؟ وبالمثل كيف يمكن أن نصدق ما عزاه كاتب السفر إلى هارون، وهو الرسول الكريم، من صنع العجل لبنى إسرائيل وبناء مذبح له كى يعبدوه من دون الله ويرقصوا حوله عرايا كما ولدتهم أمهاتهم؟ هل يمكن أن يكون هذا الكلام وحيا إلهيا؟ أم هل يمكن أن يقع الوحى السماوى فى غلطة مضحكة كتلك التى

يقول فيها كاتب سفر "أخبار الأيام الثانى" (فى نهاية الإصحاح الحادى والعشرين وأول الثانى والعشرين) إن الملك يهورام كان أصغر من ابنه الأصغر أخزيا بعامين؟ فبكم من الأعوام يا ترى كان يصغر جلالته ابنه الأكبر إذن؟

أم كيف لنا أن نصدّق أن سفر "نشيد الإنشاد"، وكله فى الغزل الشهوانى العنيف، هو وحى سماوى نزل على سيدنا سليمان عليه السلام؟ وإلى القارئ بعضا مما يحتويه هذا السفر من غزل: "١نَشِيدُ الأَنْشَادِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ: ٢لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكِ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. ٣لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. ٤اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ. . . ١٢مَا دَامَ الْمَلِكُ فِي مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِي رَائِحَتَهُ. ١٣صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ. . . ١١اُخْرُجْنَ يَا بَنَاتِ صِهْيَوْنَ، وَانْظُرْنَ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ بِالتَّاجِ الَّذِي تَوَّجَتْهُ بِهِ أُمُّهُ فِي يَوْمِ عُرْسِهِ، وَفِي يَوْمِ فَرَحِ قَلْبِهِ. . . ١هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ. ٢أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الْجَزَائِزِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ، اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ. ٣شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُكِ حُلْوٌ. خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِيِّ لِلأَسْلِحَةِ.

أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِّقَ عَلَيْهِ، كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ. ٥ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْ ظَبْيَةٍ، تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ. ٦إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ، أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ وَإِلَى تَلِّ اللُّبَانِ. ٧كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ. . .
١مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلْيِ، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. ٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ٣ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ. ٥رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ. ٦مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ! ٧قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ. ٨قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، ٩وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ. لِحَبِيبِي السَّائِغَةُ الْمُرَقْرِقَةُ السَّائِحَةُ عَلَى شِفَاهِ النَّائِمِينَ. ١٠أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ. ١١تَعَالَ يَا حَبِيبِي لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ، وَلْنَبِتْ فِي الْقُرَى. ١٢لِنُبَكِّرَنَّ إِلَى الْكُرُومِ، لِنَنْظُرَ: هَلْ أَزْهَرَ الْكَرْمُ؟ هَلْ تَفَتَّحَ الْقُعَالُ؟ هَلْ نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟ هُنَالِكَ أُعْطِيكَ حُبِّي. ١٣اَللُّفَّاحُ يَفُوحُ رَائِحَةً، وَعِنْدَ أَبْوَابِنَا كُلُّ النَّفَائِسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ، ذَخَرْتُهَا لَكَ يَا حَبِيبِي". والعجيب أن الكاتب بعد ذلك كله، وما ذلك كله إلا غَيْضٌ من فَيْض، يتهم القرآن بأنه أخطأ فى اتهام اليهود بتحريف كتابهم!

ويتعلق بهذا إشارته إلى ما يقوله علماء المسلمين من أن فى العهد القديم نبوءات خاصة بنبوة محمد عليه السلام وتأكيده أن علماء اليهود قد فنّدوا هذا الادعاء مبينين أنه لا صلة بين نصوص العهد القديم المرادة وبين نبوة محمد . ولكن ماذا يقول عن الأحبار والرهبان والقساوسة من كل بلاد العالم الذين قالوا ما يقوله علماء المسلمين فى تفسير هذه النصوص، ثم زادوا على ذلك أنْ تصرفوا التصرف المنطقى فى هذه الحالة، وهو الدخول فى الإسلام؟ وقائمة أولئك الناس جِدُّ طويلةٍ، وكثير من أسمائها أوروبى وأمريكى. وأولهم عبد الله بن سلام، الحبر الذى أسلم فى حياة النبى فى قصة شائقة عجيبة تدلك على خلائق اليهود وما هم عليه من عناد وتصلب رقاب ونفاق، وأصبح بعدها واحدا من كبار الصحابة. وما زال العدّاد مستمرا لا يتوقف، ولن يتوقف بمشيئة الله. وقد أورد الكاتب اسم واحد من هذه الأسماء هو السَّمَوْأَل بن يحيى المغربى (الحبر اليهودى السابق شموائيل بن يهوذا بن آبوان، الذى سماه كاتبنا بـ"المرتدّ")، وكان متضلعا من اللغة العبرية والتاريخ والطب، فضلا عن علوم الرياضيات، التى ترك فيها مؤلفات بلغت القمة فى أهميتها . . .إلخ. ولم يكتف السموأل باعتناق الإسلام، بل كتب يفضح ويفنِّد الأخطاء الموجودة فى ديانته الأولى، مشيرا إلى مواضع العبث والتحريف فى العهد القديم. وهذا موجود فى كتابه: "إفحام اليهود" . ومِثْلُ السموأل من علماء يهود القدامى

فى ترك اليهودية واعتناق دين محمد عليه الصلاة والسلام: هبة الله علي بن الحسين بن ملكا، وسعيد بن الحسن الإسكندراني (في القرنين السابع والثامن الهجريين) . وفى الختام أجد لزاما علىّ أن أشير إلى وقوف كاتبنا بعض الوقت أمام اسم رائد الدراسات الدينية المقارنة الإمام العظيم ابن حزم وتراثه الذى خلّفه لنا فى تبيين ما يعجّ به الكتاب المقدس من أخطاء وتناقضات، وعلى رأسه "الفِصَل فى المِلَل والأهواء والنِّحَل" . والحق أن ابن حزم عقلية جبارة وعبقرية شاهقة ليس من السهل العثور على مثيل لها . وإنى لأهتبل هذه السانحة فأدعو الله أن يسكنه عُلْيَا الفراديس وأن يُغْدِق عليه شآبيب كرمه العميم.

ومما تناوله الكاتب فى هذا السياق أيضا الاتهام الذى وجهه علماء المسلمين إلى اليهودية بأنها تجسد الله وتشبّهه من ثم بالبشر . وأنا لن أصنع شيئًا هنا سوى إيراد بعض النصوص التى تُجَسِّد الله فعلا، حاصرا نفسى فى السِّفْر الأول فقط من العهد القديم. وعلى القارئ أن يقيس ما لم نتطرق إليه على ما تطرقنا: "١فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا . ٢وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. ٣وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا" (تكوين/ ١)، "٨وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ،

فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩فَنَادَى
الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَينَ أَنتَ؟». ١٠فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي
الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ»" (تكوين/ ٣)، "١وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ
النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ
النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. ٣فَقَالَ
الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ
أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». ٤كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ
ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ
الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ" (تكوين/ ٦)، "٥وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ
الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ
يَوْمٍ. ٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ"
(تكوين/ ٦)، "٦وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ
مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. ٧وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ:
«لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ"
(تكوين/ ١٢)، "١وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ
وَقَالَ لَهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، ٢فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي
وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا». ٣فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ
قَائِلاً: . . . ٢٢فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ صَعِدَ اللهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ" (تكوين/

١٧)، "[١]وظَهَرَ لهُ الرَّبُّ عِنْدَ بلُوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، [٢]فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، [٣]وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. [٤]لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، [٥]فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». [٦]فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاثِ كَيْلاتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». [٧]ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلامِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. [٨]ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا . . . [٢٢]وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ. . . [٣٣]وَذَهَبَ الرَّبُّ عِنْدَمَا فَرَغَ مِنَ الْكَلامِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَانِهِ" (تكوين/ ١٨)، "[٢٢]ثُمَّ قَامَ (أي يعقوب بن إسحاق) فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلادَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. [٢٣]أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. [٢٤]فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. [٢٥]وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. [٢٦]وَقَالَ:

«أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي».
٢٧فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». ٢٨فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ
فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ».
٢٩وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ
اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. ٣٠فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً:
«لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». ٣١وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ
عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ. ٣٢لِذلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا
الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخْذِ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى
عِرْقِ النَّسَا" (تكوين/ ٣٢)، "٩وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ
أَرَامَ وَبَارَكَهُ. ١٠وَقَالَ لَهُ اللهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ
يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ». فَدَعَا اسْمَهُ «إِسْرَائِيلَ». ١١وَقَالَ لَهُ
اللهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ
سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. ١٢وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ
أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ». ١٣ثُمَّ صَعِدَ اللهُ عَنْهُ فِي
الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ. ١٤فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُودًا فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ
تَكَلَّمَ مَعَهُ، عَمُودًا مِنْ حَجَرٍ، وَسَكَبَ عَلَيْهِ سَكِيبًا، وَصَبَّ عَلَيْهِ زَيْتًا.
١٥وَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ «بَيْتَ إِيلَ»" (تكوين/
٣٥)، "٣وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: «اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي

لُوزَ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَبَارَكَنِي. ٤وَقَالَ لِي: هَا أَنَا أَجْعَلُكَ مُثْمِرًا وَأُكَثِّرُكَ، وَأَجْعَلُكَ جُمْهُورًا مِنَ الأُمَمِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ هذِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِكَ مُلْكًا أَبَدِيًّا . . . »" (تكوين/ ٤٨) .

Islam

(Catholic Encyclopedia)

I. THE FOUNDER

Mohammed, "the Praised One", the prophet of Islam and the founder of Mohammedanism, was born at Mecca (20 August?) A.D. 570.

Arabia was then torn by warring factions. The tribe of Fihr, or Quarish, to which Mohammed belonged, had established itself in the south of Hijas (Hedjaz), near Mecca, which was, even then, the principal religious and commercial centre of Arabia. The power of the tribe was continually increasing; they had become the masters and the acknowledged guardians of the sacred Kaaba, within the town of Mecca — then visited in annual pilgrimage by the heathen Arabs with their offerings and tributes — and had thereby gained such preeminence that it was comparatively easy for Mohammed to inaugurate his religious reform and his political campaign, which ended with the conquest of all Arabia and the fusion of the numerous Arab tribes into one nation, with one religion, one code, and one sanctuary.

Mohammed's father was Abdallah, of the family of Hashim, who died soon after his son's birth. At the age of six the boy lost his mother and was thereafter taken care of by his uncle Abu-Talib. He spent his early life as a shepherd and an attendant of caravans, and at the age of twenty-five married a rich widow, Khadeejah, fifteen years his senior. She bore him six children, all of whom died very young except Fatima, his beloved daughter.

On his commercial journeys to Syria and Palestine he became acquainted with Jews and Christians, and acquired an imperfect knowledge of their religion and traditions. He was a man of

retiring disposition, addicted to prayer and fasting, and was subject to epileptic fits. In his fortieth year (A.D. 612), he claimed to have received a call from the Angel Gabriel, and thus began his active career as the prophet of Allah and the apostle of Arabia. His converts were about forty in all, including his wife, his daughter, his father-in-law Abu Bakr, his adopted son Ali, Omar, and his slave Zayd. By his preaching and his attack on heathenism, Mohammed provoked persecution which drove him from Mecca to Medina in 622, the year of the Hejira (Flight) and the beginning of the Mohammedan Era. At Medina he was recognized as the prophet of God, and his followers increased. He took the field against his enemies, conquered several Arabian, Jewish, and Christian tribes, entered Mecca in triumph in 630, demolished the idols of the Kaaba, became master of Arabia, and finally united all the tribes under one emblem and one religion. In 632 he made his last pilgrimage to Mecca at the head of forty thousand followers, and soon after his return died of a violent fever in the sixty-third year of his age, the eleventh of the Hejira, and the year 633 of the Christian era.

The sources of Mohammed's biography are numerous, but on the whole untrustworthy, being crowded with fictitious details, legends, and stories. None of his biographies were compiled during his lifetime, and the earliest was written a century and a half after his death. The Koran is perhaps the only reliable source for the leading events in his career. His earliest and chief biographers are Ibn Ishaq (A.H. 151=A.D. 768), Wakidi (207=822), Ibn Hisham (213=828), Ibn Sa'd (230=845), Tirmidhi (279=892), Tabari (310-929), the "Lives of the Companions of Mohammed", the numerous Koranic commentators [especially Tabari, quoted above, Zamakhshari 538=1144), and Baidawi (691=1292)],

the "Musnad", or collection of traditions of Ahmad ibn Hanbal (241=855), the collections of Bokhari (256=870), the "Isabah", or "Dictionary of Persons who knew Mohammed", by Ibn Hajar, etc. All these collections and biographies are based on the so-called Hadiths, or "traditions", the historical value of which is more than doubtful.

These traditions, in fact, represent a gradual, and more or less artificial, legendary development, rather than supplementary historical information. According to them, Mohammed was simple in his habits, but most careful of his personal appearance. He loved perfumes and hated strong drink. Of a highly nervous temperament, he shrank from bodily pain. Though gifted with great powers of imagination, he was taciturn. He was affectionate and magnanimous, pious and austere in the practice of his religion, brave, zealous, and above reproach in his personal and family conduct. Palgrave, however, wisely remarks that "the ideals of Arab virtue were first conceived and then attributed to him". Nevertheless, with every allowance for exaggeration, Mohammed is shown by his life and deeds to have been a man of dauntless courage, great generalship, strong patriotism, merciful by nature, and quick to forgive. And yet he was ruthless in his dealings with the Jews, when once he had ceased to hope for their submission. He approved of assassination, when it furthered his cause; however barbarous or treacherous the means, the end justified it in his eyes; and in more than one case he not only approved, but also instigated the crime.

Concerning his moral character and sincerity, contradictory opinions have been expressed by scholars in the last three centuries. Many of these opinions are biased either by an extreme hatred of

Islam and its founder or by an exaggerated admiration, coupled with a hatred of Christianity.

Luther looked upon him as "a devil and first-born child of Satan". Maracci held that Mohammed and Mohammedanism were not very dissimilar to Luther and Protestantism. Spanheim and D'Herbelot characterize him as a "wicked impostor", and a "dastardly liar", while Prideaux stamps him as a wilful deceiver. Such indiscriminate abuse is unsupported by facts.

Modern scholars, such as Sprenger, Noldeke, Weil, Muir, Koelle, Grimme, Margoliouth, give us a more correct and unbiased estimate of Mohammed's life and character, and substantially agree as to his motives, prophetic call, personal qualifications, and sincerity. The various estimates of several recent critics have been ably collected and summarized by Zwemer, in his "Islam, a Challenge to Faith" (New York, 1907). According to Sir William Muir, Marcus Dods, and some others, Mohammed was at first sincere, but later, carried away by success, he practised deception wherever it would gain his end. Koelle "finds the key to the first period of Mohammed's life in Khadija, his first wife", after whose death he became a prey to his evil passions. Sprenger attributes the alleged revelations to epileptic fits, or to "a paroxysm of cataleptic insanity".

Zwemer himself goes on to criticize the life of Mohammed by the standards, first, of the Old and New Testaments, both of which Mohammed acknowledged as Divine revelation ; second, by the pagan morality of his Arabian compatriots; lastly, by the new law of which he pretended to be the "divinely appointed medium and custodian". According to this author, the prophet was false even to the ethical traditions of the idolatrous brigands

among whom he lived, and grossly violated the easy sexual morality of his own system. After this, it is hardly necessary to say that, in Zwemer's opinion, Mohammed fell very far short of the most elementary requirements of Scriptural morality. Quoting Johnstone, Zwemer concludes by remarking that the judgment of these modern scholars, however harsh, rests on evidence which "comes all from the lips and the pens of his own devoted adherents. . . And the followers of the prophet can scarcely complain if, even on such evidence, the verdict of history goes against him".

II. THE SYSTEM

A. Geographical Extent, Divisions, and Distribution of Mohammedans

After Mohammed's death Mohammedanism aspired to become a world power and a universal religion. The weakness of the Byzantine Empire, the unfortunate rivalry between the Greek and Latin Churches, the schisms of Nestorius and Eutyches, the failing power of the Sassanian dynasty of Persia, the lax moral code of the new religion, the power of the sword and of fanaticism, the hope of plunder and the love of conquest — all these factors combined with the genius of the caliphs, the successors of Mohammed, to effect the conquest, in considerably less than a century, of Palestine, Syria, Mesopotamia, Egypt, North Africa, and the South of Spain. The Moslems even crossed the Pyrenees, threatening to stable their horses in St. Peter's at Rome, but were at last defeated by Charles Martel at Tours, in 732, just one hundred years from the death of Mohammed. This defeat arrested their western conquests and saved Europe.

In the eighth and ninth centuries they conquered Persia, Afghanistan, and a large part of

India, and in the twelfth century they had already become the absolute masters of all Western Asia, Spain and North Africa, Sicily, etc. They were finally conquered by the Mongols and Turks, in the thirteenth century, but the new conquerors adopted Mohammed's religion and, in the fifteenth century, overthrew the tottering Byzantine Empire (1453). From that stronghold (Constantinople) they even threatened the German Empire, but were successfully defeated at the gates of Vienna, and driven back across the Danube, in 1683.

Mohammedanism now comprises various theological schools and political factions. The Orthodox (Sunni) uphold the legitimacy of the succession of the first three caliphs, Abu Bakr, Omar, and Uthman, while the Schismatics (Shiah) champion the Divine right of Ali as against the successions of these caliphs whom they call "usurpers", and whose names, tombs, and memorials they insult and detest. The Shiah number at present about twelve million adherents, or about one-twentieth of the whole Mohammedan world, and are scattered over Persia and India. The Sunni are subdivided into four principal theological schools, or sects, viz., the Hanifites, found mostly in Turkey, Central Asia, and Northern India ; the Shafites in Southern India and Egypt; the Malikites, in Morocco, Barbary, and parts of Arabia ; and the Hanbalites in Central and Eastern Arabia and in some parts of Africa. The Shiah are also subdivided into various, but less important, sects. Of the proverbial seventy-three sects of Islam, thirty-two are assigned to the Shiah. The principal differences between the two are:

as to the legitimate successors of Mohammed;

the Shiah observe the ceremonies of the month of fasting, Muharram, in commemoration of Ali,

Hasan, Husain, and Bibi Fatimah, whilst the Sunnites only regard the tenth day of that month as sacred, and as being the day on which God created Adam and Eve;

the Shiah permit temporary marriages, contracted for a certain sum of money, whilst the Sunnites maintain that Mohammed forbade them;

the Shi'ites include the Fire-Worshippers among the "People of the Book", whilst the Sunnites acknowledge only Jews, Christians, and Moslems as such;

several minor differences in the ceremonies of prayer and ablution;

the Shiah admit a principle of religious compromise in order to escape persecution and death, whilst the Sunni regard this as apostasy.

There are also minor sects, the principal of which are the Aliites, or Fatimites, the Asharians, Azaragites, Babakites, Babbis, Idrisites, Ismailians and Assassins, Jabrians, Kaissanites, Karmathians, Kharjites, followers of the Mahdi, Mu'tazilites, Qadrains, Safrians, Sifatians, Sufis, Wahabis, and Zaidites. The distinctive features of these various sects are political as well as religious; only three or four of them now possess any influence.

In spite of these divisions, however, the principal articles of faith and morality, and the ritual, are substantially uniform.

According to the latest and most reliable accounts (1907), the number of Mohammedans in the world is about 233 millions, although some estimate the number as high as 300 millions, others, again, as low as 175 millions. Nearly 60 millions are in Africa, 170 millions in Asia, and about 5 millions in Europe. Their total number amounts to about one-

fourth of the population of Asia, and one-seventh that of the whole world. Their geographical distribution is as follows:

Asia

India, 62 millions; other British possessions (such as Aden, Bahrein, Ceylon, and Cyprus), about one million and a half; Russia (Asiatic and European), the Caucasus, Russian Turkestan, and the Amur region, about 13 millions; Philippine Islands, 350,000; Dutch East Indies (including Java, Sumatra, Borneo, Celebes, etc.) about 30 millions; French possessions in Asia (Pondicherry, Annam, Cambodia, Cochin-China, Tonking, Laos), about one million and a half; Bokhara, 1,200,000; Khiva, 800,000; Persia, 8,800,000; Afghanistan, 4,000,000; China and Chinese Turkestan, 30,000,000; Japan and Formosa, 30,000; Korea, 10,000; Siam, 1,000,000; Asia Minor ; Armenia and Kurdistan, 1,795,000; Mesopotamia, 1,200,000; Syria, 1,100,000; Arabia, 4,500,000. Total, 170,000,000.

Africa

Egypt, 9,000,000; Tripoli, 1,250,000; Tunis, 1,700,000; Algeria, 4,000,000; Morocco, 5,600,000; Eritrea, 150,000; Anglo-Egyptian Sudan, 1,000,000; Senegambia-Niger, 18,000,000; Abyssinia, 350,000; Kamerun, 2,000,000; Nigeria, 6,000,000; Dahomey, 350,000; Ivory Coast, 800,000; Liberia, 600,000; Sierra Leone, 333,000; French Guinea, 1,500,000; French, British, and Italian Somaliland, British East African Protectorate, Uganda, Togoland, Gambia and Senegal, about 2,000,000; Zanzibar, German East Africa, Portuguese East Africa, Rhodesia, Congo Free State, and French Congo, about 4,000,000; South Africa and adjacent island, about 235,000.-Approximate total, 60,000,000.

Europe

Turkey in Europe, 2,100,000; Greece, Servia, Rumania, and Bulgaria, about 1,369,000. Total, about 3,500,000.

America and Australia

About 70,000.

About 7,000,000 (i.e., four-fifths) of the Persian Mohammedans and about 5,000,000 of the Indian Mohammedans are Shiahs; the rest of the Mohammedan world — about 221,000,000 — are almost all Sunnites.

B. Tenets

The principal tenets of Mohammedanism are laid down in the Koran. As aids in interpreting the religious system of the Koran we have: first , the so-called "Traditions", which are supposed to contain supplementary teachings and doctrine of Mohammed, a very considerable part of which, however, is decidedly spurious; second, the consensus of the doctors of Islam represented by the most celebrated imâms, the founders of the various Islamic sects, the Koranic commentators and the masters of Mohammedans jurisprudence ; third , the analogy, or deduction from recognized principles admitted in the Koran and in the Traditions. Mohammed's religion, known among its adherents as Islam, contains practically nothing original; it is a confused combination of native Arabian heathenism, Judaism, Christianity, Sabiism (Mandoeanism), Hanifism, and Zoroastrianism.

The system may be divided into two parts: dogma, or theory; and morals, or practice. The whole fabric is built on five fundamental points, one belonging to faith, or theory, and the other four to morals, or practice. All Mohammedan dogma is supposed to be expressed in the one formula: "there is no God but the true God; and Mohammed is His prophet." But this one confession implies for Mohammedans six distinct articles:

belief in the unity of God;

in His angels;

in His Scripture;

in His prophets ;

in the Resurrection and Day of Judgment ; and

in God's absolute and irrevocable decree and predetermination both of good and of evil.

The four points relating to morals, or practice, are:

prayer, ablutions, and purifications;

alms :

fasting ; and

pilgrimage to Mecca.

(1) Dogma

The doctrines of Islam concerning God — His unity and Divine attributes — are essentially those of the Bible ; but to the doctrines of the Trinity and of the Divine Sonship of Christ Mohammed had the strongest antipathy. As Noldeke remarks, Mohammed's acquaintance with those two dogmas was superficial; even the clauses of the Creed that referred to them were not properly known to him, and thus he felt that it was quite impossible to bring them into harmony with the simple Semitic Monotheism; probably, too, it was this consideration alone that hindered him from embracing Christianity (Sketches from Eastern History, 62).

The number of prophets sent by God is said to have been about 124,000, and of apostles, 315. Of the former, 22 are mentioned by name in the Koran — such as Adam, Noah, Abraham, Moses, Jesus.

According to the Sunni, the Prophets and Apostles were sinless and superior to the angels, and they had the power of performing miracles. Mohammedan angelology and demonology are almost wholly based on later Jewish and early Christian traditions. The angels are believed to be

free from all sin ; they neither eat nor drink; there is no distinction of sex among them. They are, as a rule, invisible, save to animals, although, at times, they appear in human form. The principal angels are: Gabriel, the guardian and communicator of God's revelation to man ; Michael, the guardian of men; Azrail, the angel of death, whose duty is to receive men's souls when they die; and Israfil, the angel of the Resurrection.

In addition to these there are the Seraphim, who surround the throne of God, constantly chanting His praises; the Secretaries, who record the actions of men; the Observers, who spy on every word and deed of mankind ; the Travellers, whose duty it is to traverse the whole earth in order to know whether, and when, men utter the name of God ; the Angels of the Seven Planets; the Angels who have charge of hell ; and a countless multitude of heavenly beings who fill all space. The chief devil is Iblis, who, like his numerous companions, was once the nearest to God, but was cast out for refusing to pay homage to Adam at the command of God. These devils are harmful both to the souls and to the bodies of men, although their evil influence is constantly checked by Divine interference.

Besides angels and devils, there are also jinns, or genii, creatures of fire, able to eat, drink, propagate, and die; some good, others bad, but all capable of future salvation and damnation.

God rewards good and punishes evil deeds. He is merciful and is easily propitiated by repentance. The punishment of the impenitent wicked will be fearful, and the reward of the faithful great. All men will have to rise from the dead and submit to the universal judgment. The Day of Resurrection and of Judgment will be preceded and accompanied by seventeen fearful, or greater, signs in heaven and on

earth, and eight lesser ones, some of which are identical with those mentioned in the New Testament. The Resurrection will be general and will extend to all creatures — angels, jinns, men, and brutes. The torments of hell and the pleasures of Paradise, but especially the latter, are proverbially crass and sensual. Hell is divided into seven regions: Jahannam, reserved for faithless Mohammedans; Laza, for the Jews; Al-Hutama, for the Christians; Al-Sair, for the Sabians; Al-Saqar, for the Magians; Al-Jahim, for idolaters; Al-Hawiyat, for hypocrites. As to the torments of hell, it is believed that the damned will dwell amid pestilential winds and in scalding water, and in the shadow of a black smoke. Draughts of boiling water will be forced down their throats. They will be dragged by the scalp, flung into the fire, wrapped in garments of flame, and beaten with iron maces. When their skins are well burned, other skins will be given them for their greater torture. While the damnation of all infidels will be hopeless and eternal, the Moslems, who, though holding the true religion, have been guilty of heinous sins, will be delivered from hell after expiating their crimes.

The joys and glories of Paradise are as fantastic and sensual as the lascivious Arabian mind could possibly imagine. "As plenty of water is one of the greatest additions to the delights of the Bedouin Arab, the Koran often speaks of the rivers of Paradise as a principal ornament thereof; some of these streams flow with water, some with wine and others with honey, besides many other lesser springs and fountains, whose pebbles are rubies and emeralds, while their earth consists of camphor, their beds of musk, and their sides of saffron. But all these glories will be eclipsed by the resplendent and ravishing girls, or houris, of Paradise, the enjoyment

of whose company will be the principal felicity of the faithful. These maidens are created not of clay, as in the case of mortal women, but of pure musk, and free from all natural impurities, defects, and inconveniences. They will be beautiful and modest and secluded from public view in pavilions of hollow pearls. The pleasures of Paradise will be so overwhelming that God will give to everyone the potentialities of a hundred individuals. To each individuals a large mansion will be assigned, and the very meanest will have at his disposal at least 80,000 servants and seventy-two wives of the girls of Paradise. While eating they will be waited on by 300 attendants, the food being served in dishes of gold, whereof 300 shall be set before him at once, containing each a different kind of food, and an inexhaustible supply of wine and liquors. The magnificence of the garments and gems is conformable to the delicacy of their diet. For they will be clothed in the richest silks and brocades, and adorned with bracelets of gold and silver, and crowns set with pearls, and will make use of silken carpets, couches, pillows, etc., and in order that they may enjoy all these pleasures, God will grant them perpetual youth, beauty, and vigour. Music and singing will also be ravishing and everlasting" (Wollaston, "Muhammed, His Life and Doctrines").

The Mohammedan doctrine of predestination is equivalent to fatalism. They believe in God's absolute decree and predetermination both of good and of evil ; viz., whatever has been or shall be in the world, whether good or bad, proceeds entirely from the Divine will, and is irrevocably fixed and recorded from all eternity. The possession and the exercise of our own free will is, accordingly, futile and useless. The absurdity of this doctrine was felt

by later Mohammedan theologians, who sought in vain by various subtile distinctions to minimize it.

(2) Practice

The five pillars of the practical and of the ritualistic side of Islam are the recital of the Creed and prayers, fasting, almsgiving, and the pilgrimage to Mecca.

The formula of the Creed has been given above, and its recital is necessary for salvation.

The daily prayers are five in number: before sunrise, at midday, at four in the afternoon, at sunset, and shortly before midnight. The forms of prayer and the postures are prescribed in a very limited Koranic liturgy. All prayers must be made looking towards Mecca, and must be preceded by washing, neglect of which renders the prayers of no effect. Public prayer is made on Friday in the mosque, and is led by an imâm. Only men attend the public prayers, as women seldom pray even at home. Prayers for the dead are meritorious and commended.

Fasting is commended at all seasons, but prescribed only in the month of Ramadan. It begins at sunrise and ends at sunset, and is very rigorous, especially when the fasting season falls in summer. At the end of Ramadan comes the great feast-day, generally called Bairam, or Fitr, i.e., "Breaking of the Fast". The other great festival is that of Azha, borrowed with modifications from the Jewish Day of Atonement.

Almsgiving is highly commended: on the feast-day after Ramadan it is obligatory, and is to be directed to the "faithful" (Mohammedans) only.

Pilgrimage to Mecca once in a lifetime is a duty incumbent on every free Moslem of sufficient means

and bodily strength; the merit of it cannot be obtained by deputy, and the ceremonies are strictly similar to those performed by the Prophet himself (see MECCA). Pilgrimages to the tombs of saints are very common nowadays, especially in Persia and India, although they were absolutely forbidden by Mohammed.

(2) Morals

It is hardly necessary here to emphasize the fact that the ethics of Islam are far inferior to those of Judaism and even more inferior to those of the New Testament. Furthermore, we cannot agree with Noldeke when he maintains that, although in many respects the ethics of Islam are not to be compared even with such Christianity as prevailed, and still prevails, in the East, nevertheless, in other points, the new faith — simple, robust, in the vigour of its youth — far surpassed the religion of the Syrian and Egyptian Christians, which was in a stagnating condition, and steadily sinking lower and lower into the depths of barbarism (op. cit., Wollaston, 71, 72). The history and the development, as well as the past and present religious, social, and ethical condition of all the Christian nations and countries, no matter of what sect or school they may be, as compared with these of the various Mohammedan countries, in all ages, is a sufficient refutation of Noldeke's assertion. That in the ethics of Islam there is a great deal to admire and to approve, is beyond dispute; but of originality or superiority, there is none. What is really good in Mohammedan ethics is either commonplace or borrowed from some other religions, whereas what is characteristic is nearly always imperfect or wicked.

The principal sins forbidden by Mohammed are idolatry and apostasy, adultery, false witness against a brother Moslem, games of chance, the drinking of

wine or other intoxicants, usury, and divination by arrows. Brotherly love is confined in Islam to Mohammedans. Any form of idolatry or apostasy is severely punished in Islam, but the violation of any of the other ordinances is generally allowed to go unpunished, unless it seriously conflicts with the social welfare or the political order of the State. Among other prohibitions mention must be made of the eating of blood, of swine's flesh, of whatever dies of itself, or is slain in honour of any idol, or is strangled, or killed by a blow, or a fall, or by another beast. In case of dire necessity, however, these restrictions may be dispensed with. Infanticide, extensively practiced by the pre-Islamic Arabs, is strictly forbidden by Mohammed, as is also the sacrificing of children to idols in fulfilment of vows, etc. The crime of infanticide commonly took the form of burying newborn females, lest the parents should be reduced to poverty by providing for them, or else that they might avoid the sorrow and disgrace which would follow, if their daughters should be made captives or become scandalous by their behaviour.

Religion and the State are not separated in Islam. Hence Mohammedan jurisprudence, civil and criminal, is mainly based on the Koran and on the "Traditions". Thousands of judicial decisions are attributed to Mohammed and incorporated in the various collections of Hadith. Mohammed commanded reverence and obedience to parents, and kindness to wives and slaves. Slander and backbiting are strongly denounced, although false evidence is allowed to hide a Moslem's crime and to save his reputation or life.

As regards marriage, polygamy, and divorce, the Koran explicitly (sura iv, v. 3) allows four lawful wives at a time, whom the husband may divorce

whenever he pleases. Slave-mistresses and concubines are permitted in any number. At present, however, owing to economic reasons, concubinage is not as commonly practiced as Western popular opinion seems to hold. Seclusion of wives is commanded, and in case of unfaithfulness, the wife's evidence, either in her own defense or against her husband, is not admitted, while that of the husband invariably is. In this, as in other judicial cases, the evidence of two women, if admitted, is sometimes allowed to be worth that of one man. The man is allowed to repudiate his wife on the slightest pretext, but the woman is not permitted even to separate herself from her husband unless it be for ill-usage, want of proper maintenance, or neglect of conjugal duty ; and even then she generally loses her dowry, when she does not if divorced by her husband, unless she has been guilty of immodesty or notorious disobedience. Both husband and wife are explicitly forbidden by Mohammed to seek divorce on any slight occasion or the prompting of a whim, but this warning was not heeded either by Mohammed himself or by his followers. A divorced wife, in order to ascertain the paternity of a possible or probable offspring, must wait three months before she marries again. A widow, on the other hand, must wait four months and ten days. Immorality in general is severely condemned and punished by the Koran, but the moral laxity and depraved sensualism of the Mohammedans at large have practically nullified its effects.

Slavery is not only tolerated in the Koran, but is looked upon as a practical necessity, while the manumission of slaves is regarded as a meritorious deed. It must be observed, however, that among Mohammedans, the children of slaves and of concubines are generally considered equally

legitimate with those of legal wives, none being accounted bastards except such as are born of public prostitutes, and whose fathers are unknown. The accusation often brought against the Koran that it teaches that women have no souls is without foundation. The Koranic law concerning inheritance insists that women and orphans be treated with justice and kindness. Generally speaking, however, males are entitled to twice as much as females. Contracts are to be conscientiously drawn up in the presence of witnesses. Murder, manslaughter, and suicide are explicitly forbidden, although blood revenge is allowed. In case of personal injury, the law of retaliation is approved.

In conclusion, reference must be made here to the sacred months, and to the weekly holy day. The Arabs had a year of twelve lunar months, and this, as often as seemed necessary, they brought roughly into accordance with the solar year by the intercalation of a thirteenth month. The Mohammedan year, however, has a mean duration of 354 days, and is ten or eleven days shorter than the solar year, and Mohammedan festivals, accordingly, move in succession through all the seasons.

The Mohammedan Era begins with the Hegira, which is assumed to have taken place on the 16th day of July, A.D. 622. To find what year of the Christian Era (A.D.) is represented by a given year of the Mohammedan Era (A.H.), the rule is: Subtract from the Mohammedan date the product of three times the last completed number of centuries, and add 621 to the remainder. (This rule, however, gives an exact result only for the first day of a Mohammedan century. Thus, e.g., the first day of the fourteenth century came in the course of the year of Our Lord 1883.) The first, seven, eleventh and

twelfth months of the Mohammedan year are sacred; during these months it is not lawful to wage war. The twelfth month is consecrated to the annual pilgrimage to Mecca, and, in order to protect pilgrims, the preceding (eleventh) month and the following (first of the new year) are also inviolable. The seventh month is reserved for the fast which Mohammed substituted for a month (the ninth) devoted by the Arabs in pre-Islamic times to excessive eating and drinking. Mohammed selected Friday as the sacred day of the week, and several fanciful reasons are adduced by the Prophet himself and by his followers for the selection; the most probable motive was the desire to have a holy day different from that of the Jews and that of the Christians. It is certain, however, that Friday was a day of solemn gatherings and public festivities among the pre-Islamic Arabs. Abstinence from work is not enjoined on Friday, but it is commanded that public prayers and worship must be performed on that day. Another custom dating from antiquity and still universally observed by all Mohammedans, although not explicitly enjoined in the Koran, is circumcision. It is looked upon as a semi-religious practice, and its performance is preceded and accompanied by great festivities.

In matters political Islam is a system of despotism at home and aggression abroad. The Prophet commanded absolute submission to the imâm. In no case was the sword to be raised against him. The rights of non-Moslem subjects are of the vaguest and most limited kind, and a religious war is a sacred duty whenever there is a chance of success against the "Infidel". Medieval and modern Mohammedan, especially Turkish, persecutions of both Jews and Christians are perhaps the best illustration of this fanatical religious and political spirit.

Mohammedanism: (الديانة) المحمدية

Guardians: حرّاس، حُمَاة

Offerings: قرابين

Tribute: جزية

Preeminence: تَفَوُّق

To inaugurate: يبدأ، يفتتح

Conquest: فتح، غزو

The fusion of the numerous Arab tribes into one nation: صَهْر القبائل العربية الكثيرة فى أمة واحدة

A shepherd: راعي غنم

Acquainted with: . . . على معرفة بـ

A man of retiring disposition: شخص يميل إلى العزلة

Addicted to prayer and fasting: ملازم للصلاة والصيام

Subject to epileptic fits: عرضة لنوباتٍ صَرْعيّة

An apostle: رسول

Persecution: اضطهاد

The Mohammedan Era: التقويم المحمدي

He took the field against his enemies: حارب أعداءه

Under one emblem: تحت راية واحدة

Fictitious: خيالي، زائف

Supplementary: إضَافِيّ، تَكْمِيلِيّ

Taciturn: صَمُوت، قليل الكلام، صَامِت

Affectionate and magnanimous: وَدُودٌ سَمْح

Biased: منحاز

Wicked impostor: دَعِيٌّ شرير

A wilful deceiver: مخادع عن قصد

Estimates: تقديرات

A paroxysm: نوبة

Cataleptic: تخشبي (نسبة إلى الإغماء التخشبي)

His compatriots: مواطنوه

To violate: ينتهك

Grossly: على نحو صارخ

Short of: ينقصه (الشيء الفلاني)

His own devoted adherents: تابعوه المتفانون

The successors of Mohammed: خلفاء محمد

Tottering: متداعٍ، مترنح

A stronghold: حِصْن، مَعْقِل

A faction: شِيعَة، زُمْرَة، حِزْب

The schismatics: المنشقّون

To champion: أَيَّدَ، نَاصَرَ

A usurper: مغتصِب سُلْطة

Their total number amounts to about one-fourth of the population of Asia: يبلغ عددهم الكلي ربع عدد السكان فى آسيا

Tenets: مُعْتَقَدات

The consensus of the doctors of Islam: إجماع فقهاء المسلمين

Analogy: قِيَاس

Deduction: اِسْتِنْتَاج

Antipathy: كَرَاهِيَة

To hinder: مَنَعَ، عَرْقَلَ

Angelology and demonology: عالم الملائكة وعالم الشياطين

To pay homage to: يظهر الاحترام لـ . . .

Constantly: باستمرار، دائما

To propitiate: اسْتَرْضَى، اسْتَعْطَفَ

The punishment of the impenitent wicked will be fearful: سوف يكون عقاب العُصاة المصرّين مرعبا

Crass: شَدِيد، غَلِيظ

The torments of hell: عذاب الجحيم

Lascivious: دَاعِر

A pavilion: سُرادِق

Brocade: قماش مطرز

Predetermination: قَدَر محتوم

Only men attend the public prayers: الرجال وحدهم هم الذين يشهدون الصلوات الجماعية

Atonement: التكفير

Almsgiving: إخراج الصدقات

To approve of: يوافق على . . .

Ethics: الأخلاق

Commonplace: عَادِيّ

Slander and backbiting: الافتراء والغِيبة

Slave-mistresses: القِيَان

Conjugal duty: الواجب الزوجي

A whim: هَوًى، نَزْوَة

Moral laxity and depraved sensualism: التسيب الأخلاقي والانحطاط الشهواني

A meritorious deed: عمل طيب

To wage war: يشن حربا

Inviolable: لا تُنتَهَك حرمته

Festivities: أعياد، احتفالات

الدراسة

أول ما نلاحظه أن عنوان مقال "الموسوعة الكاثوليكية" ليس هو "Islam" كما كان ينبغى أن يكون، بل "Mohammed and Mohammedanism"، أى "محمد والمحمدية"، رغم أن المصطلح الموجود فى قائمة مواد الموسوعة هو "الإسلام"، فكان المتوقع أن يكون عنوان المقال هو "الإسلام". ولا أدرى لماذا هذا التفاوت بين ظاهر الأمر وباطنه. على كل حال لا أحد من المسلمين يقبل أن يُدْعَى: "محمديًّا"، بل هو مسلم ليس إلا. ذلك أن المسلمين ينظرون إلى تسمية "المحمديين" على أنها تعنى، ولو من طَرْفٍ خَفِيٍّ، أن الإسلام من صنع محمد عليه الصلاة والسلام، أو أنهم يرتفعون برسولهم فوق البشرية كما يفعل بعض أصحاب الديانات الأخرى. وفضلا عن ذلك فهم يؤمنون بأن "الإسلام" ليس دين محمد وحده، بل دين الأنبياء والرسل جميعا من لدن آدم حتى نبيهم عليه الصلاة والسلام حسبما وضحنا فى موضع آخر من هذا الكتاب.

كذلك نلاحظ أن كاتب المقال قد ترجم كلمة "محمد" على أنها "the Praised One"، وهى ترجمة قاصرة بعض الشىء، إذ تعنى "محمود" لا "محمد"، التى كان ينبغى أن يضاف إلى ترجمتها "adverb: حال" تحدد الحمد بأنه كثير متكرر (هكذا مثلا: "the Much-

Praised One"). ويقول الكاتب أيضا إن عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول) قد مات بعد ولادة ابنه بقليل: " soon after his son's birth"، وهو خطأ صوابه أنه مات قبل أن يشرّف الابن الوجود . وبالمثل يقع الكاتب فى غلطة أخرى من هذا النوع الذى يدل على الاستعجال وعدم التدقيق، إذ نراه يزعم أن الذى تولى أمر الصبى محمد عقب موت والدته هو عمه أبو طالب، مع أن الدنيا كلها تعرف أن الذى فعل ذلك هو الجد عبد المطلب لا العم أبو طالب، الذى تولى أمر ابن أخيه بعد موت الجد .

وبالنسبة للمهمة التى نهض بها النبى عليه السلام نجد الكاتب يحددها بالـ"religious reform and political campaign: الإصلاح الدينى والكفاح السياسى" . ورغم أن مهمته عليه السلام تتضمن فعلا هذين الأمرين فإنه لم يكن مصلحا دينيا ومجاهدا سياسيا وحسب، بل كان أولا وقبل كل شىء رسولا نبيا يُوحَى إليه من السماء ولم يقم من تلقاء نفسه بهذا الإصلاح وذلك الكفاح، بل عَرَضا أثناء نهوضه بمهمته الأصلية التى انتدبته لها السماء، ألا وهى "النبوة" . وهذه ليست من الملاحظات البسيطة التى يمكن الإغضاء عنها، بل هى من الأخطاء القاتلة، إذ تنفى عنه، بصنعة لطافة، صفة النبوة، ولكن هيهات! ويشبهها قول الكاتب إنه، صلى الله عليه وسلم، قد تعرف باليهود والنصارى فى

رحلاته إلى الشام مع قوافل قومه حيث حصّل معرفته الناقصة بدين هاتين الطائفتين. وهى غمزة وراءها ما وراءها، إذ يقصد الكاتب إلى القول بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتلق الوحى من ربه، بل أتى بالقرآن من عنده وعبر فيه عن أفكاره الخاطئة التى اكتسبها فى تلك البلاد. وهذا كله غير صحيح، وإلا لانبرى له صلى الله عليه وسلم من تعلم على أيديهم هناك وذكَّره نقاشاته معه، فضلا عن أن القرآن يصحح كثيرا مما جاء فى كتب القوم مبينا مفارقتها للمنطق والإيمان المستقيم.

ولا يتوقف الكاتب فى افتراءاته عند هذه النقطة، بل يمضى فيزعم أنه، صلى الله عليه وسلم، كان عرضة للإصابة بالصَّرْع بين الحين والحين: "subject to epileptic fits"، مع أنه لم يحدث قط أن أصيب بالصَّرْع فى أى وقت، ولا كانت الأعراض التى تعتريه لَدُنْ نزول روح القدس عليه بالوحى القرآنى هى أعراض الصَّرْع على الإطلاق، وهو ما بينته بالتفصيل المرهِق فى كتابىَّ: "مصدر القرآن- دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحى المحمدى" و"دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل"، إذ استقصيت كلا من أعراض الوحى كما وصفتها كتب الحديث والسيرة النبوية وأعراض الصَّرْع كما وردت فى كتب الطب وقابلت بينهما فثبت ثبوتا قاطعا أننا بإزاء أمرين مختلفين تمام الاختلاف وأن ما يقوله مروجو نظرية الصَّرْع هو كلام فارغ من ألفه إلى يائه، ومن يائه

إلى ألفه، ولم يحدث أنْ وَضَع أى من مروجى هذه التهمة أيدينا على أى عَرَضٍ من أعراض الصَّرْع فى حالته صلى الله عليه وسلم. إنما هى مجرد دعوى مرسلة والسلام، اعتمادا منهم على أن للتكرار أثرا نفسيا يتعاظم مع الأيام.

ومن المعروف أن الشخص إذا ما أصابته نوبة صَرْعٍ فإن من حوله يسارعون إلى معاونته ومنعه من إيذاء نفسه بعض لسانه مثلا. إلا أننا نقرأ السيرة النبوية وما كان يقع له عليه السلام أثناء تلقيه الوحى فلا نجد شيئًا من ذلك بتاتا، بل كان الصحابة يتركونه صلى الله عليه وسلم حتى يقوم من غفوته وهو فى قمة رباطة الجأش وسكينة النفس. كما أنه عليه السلام ما إن يقوم من غاشية الوحى حتى يتلو على الحاضرين نص الايات التى نزلت عليه بمنتهى التدفق والوضوح فى النطق والفكر مَصُوغَةً بأسلوب أدبى باهر دون أن يكون قد سبق له التفكير فيما يتلوه عليهم، إذ يأتى الوحى عادة عقب سؤال أو موقف يستدعى تعليقا أو جوابا أو حكما، ولا يكون هناك وقت لتجهيز أى شىء. ولم يحدث أن أصيب النبى عليه السلام بما يعترى المصروعين من تشنج أو سَقَط من طُوله أو سال الزَّبَد من شفتيه أثناء تلقيه الوحى كما يحدث لمن يأتيهم الصرع. ومعروف أن المصروع حين يفيق من غاشية الصرع يكون مرهقا خائفا مشوش الذهن مما يثير الشفقة والعطف، وهو ما لم يُلحَظ قَطّ فى حالة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما أن الأعراض المصاحبة للوحى لا وجود لها فى حالة المصروعين، كالدوىّ الذى كان يُسْمَع حول وجهه الشريف، والثقل الذى كان يحل فى جسده ساعتها فلا يستطيع أحد تحمله إذا ما تصادف أن كان جزء من جسده تحته آنذاك كالصحابى الذى كانت فخذه تحت فخذ الرسول ثم هبط الوحى عليه فشعر الصحابى أن فخذه تكاد تُرَضّ، وكالناقة التى كان يركبها آنئذ فبركتْ تحت الثقل الذى اعتراه. وهل يا ترى كان اليهود والمشركون من قبلهم ليفلتوا هذه الفرصة لو أن النبى كان فعلا مصروعا ولا يغتنموها ويشنعوا بها عليه صلى الله عليه وسلم؟ المضحك أن الذين أشاعوا عنه هذه الفرية هم الكتاب البيزنطيون، الذين لم يَرَوْه قط ولا شاهدوا وحيا ينزل عليه ولا على غيره. فكيف يصح أن يحكموا على شىء لم يَرَوْه؟ ثم منذ متى كان المصروعون يصنعون مثل تلك الإنجازات الفريدة التى صنعها النبى عليه السلام والتى لم تقع على يد أى نبى أو رسول أو حاكم أو قائد آخر؟ وناهيك بمبادئ دينه الراقية وعقائده العظيمة، ونفسه النبيلة وإنسانيته العالية وحلمه وصبره وتواضعه وثقته بقضيته طوال الوقت واتزانه التام وتحديه الكفار وغير الكفار طوال الوقت وفى كل الظروف والمواقف بأن دينه منتصر لا محالة، وذلك منذ وقت مبكر وقبل أن يهاجر إلى المدينة ويكون له أتباع وجيش ودولة يُحْسَب حسابها .

ويمضى الكاتب مدعيا أن كتب السيرة النبوية ليست أهلا للثقة، إذ تمتلئ كما يقول بالخرافات والروايات المصنوعة وما إلى ذلك. وهو ادعاء عجيب من شخص يمتلئ دينه من أوله إلى آخره بهذا الذى يحاول إلصاقه بالسيرة المحمدية. ولنفرض أن فى كتب السيرة بعض ما زعمه عنها إن فيها مع ذلك كثيرا مما يقبله بل يستلزمه العقل والمنطق وسياق الأحداث، فما بالنا لو عرفنا أن هذا الجانب الذى يذكره لا يبرز إلا فى كتب السيرة المتأخرة ذات النزعة الشعبية، وفى أضيق نطاق مع ذلك؟ وحتى لو جردنا سيرته صلى الله عليه وسلم من كل أثر إعجازى، أو من "الخرافات" حسب تعبيره، لظلت شخصيته عليه السلام لألاءة ساطعة تُعْشِى عيون المفترين. ويزعم الكاتب أيضا أن كتب السيرة لم تدوَّن إلا بعد نحو قرن ونصف من وفاته عليه السلام وأن أقدم كتاب من هذا النوع هو سيرة ابن إسحاق. وهذا خطأ، إذ هناك السِّيَر التى كتبها أو أملاها عبد الله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب الصحابيان الجليلان، وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهرى وأَبان بن عثمان وعامر بن شرحبيل الشعبى ومقسم مولى ابن عباس وعاصم بن عمر وشرحبيل بن سعد من التابعين قبل ذلك بكثير، بالإضافة إلى أسماء أخرى. على ألا ننسى أن العرب فى ذلك الوقت كانوا يعتمدون على ذاكرتهم اعتمادا كبيرا، وكانت تلك الذاكرة مؤهلة تأهيلا ممتازا لهذه المهمة بحكم أنهم كانوا آنذاك شعبا تغلب عليه

الأمية. فكانت السيرة مسجلة فى ذلك الجهاز البشرى الذى كان يقوم مقام الصحائف والكتب إلى حد كبير. ثم يضيف كاتبنا قائلا إن تأليف كتب السيرة يقوم على كتب الحديث، وهذه ليست مشكوكا فيها فحسب، بل أسوأ من ذلك كثيرا، محاولا بهذه الطريقة إيهام القارئ الغربى بأن الأحاديث هى مجرد نصوص مجموعة كيفما اتفق، فلم تخضع لتمحيص أو تحقيق ولم يوضع لها منهج دقيق محكم يتم بناءً عليه قبولها أو ردّها. إنه يطلق الأحكام إطلاقا دون أدنى إحساس بالخجل. وليس هذا من العلم فى قليل أو كثير.

ومن أكاذيبه التى يطلقها إطلاقا دون ذكر المصدر زَعْمه أنه، صلى الله عليه وسلم، كان انفعاليا شديد الانفعالية ويخشى الألم الجسدى لدرجة غير معقولة. ثم يشير إلى ما كتبه المستشرق البريطانى وليام بالجريف من أن سيرة النبى إنما تقوم على تصوّر الفضائل التى يعتز بها العربى مسبقا، إذ جمع كتّاب السيرة تلك الفضائل ثم أسندوها إلى محمد زاعمين أنه كان يتصف بها كلها. والعجيب أن الكاتب، بعد كل هذه الادعاءات التى مارسها بدم بارد، يعود فيقول إن محمدا، رغم كل شىء، كان عظيم الشجاعة والعطف والرحمة، قوى الشعور الوطنى، محبا للتسامح والغفران. فالحمد لله، الذى أنطقه بمثل ذلك الكلام على رغم أنفه! وإن كان قد سارع إلى نقضه قائلا إنه، عليه الصلاة والسلام، كان

شديد القسوة مع اليهود ! ويا لها من شهادة من أحد أتباع السيد المسيح المؤمنين بأن اليهود قد قتلوه وصلبوه ولم يؤمنوا بدعوته واتهموه واتهموا أمه بما لا يقال. لكن لا ينبغى أن نسقط من حسابنا كراهية الكاتب للنبى محمد، فهذه الكراهية كفيلة بأن تنسيه ما قاله المسيح ذاته، وكذلك ما قاله العهد القديم من قبل المسيح، فى حق اليهود، الذى يأكله قلبه كل هذا الأكلان رحمة بهم وعطفا عليهم وتظاهرا منه بإنسانية كاذبة، إذ ليست العبرة بالشدة أو القسوة فى حد ذاتها، بل فى المواطن التى تستعمل فيها . ولقد اشتد النبى على اليهود بعدما ذاق منهم هو والمسلمون الأَمَرَّيْن وضاقت صدورهم وبلغت منهم الروح الحلقوم بسبب مؤامراتهم وغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق التى عقدها النبى معهم وساوى فيها بين المسلمين وبينهم تمام المساواة، فأبت نفوسهم الملتوية إلا أن تنزل على طبيعة الخيانة والغدر المتأصلة فيهم الجارية فى عروقهم. فماذا تراه، عليه الصلاة والسلام، كان ينبغى أن يصنع؟ طبقاً للكاتب لقد كان ينبغى أن يتركهم يقتلونه ويخنقون دينه ويقضون عليه وعلى دولته والمسلمين والعرب أجمعين، على ألا ينسى أن يدعو لهم قبل هذا بالتوفيق والسلامة! إن النبى إنما كان يعيش فى دنيا البشر، ودنيا البشر تعجّ بضروب المتاعب والشرور والمشاكل، ولا يصلح لها التسامح على طول الخط، وبخاصة إذا كانت الحقوق التى يراد فيها التسامح هى حقوق الرعية لا حقوقا شخصية لصاحبها أن يتنازل عنها

إذا أراد، فعندئذ لا ينفع إلا الضرب بشدة على أيدى الغادرين، وإلا انتهى كل شىء .

ثم يقول الكاتب إن الرأى منقسم إزاء الحكم على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ما بين منحاز إليه يصفه بكل فضيلة ومكرمة ومنحاز ضده لا يذكره إلا بالشر والسوء . وهو يرفض الرأى الأخير قائلا إنه ينضح بالتحامل ويناقض الواقع التاريخى. يقول هذا وكأنه هو نفسه قد قال فيه صلى الله عليه وسلم شيئًا آخر غير هذا . إلا أن أصول الصنعة لدى أمثاله تقتضى هاتين الكلمتين اللتين لا تقدمان ولا تؤخران كى يبدو محايدا متجردا عن التعصب والتحامل، وهيهات! وممن أشار إليهم بين المتحاملين على نبينا الكريم صلوات الله عليه وسلامه مارتن لوثر الزعيم البروتستانتى المعروف، الذى وصف نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه "شيطان وأول ولدٍ لإبليس":

"a devil and first-born child of Satan"

ولا ندرى على أى اساس وصف هذا المُهَلْوِس سيدنا وسيده محمدا بما وصفه به كذبا ومَيْنًا، وهو النبى الكريم الذى دعا إلى الإيمان بالسيد المسيح وبرّأه هو وأمه مما رماهما به يهود، فضلا عن دعوته المستقيمة إلى الوحدانية المطلقة والأخلاق الطاهرة والفضائل الإنسانية والاجتماعية التى لا نظير لها . وفوق ذلك شن دين محمد صلى الله عليه

وسلم حملة عنيفة على الأحبار والرهبان وتأليه المتدينين لهم باتباعهم لما ابتدعوه من تشريعات لم ترد فى دعوة عيسى عليه السلام. كذلك ليست فى الإسلام وساطات بين العبد وخالقه، فضلا عن أنه لا توجد فيه أيقونات ولا اعترافات ولا رهبانية ولا صكوك غفران، وهو ما كان ينبغى أن يخفف على الأقل من هذا الحقد المسعور على سيد الأنبياء والمرسلين لأن هذه الأشياء هى مما نادت به البروتستانتية مذهب هذا التعيس. ولكن متى كان لأمثاله عقول يفكرون بها ؟

ولنفترض أن الرسول الكريم كان سيئًا إلى ذلك الحد، إنه لأفضل رغم ذلك من كل أنبياء العهد القديم، الذين ينسب ذلك الكتاب إليهم الزنا والدياثة والغدر والقتل ومضاجعة المحارم والكذب والحقد والطمع والجشع وتشجيع الوثنية والتطاول على الله والتصارع معه، وهو ما لم يفعل نبينا العظيم شيئًا منه. وهذه بعض النصوص التى تتحدث عن أولئك الأنبياء الكرام، بعضها فقط لا كلها. وبديهى أننا نحن المسلمين لا نوافق على هذا الذى يقوله الكتاب المقدس فى حقهم عليهم السلام. كل ما فى الأمر أننا نحاجّ الكاتب بكتابه هو: "٣٠وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. ٣١وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. ٣٢هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ،

فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . ٣٣فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا . ٣٤وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي . نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً» . ٣٥فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، ٣٦فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا . ٣٧فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ . ٣٨وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ" (تكوين/ ٢٠)، "١١وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، ١٢فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ" (خروج/ ٢) .

"٢وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا . ٣فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟» . ٤فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا . ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا . ٥وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى» .

٦فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ
أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. ٧فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ
الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. ٨وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ
رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ
الْمَلِكِ. ٩وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ
إِلَى بَيْتِهِ. ١٠فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ
لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» ١١فَقَالَ أُورِيَّا
لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ
وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ
وَأَضْطَجعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ».
١٢فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي
أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. ١٣وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ.
وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ
يَنْزِلْ. ١٤وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا.
١٥وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ،
وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». ١٦وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ
أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. ١٧فَخَرَجَ رِجَالُ
الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا

الْحِثِّيُّ أَيْضًا . ١٨فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. ١٩وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلاً: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، ٢٠فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ ٢١مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا» . ٢٢فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. ٢٣وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. ٢٤فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا» . ٢٥فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: « هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا . وَشَدِّدْهُ» . ٢٦فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ أُورِيَّا رَجُلُهَا ، نَدَبَتْ بَعْلَهَا . ٢٧وَلَمَّا مَضَتِ الْمَنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا . وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ" (صموئيل الثانى/ ١١) .

"١وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ ٢مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ

قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ» . فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاءِ بِالْمَحَبَّةِ. ٣وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ
مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.
٤وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى،
وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ٥فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ
عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. ٦وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ
الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. ٧حِينَئِذٍ بَنَى
سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ،
وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. ٨وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ
يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. ٩فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ
الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، ١٠وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ
آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. ١١فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ
أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي
أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ" (الملوك الأول/ ١١) . . . إلخ.

ثم إن المؤمنين بالكتاب المقدس يقولون إن الله قد غفر خطايا أولئك الأنبياء، فإذا كان الأمر كذلك فكيف لا يغفر سبحانه لمحمد أيضا أخطاءه إن كانت له مثل تلك الأخطاء؟ وبكل يقين هو لم يرتكب شيئا من هذا ولا نصفه ولا ربعه ولا عشره ولا واحدا على المائة ولا على الألف ولا حتى على المليون. وهذا الكلام ينبغي توجيهه أيضا إلى المبشر الأمريكي

صموئيل زويمر، الذى استشهد الكاتب بما سطره فى أحد كتبه زاعما أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد فشل فى اجتياز الامتحان الأخلاقى الذى عقده هو له بناءً على مقاييس العهد القديم، إذ ما دام النبى عليه الصلاة والسلام قد رسب فى ذلك الامتحان، فأَحْرِ بأنبيائه أن يكون رسوبهم بجدارة. وفى هذه الحالة على زويمر أن يعلن هذا الرأى فيهم وأن يرفض الإيمان بهم بناء على مقاييس ذلك الكتاب. فهل يفعل؟ وأخيرا وليس آخرا أين توصية السيد المسيح فى العهد الجديد للوثر وغيره من أتباع النصرانية بأن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم؟ وهذا إن كان النبى قد لعن لوثر أو أباه مثلا. فما بالنا إذا كان لم يصنع شيئًا من ذلك البتة وأن المسيح ومريم العذراء عليهما السلام لم يلقيا منه إلا كل حفاوة وتكريم وتبرئة من التهم المجرمة التى قرفهما بها اليهود؟

وهذا التطاول من لوثر على سيدنا رسول الله واتهامه له بأنه شيطان وأول من أنجب إبليسُ من أبناء يذكرنى بما كان ذلك السليط اللسان يعتقده فى أبى الشياطين، إذ كان يتصور أنه يظهر للبشر عيانا بيانا وكأنه مخلوق مادى. ولقد ركبته الهلاوس ذات مرة فظن أنه يرى الشيطان واقفا قبالته يحدق فيه فقذف فى وجهه المحبرة ليتطاير منها السائل الأسود على الجدار، فضلا عما ذكره هو نفسه من لجوئه إلى الضُّرَاط كى يطرده بعيدا عنه. وقد اكتشف العلماء كذلك أنه لم يكن دائما بالصادق فى

كلامه، فقد كان يزعم مثلا أن أباه عاملُ منجمٍ فقير، على حين كان مالكا للمنجم لا عاملا من عماله. كذلك اكتشف الدارسون فى الفترة الأخيرة أن بعض بذور المذهب البروتستانتى قد واتت مارتن لوثر وهو فى المرحاض يقضى حاجته، وأنه كان نهما مولعا بالبيرة يطفئ بها نيران الطعام الذى يَكُظّ به بطنه والذى أوصل وزنه إلى نحو ١٥٠ كيلوجراما ! (يمكن القارئ الرجوع إلى مقال مترجم عن الألمانية على الرابط التالى: http://www.spiegel.de/international/germany/0,1518,586847,00.html عنوانه " Archaeologists Unveil Secrets of Luther's Life"، بقلم Matthias Schulz، وترجمة Christopher Sultan).

وبالعودة إلى موضوعنا نجد أن الكاتب يسارع بعد هذا مشيرا إلى الرأى الذى أصبح يعتقده كبار المؤلفين الغربيين الآن فى الرسول الكريم حسبما يقول، وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان فى مبتدإ دعوته مخلصا، ثم انقلب رأسا على عقب، فأضحى غدارا لا يبالى بخلقٍ ولا دينٍ ما دام الغدر والقسوة هما السبيل الذى يوصله إلى غايته:

"According to Sir William Muir, Marcus Dods, and some others, Mohammed was at first sincere, but later, carried away by success, he practised deception wherever it would gain his end".

فما معنى أنه عليه الصلاة والسلام كان مخلصا ؟ أليس معناه أنه كان نبيا حقيقيا ما داموا يقرون بإخلاصه فى دعواه وسلوكه؟ ثم ما معنى أنه لم يعد مخلصا ؟ أليس معناه أنه لم يعد صادقا فى دعواه النبوة؟ عظيم! لكن هل يمكن أن ينقلب النبى فلا يعود نبيا ؟ ألا يرى القارئ معى مدى التخبط الذى يتخبطه أولئك الملفقون؟

كذلك ليس صحيحا ما قاله الكاتب من أن الإسلام لم يطمح إلى أن يكون دينا عالميا إلا بعد وفاة الرسول: "After Mohammed's death Mohammedanism aspired to become a world power and a universal religion" . ذلك أنه دين عالمى منذ هَلَّ على الكون فى مكة. والآيات التى تتناول هذا المعنى متعددة فى تلك الفترة المبكرة، مثل: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا" . فليس صحيحا إذن أن عالمية الإسلام قد تأخرت إلى ما بعد وفاة الرسول. ولم يقف الأمر عند النص على ذلك الأمر فى الآيات القرآنية، بل أتبع النبى القول بالعمل حين بعث برسله إلى حكام العالم من حوله فى الشام وفارس والحبشة ومصر وعلى حدود الجزيرة العربية وداخلها على ما هو معروف.

ومن عجب أن يزعم هذا الزعمَ ذاته كاتب سودانى هو عون الشريف قاسم، إذ قال فى كتابه: "دبلوماسية محمد– دراسة لنشأة الدولة

الإسلامية فى ضوء رسائل النبى ومعاهداته" (جامعة الخرطوم/ ٥٧-٩٢) ما معناه أن الرسول لم تكن لديه القوة فى ذلك الوقت كى يقدم على هذه الخطوة. ومن ثم نراه يشكك فى صحة رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء من حوله رغم إقراره فى ذات الوقت بعالمية الإسلام. وقد تناولت تلك القضية فى كتابى: "دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية- أضاليل وأباطيل" وبينت أن أتباع النبى، لا النبى نفسه، لم يجدوا فى هذا الأمر ما يحملهم على التردد أو التلكؤ، فما بالنا بالنبى ذاته، وهو من هو، وهم ليسوا سوى أتباع له، فوق أنهم لم يقفوا عند حد التمنى أو النية، بل فتحوا بلاد الشام وامتلخوها من البيزنطيين، وفتحوا بلاد فارس وامتلخوها من الأكاسرة... وهكذا؟

وفى تناول كاتب المادة لموضوع الجزاء الأخروى نجده يلح على القول بأن ألوان الثواب والعقاب فى الإسلام كلها حسية تعكس ما كان العربى فى ذلك الوقت يتطلع إليه. يريد أن يقول إن الإسلام من صنع محمد، وإنه راعى فيه أن يخاطب غرائز العرب ويداعب حاجاتهم التى كانوا يفتقدونها ويريدون أن يجدوا إشباعا لها، فقام هو بهذه المهمة. ولنفترض أن الإسلام قد راعى أوضاع البشر فى تصوير الجنة والنار، فما وجه الخطإ فيه؟ هل المطلوب هو أن تعاكس متع الجنة تطلعات البشر؟ وأية جاذبية ستكون لها إذن حتى يكون لها التأثير المرغوب فى نفوس

الناس؟ سيقال: لكن هذه التطلعات هى تطلعات عربية صرف. والجواب: وهل هناك بشر ينفرون من الماء الزلال أو اللحم الشهى أو النساء الجميلات مثلا؟ فلماذا إذن كل تلك الحروب التى يشنها الغربيون علينا وعلى الدنيا كلها إن لم يكن من أجل تلك المتع وأمثالها؟ وهل الحضارة الغربية الآن من ساسها إلى راسها إلا جرىٌ وراء تحقيق هذه المتع إلى الحد الذى أضحت تتطلع عنده إلى كل شاذ من اللذائذ؟ ألا يرى القارئ أن الكاتب هو ممن يقال فيهم: "رَمَتْنى بدائها وانسلَّتِ"؟ لقد كنا نظن أن النفاق الغربى مقصور على عالم السياسة، فإذا هو نفاق عام حتى ليشمل أيضا أمور الدين والعقيدة، وهى التى لايصلح فيها نفاق ولا التواء!

على أنه لا بد من التنبيه إلى أن ثواب الجنة فى الإسلام لا يتوقف عند المتع المادية وحدها رغم أهمية هذا الضرب من اللذائذ وعدم وجود إنسان واحد ينفر من تلك المتع حقيقةً لا ادعاءً، بل هناك أيضا الود المتبادل بين أهل الجنة والسلام العميم والسكينة الشاملة التى يتقلبون فيها فلا يعرفون قلقا ولا خوفا ولا شحناء ولا لغوا ولا تأثيما، وهناك الحب والرضا الإلهى الذى يتمتع به سكان الفردوس. كما أن القرآن والحديث النبوى يلحان دائما على أن لذائذ الجنة ليست من جنس لذائذ الدنيا ومتعها، بل الوصف فيها للتقريب ليس إلا. إذن فالجنة فى الإسلام تشبع

تطلعات البشر المادية والروحية جميعا ، وهذا هو الوضع المثالى لدار الخلد .

وقفْزًا فوق بعض الموضوعات التى لا نجد ما يدفعنا إلى الوقوف إزاءها نصل إلى قول الكاتب عن عقيدة "القضاء والقدر" إنها تعنى الحتمية المطلقة، فكل شىء مقدَّرٌ سَلَفًا طبقا للمشيئة الإلهية على نحو لا تفيد معه الإرادة الإنسانية فى شىء . فإذا عرفنا أن الإنسان سوف يُسْأَل يوم القيامة عما فعل ويثاب ويعاقَب عليه كان معنى ذلك أننا أمام مسألة عبثية تماما ، وإن كان المفكرون المسلمون فى العصر الحديث قد حاولوا سُدًى تحسين الصورة كما يقول. وإلى القارئ كلام الكاتب بالنص فى أصله الإنجليزى:

"The Mohammedan doctrine of predestination is equivalent to fatalism. They believe in God's absolute decree and predetermination both of good and of evil ; viz., whatever has been or shall be in the world, whether good or bad, proceeds entirely from the Divine will, and is irrevocably fixed and recorded from all eternity. The possession and the exercise of our own free will is, accordingly, futile and useless. The absurdity of this doctrine was felt by later Mohammedan theologians, who sought in vain by various subtile distinctions to minimize it".

والواقع أن الكاتب لا يفهم القضية حق فهمها . صحيح أن هناك فعلا آيات قرآنية وأحاديث نبوية يفهم منها أن كل شىء خاضع لإرادة الله

لا يفلت منها ، لكنْ هناك فى المقابل آيات وأحاديث يفهم منها أن للإنسان مشيئة حرة وأن تحججه بحتمية المشيئة الإلهية لا معنى له . وكلا النوعين من النصوص صحيح ومفهوم، ولا تعارض بينهما : فكل شىء فى الكون يخضع حقا وصدقا لمشيئة الله، بما فيه المشيئة الإنسانية أيضا ، بمعنى أن للإنسان إرادة حرة، إلا أن حريتها ليست نابعة من ذاتها ، بل موهوبة من الله سبحانه وتعالى . ومن هنا كان الحساب على قدر نصيب كل فرد من تلك الحرية فى هذا العمل أو ذاك . كذلك هناك الرحمة الإلهية التى يمكن العفو معها عما يرتكبه الشخص من السيئات كلها أو بعضها . وفوق ذلك فعند الحساب الأخروى لا بد أن يؤخذ الضعف البشرى فى الاعتبار .

مما سبق يتضح أنه ليس فى الأمر حتمية مطلقة ولا حرية مطلقة، بل الأمور نسبية . ولسوف يكون حسابنا على هذا الأساس . وأنا أومن بأن فى كل عمل من أعمالنا تقريبا نسبة من الجبر، ونسبة من الاختيار ، وهذه النسبة تختلف من عمل إلى عمل، ومن سياق إلى سياق، ومن شخص إلى شخص، ومن وقت إلى وقت . . . وهكذا . والمهم فى ذلك كله أن يظل الإنسان فى حالة جهاد ويقظة فلا ييأس أو يستسلم للشيطان وينهار . ومهما يرتكب الإنسان من أخطاء فإن باب التوبة مفتوح دائما ما لم يقنط من رحمة ربه ويسلّم بالهزيمة وينطلق فى دنيا الكفر والتمرد والشهوات ويتخلَّ عن ممارسة مسؤوليته الأخلاقية المنوطة به بوصفه واحدا من أبناء

آدم وحواء . وللدعاء مدخل فى الحساب والثواب والعقاب لأنه برهان على الإيمان بالله والأمل فى الله والتعلق بما عند الله .

ومن الأخطاء التى وقع فيها الكاتب، وإن لم تكن من نوعية الأخطاء السابقة الخطيرة، تحديده مواقيت الصلوات اليومية الخمس على النحو التالى: قبل الشروق، وفى منتصف النهار، والساعة الرابعة بعد الظهر، وعند الغروب، وقبل منتصف الليل بقليل. وهذا غير دقيق، إذ إن ميقات صلاة الصبح يبدأ عند الفجر وينتهى عند الشروق. فمن الواضح أن الكاتب قد ركز على نهاية ميعاد الصلاة ولم يتطرق إلى الحديث عن وقت ابتدائها . كما أن العصر لا يحل عند الساعة الرابعة بعد الظهر ضربة لازب، بل يختلف من بلد إلى بلد، ومن فصل إلى فصل. كذلك فميعاد العشاء الآخرة يأتى قبل منتصف الليل بكثير، مع وجوب التنبه إلى أن حلوله هو أيضا يختلف من فصل إلى فصل، ومن إقليم إلى إقليم. يقول المؤلف فى نص كلامه الأصلى:

"The daily prayers are five in number: before sunrise, at midday, at four in the afternoon, at sunset, and shortly before midnight".

وفى مثل هذا النوع من الأخطاء يقع الكاتب فى حديثه عن ميقات الصيام فى رمضان، إذ إن الصيام، حسب كلامه، يبدأ من شروق الشمس، رغم ما هو معروف من أن ميعاد بدئه هو الفجر لا الشروق.

ومرة أخرى هذا نص ما قال: " It begins at sunrise and ends at sunset" .

أما فى كلامه عن الزكاة فالخطأ فادح، إذ لم يذكر منها إلا زكاة الفطر، فضلا عن أنه لم يخصص لهذا الركن الركين من الإسلام إلا سطرين وثلثا لا غير. ولا شك أن هذا خطأ لا يغتفر من كاتب فى موسوعة كالتى بين أيدينا . وكان ينبغى أن يكون أكثر دقة واهتماما بموضوعه. ومن الواضح أنه ليس على مستوى المهمة التى انتدب لها وأنه لا علاقة له مباشرة بموضوعه، بل ينقل عن الآخرين دون فهم، مع تعمد سوء النية والإفساد فيما يكتب. أى أنه يجمع بين الجهل والإساءة المقصودة.

وكان قبل قليل قد اقترف خطأ شنيعا حين زعم أن يوم الأضحى فى الإسلام مأخوذ من يوم كيبور (يوم الغفران) فى اليهودية مع بعض التحويرات. وفى موسوعة "الويكبيديا" نقرأ أن "يوم كيبور" هو اليوم العاشر من شهر تشريه، الشهر الأول في التقويم اليهودي، وهو يوم مقدس عند اليهود مخصص للصلاة والصيام فقط، ويتمم أيام التوبة العشرة التي تبدأ بيومي رأس السنة. وحسب التراث اليهودي فهذا اليوم هو الفرصة الأخيرة لتغيير المصير الشخصي أو مصير العالم في السنة الآتية. ويبدأ ذلك اليوم حسب التقويم العبري في ليلة التاسع من شهر تشريه في السنة العبرية ويستمر حتى بداية الليلة التالية. وهو في الشريعة اليهودية يوم عطلة كاملة

يحظر فيه كل ما يحظر على اليهود في أيام السبت أو الأعياد الرئيسية مثل الشغل وإشعال النار والكتابة بالقلم وتشغيل السيارات وغير ذلك، بالإضافة إلى أعمال أخرى تحظر في هذا اليوم بشكل خاص مثل تناول الطعام والشرب والاغتسال والاستحمام والمشي بالأحذية الجلدية وممارسة الجنس وأعمال أخرى مشابهة. وبينما تعد أيام السبت والأعياد الأخرى فرصا للامتناع عن الكد وللتمتع إلى جانب العبادة، يعد يوم كيبور فرصة للعبادة والاستغفار فقط.

وبحسب التراث الحاخامي فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء للمرة الثانية ومعه لوحا الشريعة، حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي. وعيد يوم الغفران هو العيد الذي يطلب فيه الشعب جميعا الغفران من الإله. ولهذا السبب كان الكاهن الأعظم في الماضي يقدم كبشين قربانا للإله نيابة عن كل جماعة يسرائيل وهو يرتدي رداءً أبيض (علامة الفرح)، وليس رداءه الذهبي المعتاد. وكان يذبح الكبش الأول في مذبح الهيكل ثم ينثر دمه على قدس الأقداس. أما الكبش الثاني فكان يُلْقَى من صخرة عالية في البرية لتهدئة عزازئيل (الروح الشريرة)، وحَمْل ذنوب جماعة يسرائيل. وكما هو واضح فإنه من بقايا العبادة اليسرائيلية الحلولية ويحمل آثارًا ثنوية، ذلك أن عزازئيل هو الشر الذي يعادل قوة الخير. ولا يزال بعض اليهود الأرثوذكس

يضحّون بديوك بعدد أفراد الأسرة بعد أن يُقْرأ عليها بعض التعاويذ . وهناك طقس يُسمّى: "كابّاروت" يقضي بأن يمسك أحد أفراد الأسرة بدجاجة ويمررها على رؤوس البقية حتى تعلق ذنوبهم بالدجاجة. وفي هذا العيد كان الكاهن الأعظم يذهب إلى قدس الأقداس ويتفوه باسم الإله «يهوه» الذي يحرم نطقه إلا في هذه المناسبة. ولا تزال لطقوس الهيكل أصداؤها في طقوس المعبد اليهودي في الوقت الحاضر، إذ يُلَفّ تابوت لفائف الشريعة بالأبيض في ذلك اليوم على عكس التاسع من آف حيث يُلَفّ بالأسود .

ويبدأ الاحتفال بهذا اليوم قبيل غروب شمس اليوم التاسع من تشري، ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي، أي نحو خمس وعشرين ساعة، يصوم اليهود خلالها ليلاً ونهارًا عن تناول الطعام والشراب والجماع الجنسي وارتداء أحذية جلدية. كما تنطبق تحريمات السبت أيضا في ذلك اليوم. وفيه لا يقومون بأي عمل آخر سوى التعبد . والصلوات التي تُقَام في هذا العيد هي أكثر الصلوات اليومية لليهود، وتصل إلى خمس: الصلوات الثلاث اليومية، مضافا إليها الصلاة الإضافية (مُوساف) وصلاة الختام (نعيّلاه)، وتتم القراءة فيها كلها وقوفا . وتبدأ الشعائر في المعبد مساءً بتلاوة دعاء كل النذور، ويُختتم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعيلاه التي

تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها . ويهلل الجميع قائلين: "العام القادم في أورشليم المبنية"، ثم يُنْفَخ في البوق (الشوفار) بعد ذلك.

هذا ما قالته "الويكيبيديا" فى المادة المخصصة لهذا اليوم. وهو، كما يرى القارئ بكل وضوح، يختلف عن يوم الأضحى عندنا تمام الاختلاف: سواء فى التاريخ أو الغاية أو الشعائر أو المعنى أو المدى أو التفاصيل والدقائق. ومع هذا يظن الكاتب أنه يمكن أن يغمز من قناة الإسلام بهذه البساطة وينجو، مع أن من الميسور التحقق من كل زيف يراد له الانتشار وفضح صاحبه. كذلك ليس فى عيد الأضحى صوم ولا توقف عن العمل ولا كهانة ولا عزازيل ولا وثنيات. بل إن التضحية فى الإسلام ليست فرضا بل سنة، وهى تضحية فردية لا عن الأمة كلها مثلما هى فى اليهودية. ذلك أن المسلمين لم يعبدوا العجل لا فى غياب رسولهم ولا فى حضوره كما فعل اليهود عند مغيب موسى عليه السلام فى لقائه بربه فوق الجبل لتلقى الألواح، إذ يقول العهد القديم إن هارون صنع لهم أثناء ذلك عجلا ذهبيا عبدوه ورقصوا حوله وهم عرايا، مرتدّين بذلك إلى الوثنية. وفوق ذلك فتوقيت الشعيرة الإسلامية توقيت قمرى لا شمسى كما هو الوضع لدى اليهود، ولا يرتبط عندنا بتلقى نبينا وحيا خاصا ولا بالخروج من مكة، ولا علاقة له بموسى أو بالتوراة أو باليهود وخروجهم من مصر، بل بتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبشعيرة الحج، وهو ما

يسبق موسى وخروج بنى إسرائيل من مصر بأزمان وأزمان. ثم إن الأضحية فى الإسلام هى للأكل والصدقة والإهداء، وليست لمجرد التضحية كما هو الحال فى اليهودية. والذى يذبحها هو أى شخص يستطيع ذلك، بخلاف الامر فى ديانة يهود، فهو الكاهن حسبما رأينا . كما يسبق الذبحَ لدينا ويعقبه أمورٌ أخرى لا صلة بينها وبين يوم كيبور وما يفعله اليهود فيه. إنهما أمران مختلفان تمام الاختلاف كما قلت.

وحين يبلغ الكاتب سياق الحديث عن الأخلاق فى الإسلام نراه يزعم دون أدنى دليل، بل ضد كل دليل، أنها أقل من نظيرتها فى اليهودية، بَلْهَ النصرانية، التى تتفوق على الإسلام فى هذا المجال تفوقا أكبر حسب دعواه. وكيف تكون أخلاق اليهودية أفضل منها فى الإسلام، واليهود إنما ينظرون إلى غيرهم من البشر على أنهم أحط من الحيوان، ويفرقون فى المعاملة بين اليهودى وغير اليهودى كما هومعروف، على حين أن أخلاق الإسلام هى أخلاق إنسانية الطابع، ومن ثم لا تجعل للاعتبار الدينى محلا فى تأدية الحقوق إلى أصحابها أو عمل الخير للآخرين؟ ثم إن الإسلام لا يكتفى بالكلام المنمق الجميل الذى لا يؤكِّل عيشا، بل يضع له الإطار التطبيقى كما هو الحال مثلا فى الزكاة والصدقات غير مكتف بالحديث عن ضرورة رحمة الفقير والمسكين، بل يُتْبِعه بتنظيم هذه الدعوة وجعل تنفيذها فريضة دينية يحاسَب الشخص على تأديتها أو إهمالها. وأين هذا

فى اليهودية أو النصرانية؟ وعلى أية حال فإن أمم الغرب ماضية منذ قرون فى الاعتداء على المسلمين وتقتيلهم وتدمير بلادهم وحضارتهم، وفى القرن المنصرم أنشأوا لليهود دولة فى قلب العالم العربى. نعم لليهود، الذين يتهمونهم بقتل المسيح، لا لشىء سوى نكاية المسلمين وإفساد حياتهم حاضرا ومستقبلا. إى نعم لليهود، الذين يقول العهد الجديد، وهو الكتاب المقدس لدى صاحب المقال الذى بين أيدينا، عن شيوخهم وكهنتهم وعما صنعوه مع المسيح عليه السلام: "وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ" (متى/ ٢٦/ ٥٩). أما إذا كان يريد الإيماء إلى موعظة الجبل وما فيها من كلام مثالى مغرق فى المثالية فإننا نسأله: أين يا ترى يمكننا أن نعثر على ما يجعلنا نصدّق قدرة أى إنسان أو أية جماعة على تطبيق ما جاء فى تلك الموعظة؟ أما أخلاق الإسلام فإنها تجمع بين المثالية وشىء من الواقعية، ولهذا كانت أقمن أن ينفذها أتباعها بسهولة لا تتوفر لغيرهم.

ثم انظر الآن إلى الكاتب كيف يلوى الحقائق بدم بارد فيذكر، من بين المحرمات فى الإسلام، شهادة الزور ضد المسلم. ومعنى هذا بطبيعة الحال أن المسلم يجوز له، إن لم يكن واجبا عليه، أن يشهد بالزور ضد غير المسلم. أرأيت أيها القارئ كيف يتعمد الكاتب تشويه الإسلام بالباطل؟ ولكى يرى القارئ بنفسه مدى التدليس الذى يمارسه الكاتب أسوق له

بعض الآيات القرآنية التى تتعلق بهذا الموضوع: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (النساء/ ١٣٥)، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (المائدة/ ٨) . هذا عن وجوب تأدية الشهادة على وجهها الصحيح دون أدنى اعتبار لأى شىء آخر من غنى أو فقر أو قرابة أو غرابة أو دين حتى لو كانت بيننا وبين من نشهد عليه شنآن، أى بغضاء مستحكمة. إن الكاتب ليعلم علم اليقين أن ما قاله عن الإسلام لا وجود له فى الإسلام، بل فى اليهودية، إذ نقرأ فى سفر "الخروج" (٢٠/ ١٦): "لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ" . ومعنى ذلك أن شهادة الزور على الغريب وغير اليهودى أمر جائز، إن لم تكن أمرا واجبا . ومثله الإقراض الربوى، إذ يحرم على اليهودى أن يُقْرِض يهوديا بربا ، بخلافه مع الأجنبى، فهو عندئذ حلال تماما .

ترى هل هناك شنآن كالذى كان بين اليهود والمسلمين، والذى طَوَّعَ ليهود أن يؤلبوا الوثنيين على أصحاب التوحيد ويكذبوا على الله وعلى الحق وعلى الشرف والصدق والأمانة فيؤكدوا لهم أن وثنيتهم خير من توحيد

الإسلام؟ ومع ذلك فها هو ذا القرآن الكريم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآيات التالية مدافعا عن يهودى اتهمه بعض من كان ينتسب إلى الإسلام بأنه الفاعل فى قضية تختص بسرقة سلاح، على حين كان السارق هو ذلك المتّهم نفسه: "إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (١٠٩) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)" (النساء). وأرجو أن يتملى القارئ جيدا تلك اللهجة النارية التى يصطنعها النص والتى قلما نجد لناريتها شبيها فى مثل ذلك السياق من القرآن.

لكن هذا فى الواقع ليس غريبا أبدا على دين يوصى أتباعه بما يوصيهم به الإسلام تجاه عدوهم، فيقول لهم: "عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)" (الممتحنة)، ويحذرهم من العدوان على أى إنسان أو أية جماعة، وإن كان يسمح لهم بالرد على العدوان بمثله: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (البقرة/ ١٩٠)"، مع إيثار التسامح على الانتقام رغم مشروعيته ما دامت الظروف تسمح بالتسامح دون أن يستتبع ذلك ضررا أشد: "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣)" (الشورى)، "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" (النحل/ ١٢٦).

هذا ما يقوله القرآن. والآن إلى هذا النص من رسالة بولس إلى أهل رومية، وفيه أن الكذب مشروع ما دام يؤدى إلى تمجيد الله: "٣فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ ٤حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ». ٥وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ. ٦حَاشَا! فَكَيْفَ يَدِينُ اللهُ الْعَالَمَ إِذْ ذَاكَ؟ ٧فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟". وهذا يكفى فى الرد على كاتبنا الهجّام الذى يلصق بالإسلام ما ليس فيه متصورا أن بمستطاعه الحديث عن الإسلام من طرف مناخيره دون أن يعقّب أحد على كذبه.

ويستمر الكاتب فى تزييفه فيزعم أنه، من بين الكفر والردة والزنا وشرب الخمر والاستقسام بالأزلام، لا يوجد عقاب فى الإسلام إلا للكفر والردة، أما الخطايا الباقية فيُسْمَح فيها بوجه عام أن يذهب مقترفها لحال سبيله دون عقاب، اللهم إلا إذا مست مصلحةَ المجتمع أو اصطدمت بالنظام السياسى بشكل خطير، وكأنه لا عقوبة على شارب الخمر ولا على الزانى ولا على شاهد الزور. لو أنه قال إن بعض هذه الخطايا لا عقاب معين لها مثل شهادة الزور لم يكن على كلامه غبار، وإن لم يَعْنِ هذا

أنه لا توجد فعلا أية عقوبة لمرتكب شهادة الزور، بل كل ما يعنيه هو أنه لا يوجد حد مقرر لمثل تلك السيئة، ومن ثم يُتْرَك أمرها إلى رجال القانون يؤاخذون مجترحها بالعقوبة التى يَرَوْنَها ناجعة رادعة، وهو ما يسمى فى الفقه الإسلامى بـ"التعزير"، ذلك الباب الشرعى للعقوبة التى لم يحدَّد مقدارها سلفا. أما شرب الخمر ففيه الجلد، وأما الزنا فالجلد عقوبة غير المحصن، وثم خلاف حول عقوبة المحصن: أهى الجَلْد كما فى غير المحصن، أم هى الرَّجْم كما يقول جمهور الفقهاء؟

ومن تزييفات الكاتب دعواه أنه فى حالة ارتكاب أحد الزوجين للفاحشة فإن شهادة الرجل على زوجته تُقْبَل للتو واللحظة ودون نقاش، على عكس شهادتها عليه، فإنها لا تُقْبَل بحال. وهو كلام لا صدق فيه على الإطلاق، إذ من المعروف أن فى الفقه الإسلامى بابا لما يسمَّى بـ"اللِّعَان"، وهو أن يتهم أحد الزوجين الآخر بالفاحشة، فعندئذ يجب عليه أن يكرر شهادته أربع مرات أمام القاضى حتى يكون لشهادته قبول وتتم معاقبة الطرف المتَّهَم، ولكن بشرط ألا يردّ فيشهد أربع مرات بأن متَّهِمه كاذب فيما قاله عنه. وعلى هذا فلا تمييز هنا بين زوج وزوجة، بل مساواة تامة. كذلك فإن قوله إن الأخذ بالثأر من الأمور المسموحة فى الإسلام هو من المزاعم الفارغة التى لا تستند إلى أى أساس خارج دعوى الكاتب السخيفة، إذ على رأس الإصلاحات التى أتى بها الرسول الكريم

إلغاؤه الثأر، وكان شائعا بين العرب يفتك بهم ويحيل حياتهم إلى سلسلة لا تنتهى من القتل والقتل المضاد، ومن ثم أصبح واجبا على أولياء القتيل عندئذ تفويض الأمر إلى القضاء يأخذ لهم حقهم. وهذا من المتعالم المشهور الذى لا يحتاج إلى سوق الدليل عليه.

ومن أكاذيب الكاتب أيضا زعمه أن الإسلام السياسى يقوم على الاستبداد فى الداخل، والعدوان فى الخارج. وهذا كلامٌ سخيفٌ سُخْفَ عقل قائله، إذ لا وجود للشورى فى أى كتاب دينى كما هو الحال فى القرآن الكريم، الذى تكررت الإشادة بها فيه أكثر من مرة. وفى سورة "الشورى" نجد القرآن قد جعلها من سمات المؤمنين المخلصين. أى أنها ليست شأنا من شؤون السياسة فحسب، بل هى أولا وقبل كل شىء من صميم الإيمان، ومن ثم تُكسِب صاحبها رضا الله سبحانه وتعالى: " فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)" (الشورى). ولنلاحظ أن السورة التى وردت فيها الآية تُسَمَّى بـ"الشورى"، وهذه دلالة لا تخطئها العين على المكانة التى تحتلها الشورى فى الإسلام. أما آية "آل عمران" فموجهة إلى النبى نفسه صلى الله عليه وسلم بما يفيد أن الشورى أكبر من

أى شىء، وأن الكل ينبغى أن يخضع لها وينزل على مطالبها: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آل عمران/ ١٥٩). ومن العجيب أن تكون هذه الآية قد نزلت بعد أن أصاخ النبى إلى اقتراحٍ لطائفة من المسلمين فى غزوة أحد يختلف عما كان هو يزمع تنفيذه، وكانت النتيجة هزيمة المسلمين فى تلك الغزوة. ولقد كانت هذه فرصة لأى مستبد كى يقرّع مخالفيه وينصبّ عليهم عسفا وترويعا واستبدادا، إلا أن القرآن كانت له كلمة أخرى، إذ نراه رغم كل ما حدث قد أوجب على النبى المزيد من الشورى، مع اعتماد اللين والرحمة وسيلة للتعامل مع مستشاريه ورعيته بدلا مما ينتهجه الحكام الآخرون من الفظاظة وغلاظة القلب. فهل بعد هذا كله موضع لتساخف هذا المتساخف؟

وبالنسبة للسياسة الإسلامية الخارجية التى يَسِمُها بالعدوانية نجده يؤكد أن المسلمين فى العصور الوسطى والحديثة قد اضطهدوا اليهود والنصارى اضطهادا شديدا. ولا ريب أن هذا تعبير عن فقدان العقل، وإلا فلماذا لم يذكر لنا الكاتب وقائع محددة تدل على صحة ما يقول؟ أليس من العجيب أن يقلب الرجل الحقائق على أم رأسها فيزعم أن المسلمين قد اضطهدوا اليهود والنصارى، وبالذات فى العصر الحديث،

ذلك العصر الذى يتناوش المسلمين فيه الاضطهادُ والاكتساحُ والاستنزافُ والتدميرُ الصليبهيونى من كل جانب؟ أليس من العجيب أن يتجاهل الرجل حملات الصليبيين والغزو المغولى، ثم الغزو الاستعمارى الحديث بدءا من الحملة الفرنسية على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر ثم المغرب وتونس بعد ذلك، واحتلال بريطانيا لمصر فى ثمانينات القرن التاسع عشر ثم للسودان بعد ذلك، واحتلال إيطاليا لليبيا فى العقد الثانى من القرن العشرين، واغتصاب اليهود لفلسطين بتخطيط الغرب الصليبى ومعاضدته لهم بالمال والسلاح والدعاية والمواقف والمؤامرات السياسية، ويروح يهيم فى وادى الكذب والتضليل محاولا لىّ الحقائق التاريخية التى لا تقبل الالتواء؟

تعريف بالمؤلف

- إبراهيم عوض
- الميلاد: ٦/ ١/ ١٩٤٨م بكتامة الغابة- غربية
- دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢م
- أستاذ بجامعة عين شمس
- البريد الألكتروني:

Ibrahim_awad9@yahoo.com

- المؤلفات:

معركة الشعر الجاهلي بين الرافعى وطه حسين

المتنبي- دراسة جديدة لحياته وشخصيته

لغة المتنبي- دراسة تحليلية

المتنبي بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)

المستشرقون والقرآن

ماذا بعد إعلان سلمان رشدي توبته؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية

الترجمة من الإنجليزية – منهج جديد

عنترة بن شداد– قضايا إنسانية وفنية

النابغة الجعدي وشعره

من ذخائر المكتبة العربية

السجع في القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)

جمال الدين الأفغاني- مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)

فصول من النقد القصصي

سورة طه- دراسة لغوية وأسلوبية مقارنة

أصول الشعر العربي (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)

افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين – دراسة نقدية لرواية "العار"

مصدر القرآن – دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي

نقد القصة في مصر من بداياته حتى ١٩٨٠م

د. محمد حسين هيكل أديبا وناقدا ومفكرا إسلاميا

ثورة الإسلام- أستاذ جامعي يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة وتفنيد)

مع الجاحظ في رسالة "الرد على النصارى"

كاتب من جيل العمالقة: محمد لطفي جمعة- قراءة في فكره الإسلامي

إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية- خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد فى الدفاع عن سيرة ابن إسحاق

سورة يوسف- دراسة أسلوبية فنية مقارنة

سورة المائدة– دراسة أسلوبية فقهية مقارنة

المرايا المشوّهة– دراسة حول الشعر العربي في ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة

القصاص محمود طاهر لاشين– حياته وفنه

في الشعر الجاهلي– تحليل وتذوق

في الشعر الإسلامي والأموي– تحليل وتذوق

في الشعر العباسي– تحليل وتذوق

في الشعر العربي الحديث– تحليل وتذوق

موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم

أدباء سعوديون

دراسات في المسرح

دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية

د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية– أضاليل وأباطيل

شعراء عباسيون

من الطبري إلى سيد قطب– دراسات في مناهج التفسير ومذاهبه

القرآن والحديث– مقارنة أسلوبية

اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة

محمد لطفي جمعة وجيمس جويس

"وليمة لأعشاب البحر" بين قيم الإسلام وحرية الإبداع- قراءة نقدية

لكن محمدا لا بواكي له- الرسول يهان في مصر ونحن نائمون

مناهج النقد العربي الحديث

دفاع عن النحو والفصحى- الدعوة إلى العامية تطل برأسها من جديد

عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين

الفرقان الحق: فضيحة العصر

لتحيا اللغة العربية يعيش سيبويه

التذوق الأدبي

الروض البهيج في دراسة "لامية الخليج"

سهل بن هارون وقصة النمر والثعلب- فصول مترجمة ومؤلفة

في الأدب المقارن- مباحث واجتهادات

مختارات إنجليزية استشراقية عن الإسلام

نظرة على فن الكتابة عند العرب في القرن الثالث الهجري (مترجم عن الفرنسية)

فصول في ثقافة العرب قبل الإسلام

بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١: ماذا يقولون عن الإسلام؟ (نصوص وردود)

دراسات في النثر العربي الحديث

"مدخل إلى الأدب العربى" لهاملتون جب- قراءة نقدية (مع النص الإنجليزي)

مسير التفسير: الضوابط والمناهج والاتجاهات

"تاريخ الأدب العربى" للدكتور خورشيد أحمد فارق: عرض وتحليل ومناقشة (مع النص الإنجليزى)

الأسلوب هو الرجل- شخصية زكى مبارك من خلال أسلوبه

فنون الأدب فى لغة العرب

الإسلام فى خمس موسوعات إنجليزية (نصوص ودراسات)

(علاوة على مثل هذا العدد من الدراسات والكتب المنشورة في المواقع المشباكية المختلفة، وعلى رأسها موقعي)

الفهرست